



ندوة

التراث المعماري الإسلامي في الألفية الثالثة

١٨ - ٢٠ مارس ٢٠٠١

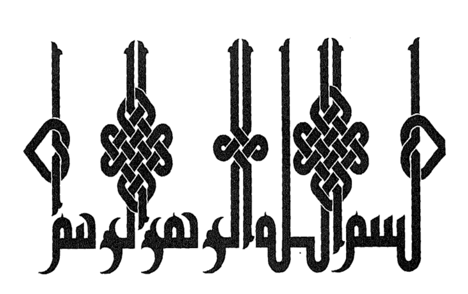


تهامؤسسة جائزة منظمة المدن العربية بالتعاون مع

- الأمانة العامة لمنظمة المدن العربية
- المعهد العربي لإنماء المدن
- جائزة آغا خان للعمارة

الدوحة - قطر

اهداءات ٢٠٠٤
جائزة منظمة المدن العربية
قطر


بسم الله الرحمن الرحيم





ندوة التراث المعماري الاسلامي في الألفية الثالثة

١٨ - ٢٠ مارس ٢٠٠١ الدوحة - قطر





مقدمــــة

شهدت مدينة الدوحة، المقر الدائم لجائزة منظمة المدن العربية، خلال الفترة من (١٨ إلى ٢٠ مارس ٢٠٠١م) تظاهرة ثقافية كبرى، حيث عقدت بالتزامن مع حفل توزيع جوائز صحة البيئة للدورة السابعة، ندوة التراث المعماري الإسلامي في الألفية الثالثة.

ولأهمية هذه الندوة وتوثيقاً لاعمالها تضع مؤسسة جائزة منظمة المدن العربية، أمام المهتمين بشؤون المدينة العربية هذا الكتاب الوثائقي لما يحتويه من فائدة علمية تحسب للمشاركين من العلماء والباحثين الأفاضل الذين اشتركوا فيها.

وبإقامة هذه الفعاليات وتوثيقها، تؤكد مؤسسة الجائزة من جديد دورها الريادي واهتمامها وتقديرها للأعمال التراثية وتحفيز العاملين على صيانة وترميم المباني القديمة والمحافظة على قواعد وأسس العمارة الإسلامية.

وانه من حسن الطالع أن يأتي انعقاد الندوة بالتزامن مع توزيع جوائز صحة البيئة، وأن يرافقها معرض العمارة الاسلامية في مختلف المدن العربية لا سيما تلك التي فازت بجوائز منظمة المدن العربية خلال الدورات السابقة، إضافة الى "معرض بيوت الله" وهو أول معرض من نوعه لمراكز العبادة الإسلامية في مختلف بقاع العالم (من الصين إلى أسبانيا).

لقد شارك في ندوة التراث المعماري الإسلامي (١٩) باحثاً يمثلون مدارس وثقافات وتيارات مختلفة، كما شاركت مؤسسة أغا خان للعمارة وقدموا بحوثاً ودراسة متعلقة بقضايا التراث والتحديات العلمية والتكنولوجية التي تواجه العمارة. وسيجد القارىء الكريم هذه الأبحاث باللغة التي كتبت بها ضمن وثائق هذا الكتاب مع التوصيات التي صدرت عن الندوة نتيجة المداخلات والمناقشات التي تخللت أعمالها.

وأن اللجنة الإدارية العليا لمؤسسة الجائزة إذ تتوجه بشكرها وتقديرها لحكومة دولة قطر وعلى رأسها حضرة صاحب السمو أمير البلاد المفدى وولي عهده الأمين ورئيس مجلس الوزراء، لما توفره للمؤسسة من امكانيات مادية ومعنوية وفنية وبشرية لتفعيل دورها، فإنها لا تغفل في ذات الوقت الدعم الفاعل الذي تقدمه وزارة الشئون البلدية والزراعة بدولة قطر وعلى رأسها سعادة المهندس / علي محمد الخاطر وزير الشئون البلدية والزراعة. ومنظمة المدن العربية وبقية المدن الأعضاء، الأمر الذي كان له أبلغ الأثر في تحقيق أهداف المؤسسة.

فكان من ثمرات تلك المواقف الداعمة إنجاح فعاليات الندوة والتي يجدها القارىء الكريم مجسدة بالوثائق والصور في هذا الكتاب الذي نأمل أن يستفيد منه الجميع.

وبالله التوفيق،،

اللجنة الادارية العليا للجائزة



ندوة
التراث المعماري الاسلامي في الألفية الثالثة
١٨ - ٢٠ مارس ٢٠٠١

دور مؤسسة جائزة منظمة المدن العربية
في الحفاظ على التراث المعماري العربي الإسلامي

م/ فهد عبد الله السويلم
مدير بلدية الدوحة
مدير عام جائزة منظمة المدن العربية
الدوحة



تمهيــــد :

منذ منتصف القرن الماضي، ومع ازدهار العمارة في المدن العربية نتيجة المد الحضاري من جهة والتطور الصناعي من جهة أخرى، بدأ المعماريون العرب والمسؤولون في المدن العربية يبدون اهتماماً متزايداً بكيفية الحفاظ على هوية المدينة العربية وحمايتها إزاء الهجمة الغربية في الكثير من المجالات - سيما وأن الشباب العربي الذي حصل تعليمه الجامعي في أوروبا وأمريكا بدأ يعود إلى الديار العربية معجباً بالنهضة التي عايشها في البلاد التي درس فيها، مبدياً رغبته في نقل هذه التجارب الى محيطه متأثراً بما رآه وأطلع عليه متناسياً خصائص ومميزات بيئية وثوابت العناصر الوجدانية المتصلة بالشخصية العربية وأصالتها المميزة.

هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن الخبراء الغربيين الذين تحكموا في الشؤون الأساسية في البلاد العربية نتيجة الاستعمار أو نتيجة النقص في الكفاءات المحلية، قد أثروا بتوجهاتهم الغربية على منحى العمارة والبناء في الكثير من معالم المدن ووضعوا الشروط والمواصفات والقواعد الخاصة بالبناء وفقاً للمتطلبات والمعايير التي اقترحوها ... وقد نتج عن كل ذلك خليط هجين من العمارة الإسلامية والأوروبية، التراثية والحديثة. . أدت في كثير من المدن العربية إلى طمس شخصيتها وضياع هويتها.

لقد وعت منظمة المدن العربية هذه القضية ووضعتها في نصب أهدافها لتطوير المدينة العربية وحماية شخصيتها وإعادة الاعتبار إلى معالمها التاريخية ... وكانت دولة قطر متمثلة في مدينة الدوحة، سباقة في تحمل مسئولياتها في هذا المجال، عندما وافق المؤتمر العام السابع لمنظمة المدن العربية الذي عقد في الجزائر خلال شهر مايو ١٩٨٣م على إنشاء مؤسسة جائزة المدن العربية، بناء على التوصية التي تم رفعها من المكتب الدائم للمنظمة في دورته (١٩) بمدينة مسقط عام ١٩٨٣.

أولاً : التعريف بمؤسسة الجائزة :

عرف النظام الأساسي لجائزة منظمة المدن العربية مؤسسة الجائزة بأنها إحدى مؤسسات منظمة المدن العربية "ذات شخصية معنوية وذمة مالية مستقلة ولها حق التملك والتقاضي في حدود غاياتها وأغراضها" ... كما ونص النظام الأساسي على أن تكون مدينة الدوحة بدولة قطر المقر الدائم للمؤسسة وأن يكون مدير بلدية الدوحة مديراً عاماً للمؤسسة، وقد حدد النظام الأساسي أهداف الجائزة بكل وضوح، فنص على ما يلي :

(١) تشجيع التجديد والابتكار ارتكازاً على الطابع المعماري العربي الإسلامي في العمارة المعاصرة والحفاظ على هوية المدينة العربية وتراثها.

(٢) صيانة المعالم والمآثر التاريخية وإعادة توظيفها في الحياة المعاصرة وتطوير التكنولوجيا الحديثة لاستخدامات العمارة في المدينة العربية.

(٣) تشجيع المهندسين والمخططين العرب على الالتزام بمبادىء الفكر والفن المعماري العربي الإسلامي.

(٤) تشجيع الحفاظ على صحة البيئة في المدينة العربية والاهتمام بالنظافة العامة والتصدي للملوثات البيئية

لتوفير بيئة صحية .

(٥) تكريس الإهتمام بالتخضير وتجميل المدن ، وانتهاج الخطط العلمية في اضفاء البهجة والجمال على المدينة .

ومن الجدير ذكره ان اهتمام مؤسسة الجائزة كان منصباً عند انشائها على قضايا العمارة الإسلامية كجوهر للقضية . ونظراً لنجاح الجوائز المعمارية ورغبة من منظمة المدن العربية في خدمة المدينة العربية من كافة الجوانب وتقديراً من المنظمة لفتح مجالات أخرى للمنافسة من اجل مزيد من التقدم والازدهار ، فقد تم استحداث جوائز جديدة وهى : جوائز صحة البيئة وجوائز التخضير وتجميل المدن خلال المؤتمر العام التاسع للمنظمة الذي عقد بمدينة مراكش في شهر فبراير عام ١٩٩٠م .

أما لماذا أضيفت الجوائز الأخرى إلى الجوائز المعمارية ، فذلك عائد إلى أنه لا يمكن فصل البناء عن محيطه ، فالصورة يجب أن تكون متكاملة ، وذلك لا يكون بدون الإلمام بالمكان الذي يبنى فيه الإنسان ومدى صحة هذا المكان ، والشروط البيئية التي سيقضي ضمنها مراحل عمره وعمر أسرته ... إضافة اليه فان الطبيعة تفرض نفسها على البناء بالتجميل والتخضير . . وقد كان لزاماً أن نكافيء الجهود المبذولة من أجل منع الملوثات واستدراك المخاطر البيئية ومعالجتها معالجة صحية سليمة في المناطق السكنية بل في المدن العربية كافة .

أما التخضير والتجميل ، فإن البيئة العربية ولظروف مناخية قاسية في العديد منها وندرة المياه ، اقتضى الاقتصاد في أعمال التشجير والتجميل ... وكانت الدعوة إلى بذل جهود حثيثة وملموسة للعناية بالحدائق وإقامة المساحات الخضراء والمزروعات عن طريق مكافأة العاملين في هذا الشأن وتخصيص جوائز لهم .

ثانياً : أنواع الجوائز التي تقدمها المؤسسة:

يبلغ العدد الإجمالي لأنواع الجوائز التي يشمل عليه نظام المؤسسة (٩) جوائز :

١ - الجوائز المعمارية وتتفرع إلى:

أ - جائزة المشروع المعماري :

تخصص لأحسن مشروع معماري نفذ في مدينة عربية عضو بالمنظمة ويمثل مرفقاً عاماً .

ب - جائزة التراث المعماري :

تخصص لمدينة عربية تقوم فيها مراجع مختصة على الحفاظ والأحياء لجزء مهم من المدينة التاريخية ، وذلك بمواصلة أعمال الترميم واعادة توظيف المعالم والأبنية في الحياة ضمن خطة علمية مدروسة .

ج - جائزة المهندس المعماري :

تخصص لمهندس عربي تقديراً لجملة الأعمال التي قام بها ، والتي تؤكد ارتباطه وإيمانه بالعمارة العربية الإسلامية ودعوته لها في كل الأعمال التي صممها ونفذها بصورة متواصلة .

٢ - جوائز صحة البيئة : وتتفرع إلى :

أ - **جائزة الوعي البيئي** : تمنح لمدينة عربية عضو في المنظمة تقوم فيها مراجع مختصة بأعمال التوعية والارشاد.

ب - **جائزة السلامة البيئية** : تمنح لمدينة عربية عضو في المنظمة تقوم فيها مراجع مختصة بأعمال الوقاية البيئية في مجال النظافة العامة والسيطرة على الضجيج والملوثات البيئية.

ج - **جائزة داعية البيئة** : تمنح لشخصية علمية عربية كرست حياتها وجهودها لحماية البيئة في المدن العربية والارتقاء بها.

٣ - جوائز تخضير وتجميل المدن : وتتفرع إلى :

أ - جائزة تخضير المدينة :

تمنح لمدينة عربية عضو في المنظمة تقوم فيها مراجع مختصة وفق خطة علمية مدروسة بأعمال توسيع وصيانة الرقعة الخضراء للمدينة واستحداث نباتات ملائمة للبيئة المحلية وإظهار البعد الفني والجمالي للحدائق وتوفير الأمن لروادها.

ب - جائزة تجميل المدينة :

تمنح لمدينة عربية عضو في المنظمة تقوم فيها مراجع مختصة وفق خطة علمية مدروسة بأعمال تجميل الميادين العامة واستخدام الأشكال والنصب التجميلية وتسخير النباتات لأعمال الزينة وتأمين سهولة الوصول لأماكنها.

ج - جائزة خبير تجميل المدن :

تمنح لمهندس أو أخصائي تجميل مدن أو نحات أو فنان عربي في تجميل المدن بما يظهر التزامه بالقيم الإسلامية.

ثالثاً : أهداف مؤسسة الجائزة

يمكن تلخيص الهدف من تأسيس جائزة المنظمة التنافس بين المدن العربية لتحسين المستوى والارتقاء بالخدمات في كافة المجالات. وقد رؤي البدء بتشجيع الحفاظ على الطابع المعماري العربي الإسلامي وصيانة وترميم المعالم والمآثر التاريخية فيها واعادة توظيفها في الحياة المعاصرة وتشجيع المهندسين العرب على استلهام التراث المعماري والحضاري العربي في المشروعات والمباني التي يقومون بتصميمها ولذلك كانت أولى الجوائز المعمارية ومع زيادة الاهتمام بالأنشطة الأخرى ذات الصلة بالبلديات واستكمالاً لمسيرة المنظمة في تنشيط التنافس بين البلديات العربية لخدمة المدن العربية والمواطنين أقر المؤتمر العام التاسع للمنظمة (مراكش ١٩٩٠) الإعلان عن بدء أعمال جائزتين جديدتين وتم إدراجهما ضمن جوائز الدورة الخامسة لجائزة منظمة المدن العربية

(١٩٩٣ – ١٩٩٥) وهاتان الجائزتان هما : جوائز تخضير وتجميل المدن ، وجوائز صحة البيئة : –

وعليه فانه يسعدني توضيح الهدف بصورة منفصلة عن كل جائزة :

١ - الجوائز المعمارية :

- الحفاظ على التراث العربي الإسلامي المعماري فناً وفكراً ومضموناً .
- تشجيع المنافسة بين المدن الأعضاء في مجال ترميم واعادة استخدام المعالم والأبنية التراثية والتاريخية .
- خلق روح الابداع والتطوير بين المعماريين العرب وتشجيعهم على استلهام عناصر التراث العربي الاسلامي في أعمالهم العمرانية .
- الالتزام باعتماد الطابع المعماري الإسلامي للمدن الجديدة .
- الرقي بمستوى المدينة العربية وتشجيعها على ايجاد الحلول الاسكانية المناسبة لظروفها البيئية والثقافية والاقتصادية مع ابراز العناصر الجمالية في التصميم والتخطيط والتنظيم .
- تشجيع المعماريين العرب على تطوير التكنولوجيا الحديثة لاستخدامات العمارة العربية الإسلامية .

٢ - جوائز صحة البيئة :

- إثارة الوعي البيئي بين المواطنين والمسؤولين في المدن العربية حول أهمية سلامتها وايجاد الوسائل والأساليب التي يمكن أن تساهم في تحقيق ذلك وتشجيع التعاون وتبادل المعلومات والبحوث بين المدن في مجالات الحفاظ على البيئة والارتقاء بها .
- تنشيط البحث العلمي حول القضايا والعوامل المؤثرة على البيئة وأعمال الرصد البيئي بما في ذلك الاكتشافات المبكرة للأوبئة المضرة بالبيئة ومواكبة التقدم العلمي في هذا المجال .
- حث المدن العربية على إصدار اللوائح والتشريعات والإرشادات التي تسهم في الحفاظ على البيئة وتحسين أداء العاملين في هذا المجال .
- تشجيع المشاركة الشعبية والفردية في عملية الحفاظ على البيئة الحضرية وتطويرها .

٣ - جوائز تخضير وتجميل المدن :

- تشجيع البلديات الأعضاء على التنافس فيما بينها لجعل المدينة بيئة صالحة للحياة والعمل للترويح عن المواطنين والتخفيف عن معاناتهم اليومية .
- شحذ همم المسؤولين والمواطنين للإسهام في تجميل وتشجير مدنهم وتنمية روح المبادرة فيهم وتشجيع المشاركة الجماعية في هذه المجالات .
- إنشاء وتطوير وصيانة المساحات الخضراء والحدائق العامة والأماكن الترويحية والمنشآت الجمالية والتجميلية

من نصب وأشكال ومجسمات ولوحات فنية .

- إذكاء روح الإبداع والتنافس بين مهندسي تجميل المدن والزراعيين والفنانين من نحاتين ورسامين وحرفيين وغيرهم لتقديم أفضل ما لديهم من عطاء والإسهام في تجميل مدنهم .

هذا وقد رأت منظمة المدن العربية تكريم المدن والهيئات والأفراد من خلال منحهم دروع وشهادات تقدير للمراتب الثلاث الأولى في كل فرع من جوائز المنظمة وذلك لاذكاء روح التنافس والتشجيع بين المبدعين في هذه المجالات ولما يقدمونه من جهد في سبيل الارتقاء بمستوى الخدمات في وطننا العربي وليكونوا أمثلة مضيئة يحتذى بها .

كما أن التشجيع يشمل جوائز مالية للأفراد الفائزين في المجالات المختلفة على النحو الآتي :

- يمنح الفائز بجائزة المهندس المعماري (المرتبة الأولى) مكافأة مالية قدرها ٣٠٠٠٠ (ثلاثون ألف) دولار أمريكي .
- يمنح الفائز بجائزة داعية البيئة (المرتبة الأولى) مكافأة مالية قدرها ٢٠٠٠٠ (عشرون ألف) دولار أمريكي .
- يمنح الفائز بجائزة خبير تجميل المدن (المرتبة الأولى) مكافأة مالية قدرها ١٥٠٠٠ (خمسة عشر ألف) دولار أمريكي .
- كما يمنح مصمم المشروع المعماري شهادة تقديرية عن فوز مشروعه ويمنح من تولى أعمال ترميم التراث المعماري شهادة تقديرية إضافية .

يحق للمنظمة بناءاً على توصية هيئة التحكيم منح جوائز تقديرية لمدن عربية وغير عربية وأفراد من غير العرب وفقاً للشروط الواردة في النظام الأساسي للجائزة .

تمر عملية منح الجوائز بمرحلتين أساسيتين :

١ – اللجنة الفنية : ومن مهامها :

أ – فرز ودراسة الترشيحات المقدمة للتأكد من استكمال الشروط والبيانات المطلوبة .

ب – وضع التقارير الفنية متضمنة تصورات اللجنة وفق اختصاصاتها .

٢ – هيئة التحكيم : ومن مهامها :

- دراسة الترشحات المعروفة بها للتقييم واختيار الفائزين .

الفائزون في دورات جائزة منظمة المدن العربية

الجوائز	الدورات	الدورة الأولى ١٩٨٦م	الدورة الثانية ١٩٨٨م	الدورة الثالثة ١٩٩٠م	الدورة الرابعة ١٩٩٣م	الدورة الخامسة ١٩٩٥م	الدورة السادسة ١٩٩٨م
الجوائز المعمارية	المشروع المعماري	مبنى وزارة الخارجية العمانية - مسقط	١ - قصر الثقافة - الجزائر ٢ - مدينة الأطفال - عمان ٣ - جمعية الهلال الأحمر - الدوحة	١ - الحي الدبلوماسي - الرياض ٢ - اسيف - مراكش ٣ - قوية الجسرة - البحرين	١ - سوق نزوي - نزوي ٢ - الحديقة الثقافية - القاهرة - (تقدير)	١ - رئاسة بلدية مسقط ٢ - البيوتات السكانية - جدة (تقدير)	١ - نادي الدانة - الدوحة ٢ - مقر هندسة المنشآت العسكرية - الكويت (تقدير)
	التراث المعماري	١ - مدينة جدة ٢ - مدينة تونس ٣ - مدينة الدوحة ٤ - مدينة الرقة	١ - مدينة سوسة ٢ - مدينة القيروان ٣ - مدينة دبي	١ - مدينة الرشيد ٢ - مدينة صنعاء ٣ - مدينة المنستير (تقدير)	١ - مدينة الشارقة ٢ - مدينة دمشق (تقدير) ٣ - مدينة المحرق (تقدير)	١ - قلعة الرفاع الشرقي - المنامة ٢ - مدينة طرابلس القديمة - طرابلس الغرب	مدينة دبي
	المهندس المعماري	محمد صالح مكية (عراقي)	عبد الباقي ابراهيم (مصري)	راسم جمال بدران (اردني)	١ - صالح لمعي (مصري) ٢ - جعفر طوقان (اردني) (جوائز تقديرية)	حجبت	حجبت
جوائز صحة البيئة	الوعي البيئي					مدينة جدة	١ - مدينة الدوحة ٢ - مدينة مسقط ٣ - مدينة دبي
	السلامة البيئية					١ - مدينة دبي ٢ - مدينة الجبيل الصناعية	مدينة رأس لفان الصناعية
	داعية البيئة					حجبت	١ - محمد سعيد الحفار (سوري) ٢ - اسماعيل المدني (بحريني)
جوائز التشجير وتجميل المدن	تخضير المدينة					١ - مدينة الجبيل السعودية ٢ - مدينة مسقط ٣ - مدينة دبي	١ - مدينة أبو ظبي ٢ - مدينة ينبع الصناعية ٣ - مدينة المنيا
	تجميل المدينة					مدينة مسقط	مدينة صحار
	خبير تجميل المدن					حجبت	لم يتقدم أحد

جائزة منظمة المدن العربية

ص ب : ٩٩٠٥ الدوحة - قطر

تليفون : ٤٣٢٨٧٩٠ فاكس : ٤٤٣٣١٨٨

رابعاً : دور مؤسسة الجائزة في الحفاظ على التراث المعماري الإسلامي :

تبذل مؤسسة الجائزة جهداً كبيراً في الحفاظ على التراث المعماري الإسلامي ونشر الوعي الصحي والعمل على زيادة الرقعة الخضراء في المدن العربية من خلال تحفيز المسؤولين في المدن والبلديات العربية على إصدار التشريعات والقوانين التي تنظم البيئة المحيطة وتشرح المخاطر الناتجة عن سوء استخدام المصانع والأجهزة المؤثرة في البيئة إضافة الى تعريف دور العمارة وعلاقتها بالمساحات الخضراء في المدينة ومدى تأثير أسلوب البناء على البيئة المحيطة به ، كما أن للمؤسسة دور في الاستفادة من الندوات التي تقيمها منظمة المدن العربية أو هيئاتها في التعريف بما يتم تنفيذه من مشاريع ناجحة في مدننا العربية .

ولا تألو الجائزة جهداً في اطلاع المسؤولين في البلديات والمدن العربية بالمعلومات القيمة المتوفرة لديها سواء عن طريق المراسلات الاعتيادية أو عن طريق الزيارات المتبادلة .

لقد استطاعت مؤسسة الجائزة التغلب على الصعاب التي واجهتها في تحقيق أهدافها وذلك بالتعاون والتنسيق مع الجهات المسؤولة في الأمانة العامة للمنظمة والمدن الأعضاء ، والاستنارة بالآراء والاقتراحات التي تصل الى مقر الجائزة من أعضاء هيئة التحكيم والمختصين بالجامعات والهيئات والنقابات المختلفة .

ان لمؤسسة جائزة منظمة المدن العربية دور بارز في وضع تصور يجمع بين التعمير والصحة والتخضير فمنذ تأسيسها عام ١٩٨٣ م . حيث تم عقد سبع دورات كانت تتويجا لجهود المؤسسة ولجنتها العليا والعاملين بها حيث ساهم الجميع في إرساء المبادىء الأساسية التي قامت من أجلها منظمة المدن العربية في سبيل رفع مستوى الخدمات في مدننا العربية .

كما حرصت مؤسسة جائزة منظمة المدن العربية على توثيق أعمالها ورصد إنجازاتها في سجلات مطبوعة تبقى بين أيدي المهتمين شاهداً على هذه الإنجازات الهامة فأصدرت في هذا المجال عام ١٩٨٩ م كتابها الوثائقي الأول (الجوائز المعمارية وثائق ومنجزات) وظلت المنظمة مستمرة في إصدار مثل هذه الوثائق في نهاية كل دورة متضمنةً فعاليات ومنجزات المؤسسة ونشاطها خلال هذه الدورات وذلك لإثراء المكتبة العربية التي هي بحاجة ماسة لمثل هذه الإصدارات التي تهم قطاعات عريضة من مدننا العربية كما أصدرت كتيبات تتضمن معلومات عن اللجنة الفنية وهيئة التحكيم والشروط والمواصفات الفنية والمستندات الواجب إرفاقها بالترشيحات استناداً إلى النظام الأساسي لجائزة منظمة المدن العربية وبالإضافة إلى إصدار الكتب والنشرات للتعريف بالمؤسسة وأهدافها ، تقوم المؤسسة بتوزيع هذه الكتب والمنشورات على المدن والمؤسسات والهيئات العربية المهتمة بنشاطات جائزة منظمة المدن العربية ، وتعميم هذه الوثائق والمنشورات على وسائل الأعلام المختلفة خلال مشاركاتها المختلفة في المعارض والندوات والمؤتمرات الإقليمية والدولية .

خامساً : تقييم عام للجوائز :-

مما لا شك فيه أن الجوائز بشكل عام تلعب دوراً تقديرياً رائداً باعتبارها جهة تقييم لاحق يتبع إنشاء المشروع وتنفيذه، وهذا شرط أساسي، إذ أن الجوائز لا تمنح للمشاريع والأفكار والتصورات والاقتراحات بل للأعمال المنفذة القائمة مهما كان نوعها وان الحكم يكون على العمل وليس على الخرائط والتصاميم والمخططات ... من هنا فإن المؤسسة تسعى لأن يأخذ المصممون والمخططون والاستشاريون بعين الاعتبار وقبل الإنشاء ان هذا المشروع سوف يكون محط أنظار المؤسسات والمواطنين والمسؤولين وانه سوف يخضع للدراسة والتقييم والاعتبار ... لذا فإن المؤسسة تأمل مراعاة ذلك في الأساس، وتتطلع إلى أن يتم إبلاغها بكافة المشاريع المنفذة في المدن العربية من قبل المندوبين والمتطوعين إضافة إلى المسؤولين وأصحاب المشاريع ... ذلك أن حصر المشاريع والإلمام بها والإطلاع على أوضاعها وتفاصيلها يساعد القيميين على مؤسسة الجائزة لتطوير أعمالها والقيام بوظيفتها بطريقة فعالة وناجحة .

لقد أنشأت مؤسسة الجائزة نظام " منسقى الترشيحات في المدن الأعضاء في المنظمة " حيث تسمى أشخاصاً مؤهلين بحكم مواقعهم ووظائفهم وخبراتهم بترشيح المشاريع للجوائز ... وسيكون من شأن هذا النظام أن يؤمن المعلومات اللازمة للمؤسسة للقيام لاحقاً بزيارة المواقع من قبل خبرائها ومندوبيها للحكم عليها وتنظيم ملفاتها ... إضافة إلى ذلك فإن الجوائز قد حققت الكثير من أهدافها سواء من خلال الدور الإعلامي على المستوى العربي أو الدولي لإبراز المجهودات التي تنفذها أو تتولاها الجهات المختصة في مجالات عمل المؤسسة، أو من خلال التوثيق الذي تقوم به مؤسسة الجائزة بالكتب والمعارض والاحتفالات .

سادساً : خاتمة :

أن الحديث عن دور مؤسسة الجائزة في الحفاظ على التراث المعماري الإسلامي يطول ويتشعب ونرى الاكتفاء بهذا القدر من المعلومات على أمل تزويد المهتمين بالتفاصيل بالمنشورات والكتب والتقارير إذا ما رغبوا في ذلك، وإن مؤسسة الجائزة تفتح مقارها ومكتبتها للراغبين في زياراتها أو الاستفادة من إمكاناتها من أجل تحقيق أهدافها وتلبية متطلبات الدارسين والباحثين والمهتمين .

وأنني إذ أشكر إصغاءكم واهتمامكم، أرجو أن لا تترددوا في طرح أي سؤال أو الإدلاء بأية مداخلة تفيد الموضوع .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...



جائزة منظمة المدن العربية

ندوة التراث المعماري الإسلامي في الألفية الثالثة
العمارة الخليجية المعاصرة " التجربة القطرية"

دراسة مقدمة من المهندس المعماري
إبراهيـم محمـد الجيـدة
الدوحـة ، قطـر
يناير ، كانون ثاني ٢٠٠١

المحتويـــات :

- تمهيــد
- الفكرة المعمارية وعلاقتها بالمرحلة التاريخية والبيئية .
- القيم الاجتماعية ، التطور الاجتماعي وتأثيره على العمارة .
- تأثير النسيج العضوي على الحياة الاجتماعية والتأثير المعاكس عليه .
- المحافظة على الشكل والوظيفة للعناصر المعمارية وتطويرها بنفس روحية التراث وفقاً لمتطلبات العصر .
- تطوير العمارة القطرية المعاصرة بما يخدم روح التراث العربي الإسلامي :
  ١ . مرحلة ما قبل النفط .
  ٢ . مرحلة بداية ظهور النفط .
  ٣ . مرحلة ما بعد ظهور النفط .
- تلخيص وتعريفات معمارية
- المراجــع

تمهيــــد

إنه لمن دواعي سرورنا إتاحة هذه الفرصة لنا ونحن نهم بالولوج في الألفية الثالثة ، فقبل أن نغرق فيما تحمله هذه الألفية من معطيات جديدة ومغريات تقنية وحضارية نريد أن نأخذ لفته سريعة إلى الوراء لنلم رحالنا ونحمله معنا وليكن هو زادنا للمستقبل القريب والبعيد .

هذه الدراسة هي ملخص اللفتة القصيرة والتي رأينا فيها أن نأخذ كل ما هو جميل من ماضينا وحاضرنا ، ونود أن نلفت الإنتباه إلى أن هذه الدراسة هي جزء لا يتجزأ مما قدمه ويقدمه الآخرون .

ولو أردنا التعمق والإبحار أكثر لكانت هذه الدراسة مطولة جداً ، وقد آثرنا أن نعرض وجهة نظرنا في عرض سريع غير مطنب وغير ممل في آن معاً ، وركزنا على عمارة المساكن ، ونحن متأكدون أن الموضوع متشعب ويحمل في طياته وجنباته الكثيّر من الإبداعات الفنية التي لا نود إهمالها ، ولعله ستتاح لنا فرص أخرى قريباً لإعطاء هذا الموضوع حقه في الدراسة .

مرة أخرى نشكركم على إتاحة هذه الفرصة لنا للتعبير عن وجهة نظرنا ، ونتمنى أن يلقى ما نقدمه لكم حسن القبول ... والفائدة للدارس والباحث ، واسمحوا لنا إن أغفلنا نقطة ما سهواً فالكمال لله وحده .

ولكم منا فائق الإحترام والتقدير ، ، ، ، ،

م . إبراهيـم م . الجيـدة

الفكرة المعمارية وعلاقتها بالمرحلة التاريخية والبيئية

في بادئ الأمر يجب أن نتذكر ونضع أمامنا مبدأً أساسياً وهو أن العمارة هي نتيجة للمجتمع وهي شريك لا غنىً عنه في تطور المجتمع ، فالعمارة والنسيج العمراني هي إبداع بشري تلبية لحاجات إجتماعية وإنسانية وبيئية وغيرها ... فالتكوين المعماري للمباني يكون له دائماً خلفية اجتماعية و ثقافية و بيئية ، و الطابع المعماري كان على مر العصور انعكاساً صادقاً للبيئة الحضارية .

إن الفكرة المعمارية هي إستجابة لوظيفة معينة وسط محددات متعددة الجوانب والتفاصيل وفي ظل القيم والمثل المعاصرة لولادة الفكرة ... أما محددات الفكرة فهي البيئة بكل أبعادها ، والبيئة هنا هي تلك العوامل الإجتماعية وصيغ العلاقات الإنسانية ومحددات المناخ والبيئة الطبيعية ، ومن المحددات الأخرى العامل الاقتصادي ومستوى الحياة الذي يلعب دوراً رئيسياً في ولادة الفكرة وتفاصيلها واستخدامات المواد و مستواها وفقاً للمعايير الاقتصادية المناسبة ، وهناك أيضاً العامل التقني بما يعنيه من تطور تكنولوجي يلعب دوراً كوسيلة لحل العديد من المشاكل التي يواجهها المصمم وكذلك الخبرات المتراكمة عبر التاريخ بشرط التواصل ، فالتراث في نهاية الأمر هو خبرة الشعوب نضعها في خدمة الأجيال التالية ، إنها التكنولوجيا والفكرة المتنقلة عبر العصور والتي تتغذى وتنضج وتتقدم مع إضافات كل جيل ومستوى إبداعه .

وتختلف الشعوب في بقاع الأرض في معالجة الفكرة المعمارية انطلاقا من حاجاتها وتفاعلاتها مع بيئتها ومستوى خبراتها عبر العصور ، فالعمارة في أوروبا غيرها في شرق آسيا غيرها في الشرق الأوسط أو في جنوب أفريقيا ... كل حضارة أو شعب يتناول العمارة بكل أبعادها من زاوية مختلفة مبنية على مفاهيم وفلسفة وتجارب تولد في بيئة هذه الشعوب وسط مجموعة من المحددات الفيزيائية كالمناخ ، وتتجاوب هذه العمارة عند كل شعب وفقاً لمتطلباتها .

نلخص القول هنا أن العمارة أو بأدق القول الفكرة المعمارية الجادة هي مزيج من كل الفلسفات والتجارب والمحددات الإجتماعية والبيئية ورغبة المصمم بالإبداع ... إنها انبثاق من الماضي إلى الحاضر ومن الحاضر إلى المستقبل ... فالعمارة تولد في الحضارة من الماضي ثم تعود لتلعب دوراً أساسياً في صياغة المستقبل برسم علاقات اجتماعية جديدة ومتطلبات اقتصادية وتكنولوجية وغيرها .

على أننا لا نقصد هنا الحدود الضيقة للمبنى المعماري بل أن الأمر يتعدى ذلك إلى أن يشمل النسيج العمراني أو الحضري للمدينة ، إن المبنى المعماري هو الجزء الذي يعتبر وحدة بناء النسيج إضافة إلى وحدات أخرى ... فالمبنى المعماري ينسج بناءً على علاقة بين أفراد أو شريحة اجتماعية محددة مثل الأسرة أو الطلبة (في المدرسة) أو الموظفين (في المبنى الإداري)... والنسيج العمراني العضوي وهو المعروف في العمارة العربية الإسلامية كان مبنياً على أساس الوحدة السكنية المستقلة داخلياً ومنظمة تنظيماً جيداً وتشكل مع الوحدات السكنية الأخرى

نسيجاً مترابطاً لا يمكن فكّه، أو بمعنى آخر أن أي خلل في هذا النسيج سوف يوثر على كامل النسيج وهناك النسيج الشطر نجي والمعروف بالغربي فهو مبنى على أساس اجتماعي مختلف عن تلك الأسس في العمارة العضوية.

إن الحاضر هو امتداد الماضي والمستقبل هو إبن الحاضر، وبهذا فإن العمارة المعاصرة لتكون سوية وصحيحة يجب أن تكون امتدادا للماضي وليس نسخاً له ... ومن هنا يجب أن نفهم التراث على أنه حلول معمارية لعصرها والعناصر المعمارية المستخدمة في تلك العمارة هي استجابة لبيئتها.

فالفناء الداخلي هو انعكاس لمركزية العلاقة الإجتماعية وهو أيضاً حل تكنولوجي للبيئة المناخية، وهو صورة صادقة عن المستوى الثقافي في تلك المرحلة واليوم نجد أن مركزية العلاقة الإجتماعية لم تعد كما كانت والحلول المناخية دخلت عليها التكنولوجيا الجديدة بإبداعات تطبيقات الطاقة واستنباط أنواع المواد الجديدة، فهل هذا يعني انتهاء الفناء لداخلي... إن روح فكرة الفناء تبقى مهما تطورت وتغيرت العوامل البيئية عبر العصور، فالمركزية تبقى مركزية ولابد من وجودها في هذه الوظيفة أو تلك من وظائف المباني، ولكن الفكرة المعمارية لتطبيقات الفناء الداخلي أصبحت تختلف اليوم عما مضى، وهنا يأتي دور المصمم المعماري المبدع الذي ينسحب إلى الماضي ليستوعب روح العنصر المعماري، فإذا توصل إلى هذا الفهم استطاع أن يأتي بهذا العنصر المعماري ويضعه في مكانه الصحيح في أفكاره وتطبيقاته لا بل أن العناصر المعمارية بحد ذاتها قابلة للتطور مع احتفاظها بروحها الأصلية.

وكمثل آخر (النيش) وهو مكان محفور في الجدار توضع به أغراض أو مواد، فهو في النهاية جزء من الجدار لعرض أمر ما، وكان يتم في الماضي خلق هذا المكان باستغلال سمك الجدار كأداة تحل محل جزء من الأثاث، والآن يمكن استخدام نفس الفكرة باستغلال الناحية الإنشائية عند وجود اختلافات في أماكن الأعمدة مثلاً، وتستغل لنفس الغرض لعرض مواد ما كناحية تزينية مثلاً، وهكذا يبقى النبش بنفس الروح ليؤدي نفس الغرض.

وعليه فإن قولنا أن الحاضر امتداد للماضي يمكننا ترجمته بأنه توظيف التخطيط المعماري والعناصر المعمارية في التراث في العمارة المعاصرة مع الالتزام بالحضور القوي للبيئة المعاصرة في كافة نواحيها.

لقد أضاف الإسلام على العمارة العربية قبل الإسلام مُثلاً وقيماً جديدة ولكنه لم يلغ أبداً التراث المعماري السابق له، لا بل اخذ المعماريون المسلمون من العمارة السابقة ومن عمارة الحضارات التي اتصلوا بها ما يتناسب مع البيئة العربية، فالبيت ذو الفناء الداخلي (الحوش) موجود بالأساس منذ الحضارات البابلية والآشورية وغيرها ... وأصبح فيما بعد هذا البيت نموذجاً للبيت المسلم، إذ أنه يتفق تماماً مع قيمة ونسيج علاقاته الإجتماعية، كما أنه يلبي بهندسته معالجات المناخ والبيئة الفيزيائية.

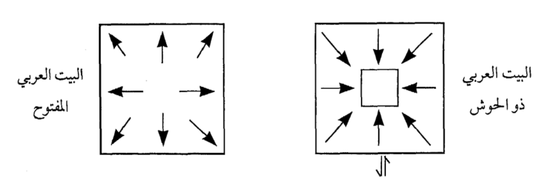
فالسماء هي أفق المسلم "إنها حيث يتوجه لله" وهي كانت رحابه في الصحراء قبل الإسلام، وتحولت إلى

نعمة إلهية بعد الإسلام حيث يشعر المسلم بالنظر إليها أنه قريب إلى الله فيتوجه نحوه بالدعاء ، فبقي ارتباطه بالسماء ولكن بإيمان مختلف وبالتالي بقي الفناء ذو الحوش مفتوحاً إلى السماء يلبي رغبة المسلم في ذلك، و يقدم له أفضل الحلول للعوامل المناخية المحيطة به.

القيم الاجتماعية، التطور الاجتماعي و تأثيره على العمارة

أن أساس المجتمع الغربي هو الفرد وليس الأسرة أو الجماعة ، أما أساس المجتمع في الحضارة العربية الإسلامية فهو الأسرة ، وكانت بمعنىً آخر القبيلة ... وعليه فإن البيت هو صورة لهذا الأساس، فالأسرة العربية المسلمة مترابطة وفقاً لقيم الدين إضافة للترابط القبلي الذي كان سابقاً للإسلام ، وقد انعكست هذه القيم في البيت العربي فالمركزية وتجمع العائلة حول فناء واحد واجتماعهم حول محور واحد وضرورة عبور المركز عند أية تحرك نحو الخارج ، كلها هذه مترجمة في البيت ذو الحوش الداخلي.

إن التقاليد العربية الإسلامية تحرم مبدأ انفتاح الأسرة، وبالتالي البيت على الجيرة والمحيط ... وبالتالي يتوجب على المعماري أن يخلق جواً متكاملاً يتسع لكافة الفعاليات الإجتماعية التي تستوجبها الحياة الأسرية ... فالشمس والنور والليل والنجوم والخضرة والماء والتهوية والإنارة لكافة فضاءات البيت كلها محلولة بوجود هذا الفناء الداخلي ... إن كامل أعضاء الأسرة يشتركون بمركز واحد به يمرون وإليه ينظرون من شبابيكهم وفي اجتماعهم وملتقاهم ومركزية نظرتهم ونقل الفتحات الخارجية لنفس الاعتبارات ، إضافة لعوامل أخرى مثل الأمن وغيره ... " أما البيت الغربي مثلاً وعلى سبيل المقارنة ، فليس من مركزية للبيت وكلٌ ينظر من فضاءه إلى منظور مختلف عن الآخر تعبير عن الانفتاح نحو الخارج بكافة الاتجاهات" .



إضافة إلى البيت يلعب النسيج العمراني المحيط بالوحدة السكنية دوراً في انعكاس القيم والمثل الإجتماعية والبيئية فترابط الأسواق والجامع والساحات وتصميمها كلها لترجمة واقعية ومعالجة ذكية للبيئة العربية الإسلامية.

وتتجلى كل هذه الأمور في العمارة العربية الإسلامية في منطقة الخليج ، حيث ترسخ هذه القيم منذ آلاف السنين.

في أواسط القرن العشرين ، تفجرت في الخليج ينابيع الثروة والذهب الأسود وطرأت على المنطقة ثروة طائلة أعطت لسكان الخليج قدرة عالية على القفز قفزات واسعة للمعاصرة والوقوف على أحدث العلوم والتكنولوجيا ... والحضارة الغربية بسحرها وسرعة تطورها والتي استطاعت التغلغل إلى كل مناطق العالم وبدأت تغزو الخليج بأشكالها المختلفة .

واستطاع الخليج المتعطش للتطور والتقدم استيعاب الحضارة الغربية بمظاهرها سيما وإن الثروة المادية أفسحت له هذا المجال، عدا عن تركيز العالم الغربي على هذه المنطقة لما تشكله الثروة البترولية في الخليج من مفاتيح إستراتيجية لحضارته... وأندفع الآلاف من المهندسين والخبراء من أرجاء الوطن العربي للمجيء إلى الخليج للمساهمة في البناء ، وقد حمل الكثير منهم الثقافة الغربة إضافة إلى التواجد الغربي ومساهمته الفعالة في اختراق الموجود من العناصر التراثية وفصلها عن الحاضر .

كان من نتيجة تفجر النفط في المنطقة انفجارا من نوع آخر ، إنه انفجار سكاني اقتصادي أدى بالتالي إلى تفجر اجتماعي غير محدد المعالم ... وبدأ الزحف من الريف والبادية إلى المدن التي امتشقت فيها أبنية تناطح في ارتفاعاتها ناطحات السحاب لم تعرف لها العمارة العربية الإسلامية سوى المآذن والأبنية المرتفعة في اليمن .

لم تكن المنطقة مهيأة لاستيعاب الجديد من الحضارة الغربية ، فالتراث كان شبه مقطوع التواصل خلال الفترة السابقة سيما وأن الفترة الاستعمارية العثمانية مسحت كل تواصل وتتطور وتقدم ، وبالتالي لم يكن بالإمكان السيطرة على عملية دخول عناصر الحضارة الغربية إلى المجتمع العربي الخليجي المسلم .

ينطبق هذا الأمر على العمارة تماماً... فقد أصبحت العمارة العربية الإسلامية حسبما عرفناه من التاريخ ، في خبر كان وحلت محلها عمارة الأسمنت والزجاج ما عدا بعض العلامات المضيئة في أرجاء الوطن العربي ، وحل التخطيط الشطرنجي بدلاً من التخطيط العضوي ، وباتت الأشكال الخارجية للبيوت هي المقياس ولم يعد لتخطيط البيت الداخلي وعلاقته بالأسرة أي دور .

وليس الأمر متوقف هنا فقط ، فقد تعدى الأمر إلى دخول المظاهر التكنولوجية الغربية بكل تفاصيلها ، فالتلفزيون وعلاقته بالأسرة دخل بطريقة أفسدت العلاقة التقليدية الموجودة بين أفراد الأسرة ، وكان للسيارة الدور الأهم في جعل النسيج العمراني العضوي بعيداً عن تناوله في التطبيق .

وهنا يطرح السؤال نفسه... هل أن العمارة العربية الإسلامية غير قادرة على مجاراة الحداثة أو العصرنة في الحياة اليوم وغداً ؟؟ . .

ومن هذا السؤال تتداعى أسئلة أخرى أكثر تفصيلاً :

- هل عناصر العمارة العربية الإسلامية فات أوانها ولم تعد تلبي متطلبات العصر؟ .
- هل قضت السيارة تماماً على النسيج العمراني العربي الإسلامي ؟ .

- هل أن غزو الحضارة الغربية طال أيضاً البيئة الأساسية للعلاقات الاجتماعية في المجتمع العربي المسلم الخليجي؟ .
- هل يتوجب التخلي عن الحضارة الغربية وعناصرها للمحافظة على تراثنا ؟ .
- ما هي آفاق عصرنة التراث أو بمعنىً آخر ، إخضاع المعاصرة لشروط التواصل الحضاري العربي الإسلامي؟ .

تأثير النسيج العضوي على الحياة الاجتماعية والتأثير المعاكس عليه

إن علاقة الإنسان بأخيه الإنسان قد تغيرت نتيجة للتغيرات الاجتماعية الناتجة عن التحولات الاقتصادية. ونتيجة دخول التكنولوجيا بشكل واسع ، وقد أثرت هذه التغيرات الاجتماعية على العمارة التراثية ومن بينها النسيج العضوي ... وكان للتغيرات في النسيج العضوي مردود معاكس على العلاقات الاجتماعية ، فمثلاً دخول السيارة إلى الشارع العربي أدى بالتالي إلى طرح قوانين مغايرة إلى عمارة النسيج العضوي ... وبالتالي اتجهت المدن العربية ومن بينها مدن قطر إلى عمارة النسيج الشطرنجي الغربي المعتمد على شبكة طرق متعامدة على بعضها البعض ... وتقيدت الأبنية بأنظمة وقوانين طرحتها الدولة لخدمة دخول السيارة إلى كل بيت من بينها عمل الإرتدادات اللازمة بين المساكن فصار جدار المسكن لا يلتصق بجدار مسكن الجار ... مما أدى إلى تفكك اجتماعي إلى حد ما أو دعنا نسميه تغير اجتماعي ، فمثلاً إذا أراد فرد ما أن يفتح أي نافذة في جدار داره فهو لا يحتاج إلى سؤال جاره ومشاورته كما من قبل ، يكفيه أن يعمل الرسومات اللازمة المطابقة للأنظمة والقوانين في تلك المنطقة والموضوعة من قبل مهندسين ومخططين مختصين ... فالآن لا يحق لجارك أن يحزن إن أحدثت فتحة في جدار دارك لأنه لا يخصه ولا يعنيه بشيء ... وبذلك قلّت عملية التواصل الاجتماعي ... ولكن بالمقابل فإن الانفتاح نحو الخارج أصبح اكبر من ذي قبل ، فكما ذكرنا آنفاً كانت نوافذ الغرف تفتح جميعها على فناء الدار والجدار الخارجي مشترك بينك وبين الجار ، كانت المحافظة على الخصوصية كبيرة وفي نفس الوقت علاقتك بجارك حميمة ... الآن ابتعدت عن جارك ووجهة نظرك أصبحت تطل على فضاءات عمومية وحدائق وطريق تفصل بينك وبين جارك وتفصل بينك وبين أفراد أسرتك .

هذا التغير كان لا بد منه ليس بسبب دخول التكنولوجيا فقط ، وإنما أيضاً بسبب تغير حاجات الإنسان وطرق تفكيره ... وطريقة معيشته ... ففي البيت الواحد كانت تقتات الأسرة كلها من عمل الأب الذي هو فقط يغيب عن البيت لساعات طويلة ، أما الآن ففي البيت الواحد نجد الأب والأم يعملان وأحياناً الابن الأكبر أو الابنة الكبرى .

كل هذا أثر على العمارة التراثية وعلى توزيع الوظائف واستعمالات مكونات الدار الواحدة ... ولكن هذا لا يعني أن هذا خطأً كبيراً ويجب اقتلاعه من جذوره ... فالتغيير لا بد منه شئنا أم أبينا .

ولكن يجب أن تكون لنا القدرة على مواكبة العصر مع استلهام روح الماضي والتي في تقديري يجب أن تكون كالطاقة الكامنة فينا طبيعية وغير مصطنعة ... هذه الروح لنشبهها بالإيمان أو الدين الذي يكون في قلب

المؤمن يخرج منه رغماً عنه ودون طوعه ... وكلما زاد إيمانه كلما كانت روحه العطرة ظاهرة على سلوكه مع الآخرين مهما تغير سلوك الآخرين معه، ومهما كانت الظروف المحيطة به ... كذلك روح الماضي والتراث فهو كامن في فكرنا لذلك فإنه مع مجاراتنا للعمارة المعاصرة ... فإنه لا تزال تظهر هذه الروح في هذه العمارة وإنني أؤكد أنه قد مر على العمارة التراثية انحسار مؤقت بسبب قوة التكنولوجيا وقوة تيار العمارة المعاصرة، ولكنها تعود الآن ، والأمثلة واضحة على ذلك، وسنأتي على ذكرها فيما بعد ضمن هذه الدراسة .

المحافظة على الشكل و الوظيفة للعناصر المعمارية و تطويرهما بنفس روحية التراث و وفقاً لمتطلبات العصر

إن العناصر المعمارية في التراث هي حلول واستجابات لمتطلبات ومشاكل برزت إبان استنباطها واستمرت لقرون طويلة في معالجة المشكلة إلى أن جاءت الثورة الصناعية في الغرب ثم غزت بلادنا ... واستلهام التراث ليس هو لصق العناصر التراثية بالمباني الحديثة ، بل أن فلسفة العمارة لتكون متصلة روحياً بالتراث هي الأخذ بروح فكرة العنصر المعماري ، أي أسباب وجوده واستعماله وبالتالي وضعه في المكان المناسب في العمارة الحديثة .

إن تقليد التراث بعناصره هو تماماً كتقليد لعمارة الغرب أن لم يكن أسوأ ، حيث أن استعمال العناصر التراثية المعمارية بشكل غير واعٍ وفي غير محله سيضفي نتيجة سيئة حول تقييم هذا العنصر المعماري أو ذاك ومن ثم انعكاس سلبي على كافةً جوانب العمارة العربية الإسلامية .

إن المعالجة الأساسية للموضوع تبدأ من نقطة بعيدة نسبياً عن العمارة بحد ذاتها ، ذلك أنه كما أسلفنا إن العمارة هي وليدة متطلبات اجتماعية وبيئية بكافة تفاصيلها ، إن إلقاء نظرة سريعة على مجتمعنا اليوم هو الذي سيلقي الضوء على خطى العمارة ، فتطور الحلقات والعلاقات الإجتماعية تفرض نفسها ، وانبهار المجتمع العربي بالحضارة الغربية وشغفه بنقل ما عند الغرب إلى مجتمعنا دون إحداث تطور جذري في العلاقات الإجتماعية الأساسية التي تحكم المجتمع العربي يؤدي إلى وجود تناقض بين ما نبنيه وبين ما نحن عليه ، وهنا يذكرنا بالمثل الياباني الذي استطاع استيعاب التطور التكنولوجي من الغرب دون أن يمس روح المجتمع الياباني، بل بالعكس فقد سخّر مستوردات الحضارة الغربية وجعلها في خدمة المجتمع الياباني .

لم تكن العمارة العربية الإسلامية قد عالجت مشاكل الحياة المعاصرة بطبيعة الحال ، فالوظيفة التي نعرفها اليوم غير التي عرفها أجدادنا ، أبنية إدارية يختلط بها الرجل والمرأة ، تلفزيون تجتمع حوله الأسرة دون أن تتكلم مع بعضها البعض ، وبالتالي ابتعاد الأسرة عن مناقشة أمورها الذاتية وازدياد انشغال رب الأسرة بالعمل أكثر وبالتالي ابتعاده كمركز للبيت والأسرة ... إن الكثير من القيم الجديدة دخلت إلى مجتمعنا ... ولا يمكن رفضها باسم التراث أو المحافظة على التقاليد ... لقد أصبح الكرم العربي ذا مفهوم مختلف اليوم ففي التاريخ كا الكرم يعتمد على الصيد مثلاً وهو مجاني أما اليوم فهو مكلف وأصبح الكرم مختلف بمظاهره وتعريفه، حتى

علاقة الجيرة اختلفت اليوم، ففي الوقت الذي كان التخطيط العضوي للنسيج العمراني يوزع الأحياء أو الشعب على الأسر أو على القبائل أو أفخاذها ، وبالتالي تبقى الأسرة الواحدة في منطقة واحدة وبدلاً من أن يكون لكل دار دور لا يمكن استبداله في النسيج الحضري، أصبح اليوم من اليسير نسف بيت وبناء مبنىً إداري مكانه أو غير ذلك.

فإذاً كما سبق وقلنا أن الأمر ليس بمعالجة العمارة بحد ذاتها، بل إن الأمر يجب أن يصل إلى دراسة أحوال المجتمع العربي وعكس طموحاته الحقيقية وربطه وتواصله مع التراث.

وليس من واجب المعماري معالجة المشاكل الاجتماعية، ولكن له دور رئيس في إعادة صياغة العلاقة الاجتماعية داخل المنزل مثلاً بين أفراد الأسرة من خلال استشراف طموحات الأفراد والأسرة.

إن دور المعماري أو المصمم لا ينحصر في إيجاد الحلول الوظيفية والتقنية وإبداع أشكال الواجهة أو الأشكال المعمارية ... بل إنه في هذه الحالة سيكون رساماً مبدعا أو بالأحرى فناناً إلى حد ما يهتم بترتيب الأشكال والألوان والعناصر الفنية.

إن الدور الحقيقي للمهندس المعماري هو ابتداع فلسفة العمارة من واقع المجتمع الذي سيؤول إليه المبنى المعماري، أكان المبنى منزلاً أو مبنىً إدارياً أو مدرسة أو حتى مصنعاً أو غيره.

إن إيجاد مركزية في البيت، مركزية بكل معنى الكلمة هي بمعنى آخر ربط كافة أفراد الأسرة بنقطة تتمحور حولها الأسرة بمشاكلها وهمومها وأفراحها وأتراحها ، كما أن إيجاد منطقة مركزية في مدرسة ما تطل عليها كافة الفصول والمكاتب الإدارية تؤدي إلى وحدة المنظور والتوجه عند رائدي المدرسة وتساعد في التوجيه والتربية.

على أنه لا يجوز للمعماري أن يفرض نمطاً فلسفياً معيناً على المبنى قد يتضارب مع فلسفة المجتمع أو لا يتفق مع رؤية المالك الذي في كثير من الأحيان يفرض رؤيته.

إن استلهام التراث يكون بإعادة استعمال العناصر المعمارية والحلول المعمارية في الموقع المناسب ، وسنرى ذلك في بعض الأمثلة التي تم بنائها في الفترة المعاصرة... إن دخول التكنولوجيا الحديثة بشكل جذري في العمارة وتقديمها لحلول لا يمكن الاستغناء عنها في العصر الراهن، سيسمح عند التفكير الساذج بإلغاء عناصر معمارية تراثية، فدخول أجهزة التكييف والتهوية وتقدمها ألغى فكرة ملاقف الهواء "البادكير" كحل تراثي لتكييف المبنى ... فهل هذا يعني إلغاء البادكير؟ . . إن الجواب بكل جدية هو لا . . !! . . إن البادكير (ويسمى أحياناً برج الهواء) هو ملقف وظيفته نقل عنصر فيزيائي من الخارج إلى الداخل، فما المانع أن يكون هذا العنصر هو الضوء مثلاً ، إن دخول التكنولوجيا قد ألغى فكرة الحوش الداخلي المفتوح إلى السماء نتيجة لضرورة حصر نتائج أجهزة التكييف ... ولكن هذا لا يعني أبداً إلغاء فكرة الحوش الوسطي كمركز في المبنى ، إذ أنه لم يزل قادراً على أن يشكل مركزاً للبيت أو أي مبنىً آخر، ويجلب النور من الجوانب ويجمع العنصر البشري حول

مركز معين، وسيكون هذا العنصر المعماري حلاً ممتازاً في مدرسة داخلية مثلاً أو في مبنىً إداري .

لقد قدم المعماري في مثالنا التالي حلاً رائعاً لاستعمالات عناصر التراث مع عدم إهمال ضرورة استخدام التكنولوجيا والاستفادة منها إلى أقصى حد كما أنه يوضح تماماً كيف انه بنتيجة دخول السيارة إلى النسيج العمراني ونتيجة لاستقرار عنصر الأمان ونتيجة لاهتمامه بالبيئة المحيطة بالمبنى، فقد استطاع الانفتاح نحو الخارج مع المحافظة على مركزية قوية داخل المبنى ويتكون هذا المركز من حوش مغطى يدخل النور من الأعلى ولكن هذه المرة من الجوانب، واستعمل البادكير " ملاقف أو أبراج الهواء " لتلقف النور وعكسه نحو الداخل بصورة ملموسة ... إن مدرسة الشقب للبنات وهي مثالنا هي نموذج يستحق التوقف عنده لدراسة استلهام التراث المعماري العربي والإسلامي .

لقد استطاع المعماري هنا أن يحافظ على العنصر المعماري بروحه الأساسية، فالمركزية كانت ضرورية في هذه المدرسة وبما أن الحوش الداخلي هو أفضل الحلول المركزية فلماذا لا يتم استعماله ... كما أن استعمال هذا الحوش لا يعني التوقف عند حلوله التقليدية، بل أن التكنولوجيا الحديثة دخلت إلى المبنى دون أن تؤثر بأي شكل من الأشكال على المستوى الراقي في الهندسة المعمارية .

وإذا عدنا إلى التراث ومبانيه نجد أن الكثير، لا بل أكثر المداس في العصور الإسلامية كانت تتجه نحو المركزية بشكل حوش كبير وسطي مفتوح .

من جانب آخر يجب أن نتوقف عند نقطة مهمة كانت مصدراً رئيسياً في التراث . . وهي فلسفة العمارة كانت استجابة لضرورة التكيف مع البيئة وليس مغالبة هذه البيئة .

وبمعنىً آخر أن إبداعات التراث هي نتيجة لدراسة متعمقة لعناصر البيئة كافة ... أي العوامل الاجتماعية والمناخية والاقتصادية وغيرها ... ومن ثم دراسة الإمكانيات للتكيف معها والتأقلم معها وابتداع الحلول للحول دون تأثيراتها السلبية والإبقاء على تأثيراتها الإيجابية وابتداع وسائل المحافظة عليها واستغلالها ... وكذلك اثّر العامل الاقتصادي في ذلك وأصبحت مواد البيئة هي الأساس في مادة العمارة .

كما لا يجب أن يغيب عن بالنا أن التأثيرات الفكرية المتبادلة كانت ضمن السيطرة، فمن المعلوم أن الحج كان ملتقى الكثير من الخبرات، وكانت فترة الحاج فترة تبادل الخبرات بين مناطق العالم الإسلامي، ولكن كان المعماريون يأخذون ما يناسب بيئة كل منهم فيوظفونها في المكان المناسب في عمارته .

إن الأمر مختلف اليوم ، فأصبح تبادل الخبرات أوسع بكثير، وبلغت الذروة مع فجر عالم المعلوماتية التي وضعت كافة المعلومات من أقاصي الأرض في خدمة الفرد والمجتمع ... والمشكلة أصبحت من نوع آخر، هو كم هائل من المعلومات ليس من اليسير السيطرة عليه، فأصبحت الخبرات والأفكار وإبداعات التكنولوجيا الحديثة متيسرة في متناول اليد ... وتبقى النقطة الأهم التي لم تغب عن معماري التراث هي أنه كان يأخذ ما هو مناسب له ولم يأخذ كل ما تصل إليه عيناه وأفكاره .

إن الموقف من الحضارة الغربية هو الأساس في فلسفة تطور عمارتنا ، فكما أن الغرب يرفض دخول عناصر عمارتنا مبانيه إلا في المواقع التي يراها مناسبة في عمارته ، فلماذا لا نأخذ هذه الفكرة منه وإن كانت أصلاً من بلادنا وتراثنا ؟ . .

فالمعماري العربي لا يستطيع العمل أو تطبيق أفكاره المبنية على أساس المجتمع العربي والتراث العربي الإسلامي في أمريكا الشمالية مثلاً ، لأنه وبكل بساطه لا تتناسب مع ذلك المجتمع والخط الحضاري الموجود هناك .

إننا اليوم أمام موقف يجب اتخاذ القرار فيه ، هل نسير في خطى العمارة العالمية إن صح التعبير : " عمارة الزجاج والحديد والأسمنت " ونلغي عمارتنا في تراثنا ؟ لسبب أن هذه العمارة العالمية تبهرنا بسحرها وعظمتها وشموخها ، ونقدم حلولاً جاهزة من اليسير نقلها ولكنها لا تتناسب مع مجتمعنا وتعاكس اتجاهه ، وبالتالي نستورد مشكلة ثم نحاول معالجتها وحلها .

إنه ليس بالأمر السهل رفض هذه العمارة الغربية سيما وأنها تفرض حضورها أمامنا في كافة المجتمعات المتقدمة ، لا بل أنها تعطي صورة من صور العالم المتحضر .

من جهة أخرى هل فقدنا الثقة بتراثنا المعماري وقدرته على الارتفاع إلى مستوى الحضارة المعاصرة ، أي بمعنىً آخر هل أن تراثنا لا يستطيع الاستجابة بحلوله وفلسفته وطرزه ونماذجه أن يلبي حاجات الحياة المعاصرة ... ؟؟

إن الإجابة على هذا السؤال يقدم الجواب الشافي ... إن تراثنا المعماري هو غنى ويستطيع بتواصلنا معه أن يقدم ما صبو إليه ... التراث لوحده لا يقدم سوى صور ولوحات وأفكار ولكن التواصل معه وتطويره وعصر نته هو الذي يرفع من مستواه إلى مستوى المعاصرة .

تطوير العمارة القطرية المعاصرة بما يخدم روح التراث العربي الإسلامي

إن العمارة القطرية هي جزء من العمارة العربية الإسلامية ، والتي أخذت طابعها المحلي وفقاً لظروفها الاجتماعية والمناخية الخاصة ، وتقترب كثيراً من عمارة الخليج بشكل خاص وبالعمارة في المنطقة العربية بشكل عام ... و نلاحظ هذا في عمارة الدور والمساجد والأسواق وحتى المباني العسكرية في قطر و التي سمتها الأساسية البساطة مع إضافة بعض النقوش والزخارف الإسلامية لكسر رتابة الصحراء المحيطة . . وقد تأثرت العمارة القطرية بالمناخ شأنها في ذلك شأن كافة أقطار الخليج العربي . . فاستخدمت الفتحات الضيقة في الواجهات للتقليل من أشعة الشمس الداخلة للمبنى واستخدمت أبراج الهواء كما أسلفنا لهذا الغرض وكذلك سطوح المساكن للنوم صيفاً لذلك كانت (وارش) ستارة السطح عالية لتأمين الخصوصية .

وكذلك تأثرت العمارة القطرية بالمواد المتوفرة و الحالة الإنشائية فلجأ البناءون إلى إنشاء الفضاءات الضيقة حيث كانت تستخدم (الدنشل) خشب الخيزران و سعف النخيل لبناء الأسقف . وكانت الأبنية من الحجر

والطين والجبس و سعف النخيل و كلها مواد محلية و يستورد خشب الدنشل من شرق أفريقيا . كذلك تأثرت بالحياة الاجتماعية كما كافة الأقطار العربية والإسلامية و تم شرح ذلك مسبقاً .

و لكن بعد الثورة الصناعية العالمية التي أحدثت تغييرات جذرية شاملة قلبت أوضاع الحياة و نظم المجتمعات وغيرت وجه الأرض وحولت بيئة الإنسان من مجتمعات ريفية و بلدان صغيرة إلي كتل بشرية ومكدسة في مدن صار تعدادها يقاس بالمليون .

ومن البديهي القول أن كل جزء من الوطن العربي له دور يجب أن يكون فعالاً لاستنهاض التراث وعصرنته، وقد قامت العديد من الحركات المعمارية في البلاد العربية من العراق إلى مصر إلى المغرب غرفت من التراث . . من فلسفته، من أشكاله وعناصره وحلوله محاولةً الوصول إلى الاستجابة إلى متطلبات العصر الحديث دون المساس بروح التراث وأصالته .

ولقد خطت العمارة القطرية خطوات هامة في هذا المضمار بعد ظهور الحركة المعمارية الواسعة في أواخر القرن العشرين آخذة من التراث المعماري دليلاً يضيء الطريق نحو عمارة حديثة لا تبتعد عن المعاصرة ، وتنشد السمو في الأشكال المعمارية التراثية واستعمالات عناصرها وروحها وفلسفتها ، مما جعلها إلى حد بعيد أصيلة الروح .

ولا بد هنا من الوقوف برهة، وتقسيم مراحل تطور العمارة القطرية لتسهيل دراستها حسب تغيير المعطيات الاقتصادية والتي أثرت بشكل كبير على الناحية المعمارية بطريقة مباشرة، وذلك بالتغير الاقتصادي المترتب على ازدياد السيولة النقدية بعد ظهور النفط وبطريقة غير مباشرة لما لظهور النفط من تأثيرات على الناحية الاجتماعية والبيئية وبالتالي ينعكس هذا التغير على العمارة .

وقد أثرت تقسيم هذه المراحل إلى ما يلي :-

١ . مرحلة ما قبل النفط :

وهي المرحلة التي كان يعتمد فيها سكان منطقة الخليج وقطر على الموارد البحرية بشكل رئيسي، فكان اتجاه نمو العمران على طول الواجهة الخليجية حيث يستفيد السكان من صيد السمك والغوص على اللؤلؤ والتجارة المتبادلة بينه وبين بقية المدن في الهند وأفريقيا وبلاد فارس وصولاً إلى الشرق الأقصى مستفيداً من الميناء البحري .

وكان النمو بطيء عضوي الشكل وكانت الشوارع والطرق ملتوية لأن الانتقال كان يتم سيراً على الأقدام أو على الدواب ، وكان البناءون يعملون بلا مهندس ولا لوحة رسم ، حيث كانت الحرف متوارثة ، كان المعماري ينحت الحجر مثلاً فيزيل الزائد وبذلك يضفي روحانية خاصة على الحجر ، ويستخدم مواهبه في علاقة جدلية مع ذلك الحجر الذي سيضعه في قبة أو مئذنة أو روشنة ، ولأن المادة غالية فقد كان الإنسان يتفاعل مع المادة ويعتني بها ، وكان حينئذ يستخدم مواد محلية كالطين والحجر البحري ، وللسقوف سعف النخيل فيستورد

خشب أشجار الخيزران من شرق أفريقيا وتبعاً لطول هذه الأخشاب كان يصنع أبعاد غرفته ، ولذلك كان إذا أراد أن يزيد مساحة الغرفة كانت يزيدها طولاً ولا يستطيع أن يغير من عرض الغرفة .

استخدمت الزخارف المستوحاة من العمارة الإسلامية بكثرة ، فكما ذكرنا كان يحاول المعماري أن يخلق حواراً بينه وبين الحجر ، فيزيد من نقوشه ، لأن الطبيعة الصحراوية المستوية أعطته البساطة والرحابة ، حاول أن يكسرها بإضافة هذه النقوش ، وكان لون الأبنية طيني رملي كلون الصحراء .

وكان التلاحم بين أبناء الحي الواحد ووحدة المصير ووحدة النمط السكني والحياة الاجتماعية قد ولدت طابع معماري واحد أثّر على نمو المدينة القطرية والخليجية وعلى أشكال الدور المبنية .

٢ . مرحلة بداية ظهور النفط :

بدأ تأثير ظهور النفط في هذه المرحلة في الأربعينات ، حيث بدأت تتغير طرق الانتقال وبدأت تزيد السيولة النقدية وكان لا بدمن تغيير استعمالات الأرض ... وفي هذه المرحلة بدأت الأيدي العاملة الوافدة والهجرات التي تحمل معها خبرات مختلفة من الخارج ... وكان لذلك كله الأثر على الناحية المعمارية ، حيث تغيرت المواد المستعملة وبدأ البناءون يستعملون الحجر والجبس والألوان المختلفة ، ولكن التغييرات المعمارية كانت عشوائية وغير مدروسة فلا قوانين ولا مخططات تحكم عملية التغيير ، وكان التغيير متسارعاً بطريقة يصعب السيطرة عليها ، ودخلت السيارة إلى الأحياء الكبيرة ... مع الاحتفاظ بالإحياء الصغيرة الضيقة ... وتغيرت وجهة عمل رب الأسرة وأصبح تغيبه عن البيت منتظماً بعض الشيء ... هذه المرحلة لم تشهد أيضاً ظهور المهندس المعماري المتفهم لبيئته ومتطلباته الاجتماعية ، ولذلك لم تستطع المرحلة أن تواكب التطور المتسارع والحضارة القادمة من الغرب ... مع القوة الجاذبة الآتية من الماضي .

ولم توفر التكنولوجيا الحلول الكاملة لمشكلات بيئية مثل الحر ، حيث توفرت وحدات التكييف ولكن ليس لكل أجزاء المسكن ، فبدأ يختفي برج الهواء مع إبقاء الفناء الداخلي .

٣ . مرحلة ما بعد ظهور النفط :

ونعني بها المرحلة الحالية ، وبدأت في السبعينيات ، والتي تشهد نهضة متسارعة على كافة النواحي ، ولم يغفل مهندسونا في هه المرحلة مسألة التراث بل نجد الكثير من المباني التي استلهم فيها المعماري فكرته المعمارية من مباني تراثية تحمل في طياتها نفحات الماضي وروحه الخلاقة ، وأستعمل العناصر المعمارية الجميلة لإضافة روح جديدة على عمارته .

ولا نقصد هنا أنه كل من استخدم الأقواس والزخارف الجبسية يكون قد استلهم التراث فهو لذا معماري مبدع ! ، ولكن أن يستخدم المعماري التراث في مكانه المناسب ويستوحي من العناصر المعمارية والأفكار التراثية ما يحل مشاكل حالية مثلاً أن يستخدم الزخارف الجبسية المنقوشة لتغطية فتحات التكييف أو يستفيد من هذه الزخارف لتغطية النوافذ فيعطي الخصوصية ويقلل من حدة الشمس فهذه حلول لمشاكل حالية مستلهمة من

عناصر استعملها أجدادنا .

لذلك فإننا نعتبر هذه المرحلة هي مزج بين الحضارة الغربية والعمارة التراثية بين التقنية الحديثة وإبداع القديم ... وبوجود المواد المعمارية الحديثة ذات اللون والملمس المختلف ازداد التنوع ... وكذلك بعد توفر السيولة النقدية وتوفر الحلول الإنشائية لكل طموحات المعماري ... وتوفر الاتصالات العالمية التي سهلت من تراكم الخبرات في المكان والزمان الواحد، مع كل هذا التنوع في الشكل واللون والحجم بقيت عمارتنا تحمل طابع معماري مميز بلا شك يميزها عن نظيراتها في أوروبا وأمريكا مثلاً .

في نهاية هذه الدراسة المتواضعة يمكننا تلخيص ما جاء فيها من أفكار واعتبارات بما يلي :

١ . أنه لا يمكن بأي شكل من الأشكال تجاهل الناحية الروحية الكامنة في فكرنا المليئة بإفرازات ونتائج الماضي .

٢ . في نفس الوقت لا يمكن تجاهل الحضارة الغربية وما أحدثته من تغييرات في العالم أجمع .

٣ . أن العمارة الحالية في قطر هي خليط غير ناضج التكوين من الحضارة الإسلامية العربية والغربية . دعونا ننتظر نضوجه .

٤ . يجب أن لا نغفل تغيرات الحياة الطبيعية فنحن لا يمكن أن نعيش كما عاش أجدادنا في الماضي شئنا أم أبينا ، فهناك اختلافات بين الحياة القديمة والحديثة .

٥ . إن لكل حضارة سلبيات وإيجابيات ، فليس كل ما هو ماضي جميل وليس كل حاضر مرفوض .

٦ . العلاقات والاتصالات والتواصل بين المجتمعات عبر الزمان والمكان أصبحت أكثر سهولة من الماضي ، ولذلك فإن التغييرات أصبحت متسارعة .

٧ . عملية تراكم الحضارة تخلق نوع من المزج الرائع ... الذي يعتبره الكثيرون هو المشكلة ، وفي وجهة نظري هو الطابع المعماري الناتج الطبيعي عن هذه التراكمات والتواصل الحضاري والفكري عبر الأمكنة والأزمنة .

٨ . في قطر توافرت الظروف لخلق تكوين معماري حديث موازي للعمارة الخليجية التي جمعت بين العمارة العربية التراثية والإسلامية والعمارة المعاصرة الآتية من الغرب مع تأثيرها بتيارات الحضارات المجاورة كالحضارة الفارسية والهندية .

تعريفـــات معماريـــــة

الأبراج الهوائية، البادكير Al Barajeel

كانت تستعمل كوسائل لتبريد الغرف في الأسفل وتسهيل حركة دورات الهواء فيها ، حيث أن جوانبها الأربعة عبارة عن فتحات صممت بطريقة لتدفع الريح إلى داخل البيت ، ويضبط قوة دفعها مصاريع خشبية تثبت على الجهات الأربع والتي من الممكن إغلاقها عند اختلاف عوامل الطقس وبرودته .

هذه الأبراج تستطيع أن تجذب الهواء والريح من جميع الاتجاهات وأن تدفعه إلى البيت، فلم يكن على المرء إلا أن يفتح المصراع المقابل لهبوب الريح ويغلق البقية، وكانت البراجيل في الأيام الرطبة تولد تياراً هوائياً داخل البيت، أما عندما يكون الطقس جافاً وهو أمر نادر الحدوث فإن هذه الأبراج تفقد فاعليتها لأنها تحتاج إلى هواء رطب، وإذا لم يكن هناك تيار هواء فإنها تصبح عديمة الفائدة وفي فصل الشتاء يندفع التيار إلى الداخل حتى ولو كانت المصاريع مغلقة".

الدنجل أو الدنشل

خشب من شجر الخيزران (البامبو) يستعمل في السقوف مستورد من شرق أفريقيا.

الحـــوش

هو الفناء أي الجزء الأوسط من المسكن أو أي مبنى كالمدرسة و مفتوح أعلاه و محاط بالمرافق الأخرى و يمكن أن يكون في البيوت الكبيرة أكثر من فناء؛ فناء لأهل البيت و آخر للضيوف وفناء للحيوانات.

الساباط أو الليوان (ARCADE)

هو الشرفة المطلة على الحوش.

ملاقـط الهـــواء

الفتحات التي تدخل الهواء إلى الغرف جانبياً.

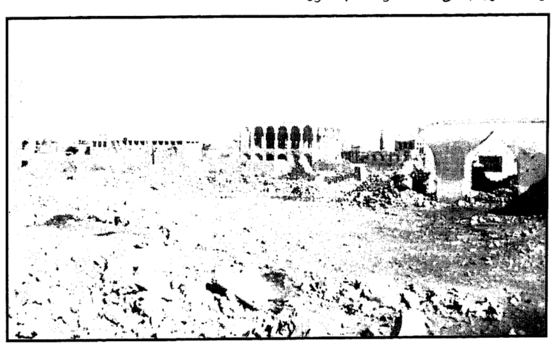
الـــوارش

ستارة السطح و عادة تكون المطلة على الخارج مصمتة بها ملاقط للهواء لمنع الرؤية ودخول الهواء

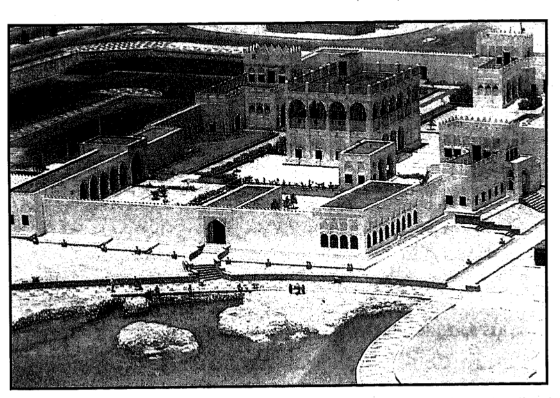
النيش أو الروشنة

هو مكان توضع به أغراض ويكون محفور في الجدار باستغلال سمك الجدار.

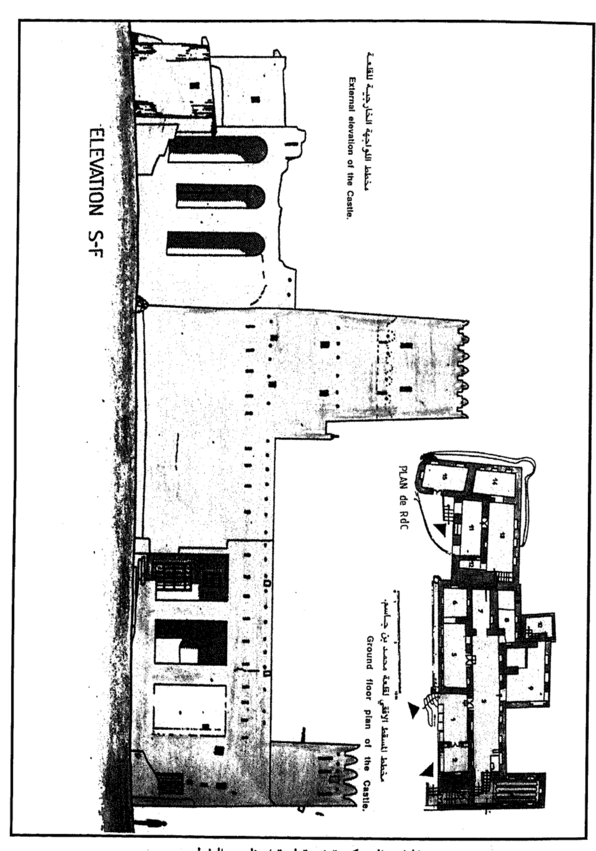
دعونا الآن نورد بعض الأمثلة الموضحة بالصور.

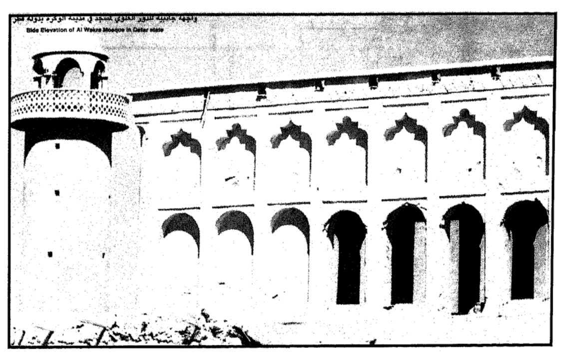


منظر عام للقصر قبل الترميم ١٩٧٠م . A General View of the Old Amiri Palace before restoration

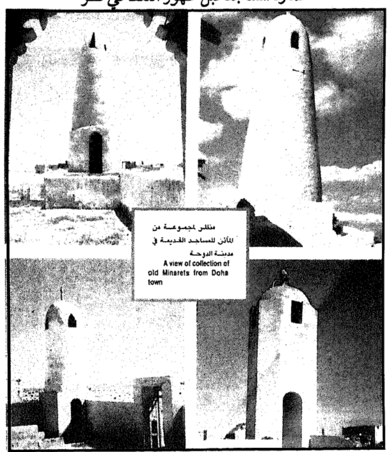


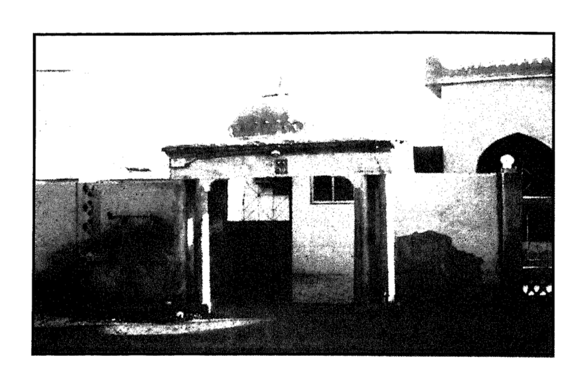
منظر عام للقصر القديم من الجو بعد الترميم ١٩٧٩م.. An Air View of old Amiri Palace in the Museum just after restoration. (Taken 1979).


مخطط الواجهة الخارجية للقلعة
External elevation of the Castle.
ELEVATION S-F
PLAN de RdC
مخطط المسقط الأفقي لقلعة محمد بن جاسم
Ground floor plan of the Castle.

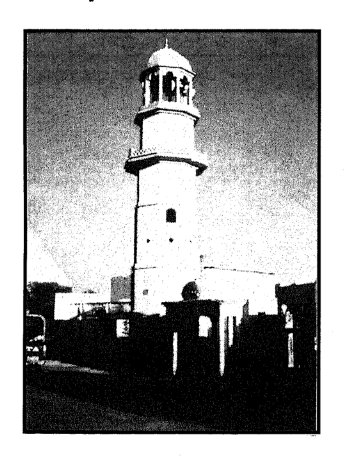

واجهة جانبية للدور العلوي لمسجد في مدينة الوكرة بدولة قطر
Side Elevation of Al Wakra Mosque in Qatar state

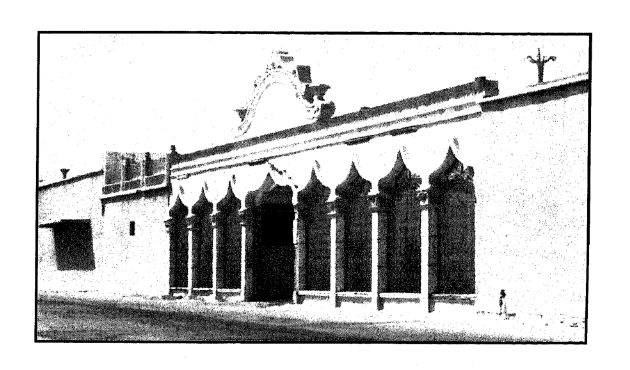
عمارة المساجد قبل ظهور النفط في قطر

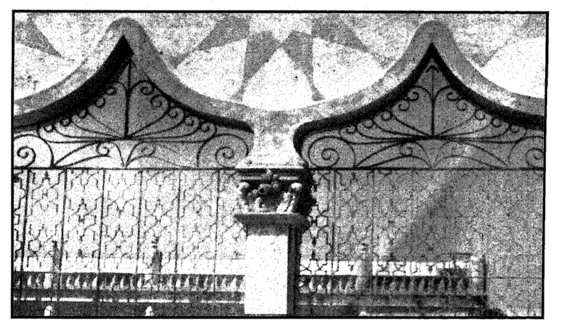

منظر لمجموعة من المآذن للمساجد القديمة في مدينة الدوحة
A view of collection of old Minarets from Doha town



عمارة المساجد بعيد ظهور النفط في قطر







بعيد ظهور النفط في قطر

اسم المشروع :

مجمع خليفة للتنس والاسكواش - نادى الدانة -

الموقـع :

الدوحـة - قطـر

مدير المشروع :

وزارة الشئون البلدية والزراعة / إدارة هندسة المباني

المالـك :

الإتحاد القطري للتنس والإسكواش

الجهة المنفذة للمشروع وأعمال المقاولات :

شركة لوتس للتجارة والمقاولات

مصمم المشروع

المعماري : إبراهيم محمد الجيدة

المكتب الاستشاري :

رايس بيري أليس

تاريخ إنتهاء العمل :

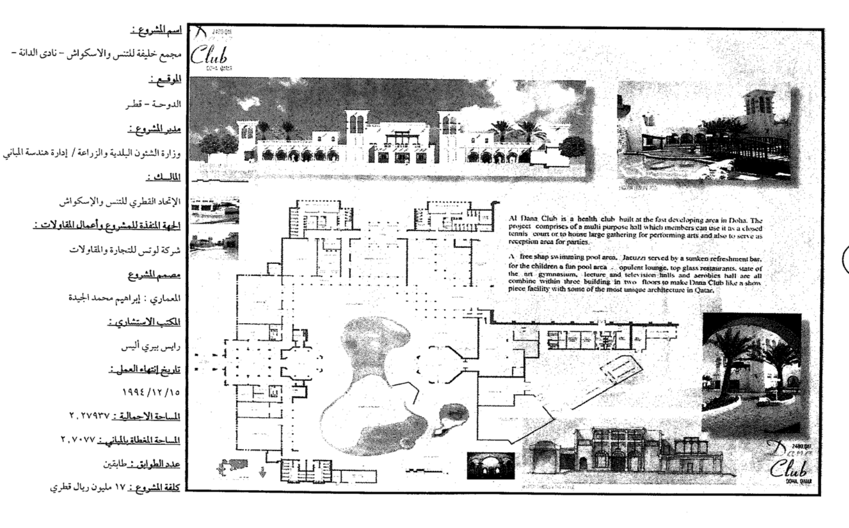
١٩٩٤/١٢/١٥

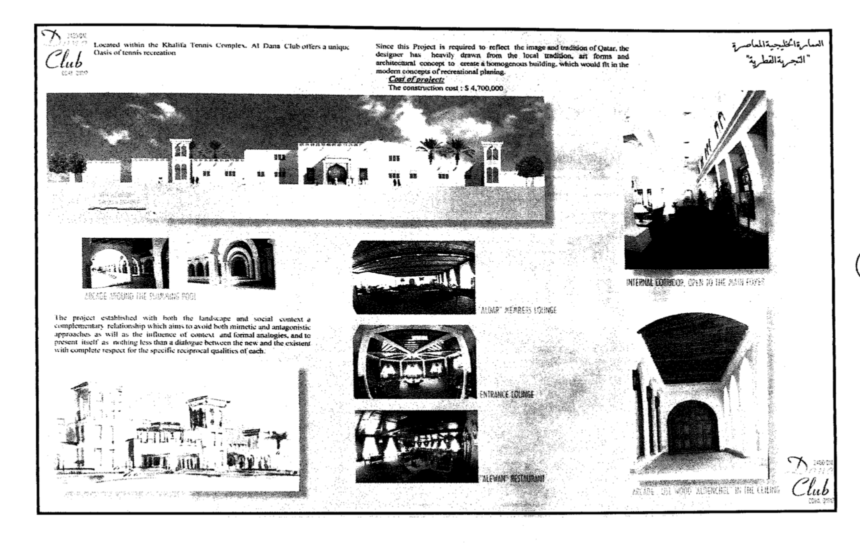
المساحة الاجمالية : ٢,٢٧٩٣٧

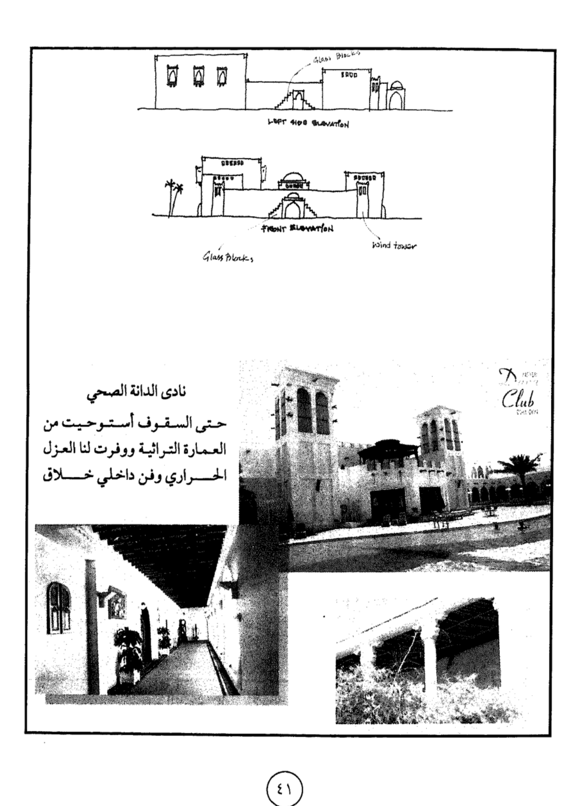
المساحة المغطاة بالمباني : ٢,٧٠٧٧

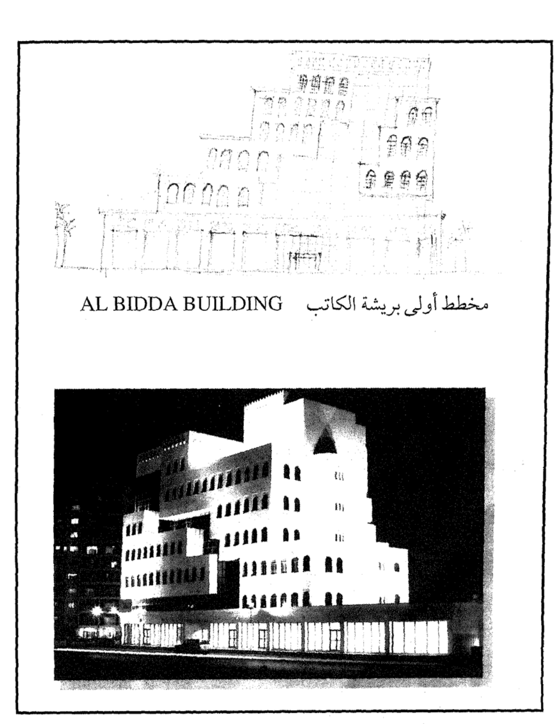
عدد الطوابق : طابقين

كلفة المشروع : ١٧ مليون ريال قطري




العمارة الخليجية المعاصرة
"التجربة القطرية"
Club
Located within the Khalifa Tennis Complex, Al Dana Club offers a unique Oasis of tennis recreation
Since this Project is required to reflect the image and tradition of Qatar, the designer has heavily drawn from the local tradition, art forms and architectural concept to create a homogenous building, which would fit in the modern concepts of recreational planing.
Cost of project:
The construction cost : $ 4,700,000
ARCADE AROUND THE SWIMMING POOL
The project established with both the landscape and social context a complementary relationship which aims to avoid both mimetic and antagonistic approaches as will as the influence of context and formal analogies, and to present itself as nothing less than a dialogue between the new and the existent with complete respect for the specific reciprocal qualities of each.
"ALDAR" MEMBERS LOUNGE
ENTRANCE LOUNGE
"ALEWAN" RESTAURANT
INTERNAL CORRIDOR, OPEN TO THE MAIN FOYER
Club


Glass Blocks
LEFT SIDE ELEVATION
FRONT ELEVATION
Glass Blocks
Wind tower
Club
نادى الدانة الصحي
حتى السقوف أستوحيت من
العمارة التراثية ووفرت لنا العزل
الحراري وفن داخلي خلاق



مخطط أولى بريشة الكاتب AL BIDDA BUILDING

برج البدع في الدوحة مثال للمزج بين الماضي والحاضر

المشروع : معهد الشقب للبنات

الموقع : الريان، قطر

المالك : مؤسسة قطر للتربية والعلوم وتنمية المجتمع

المكتب الاستشاري : المكتب العربي للشئون الهندسية

المقاول الرئيسي : شركة الريان للمقاولات والتجارة

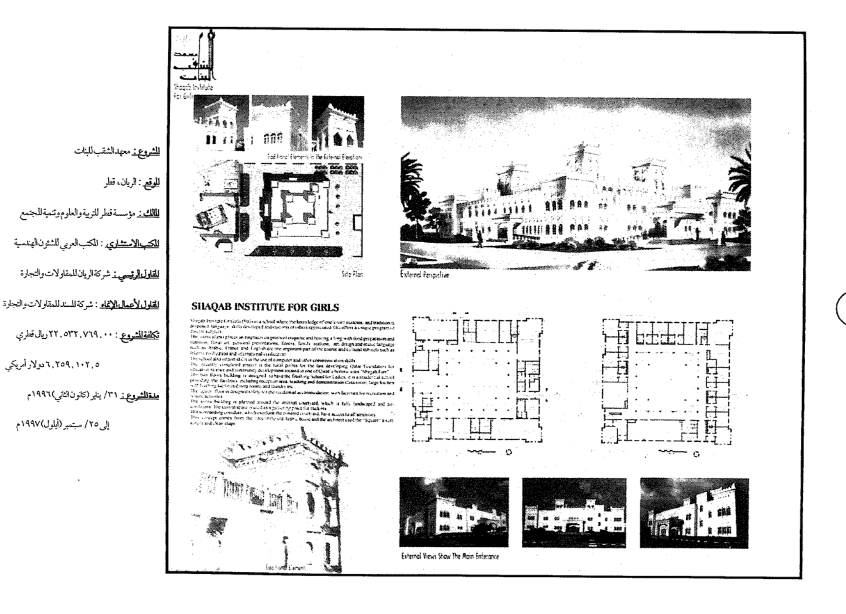
المقاول لأعمال الإنهاء : شركة المسند للمقاولات والتجارة

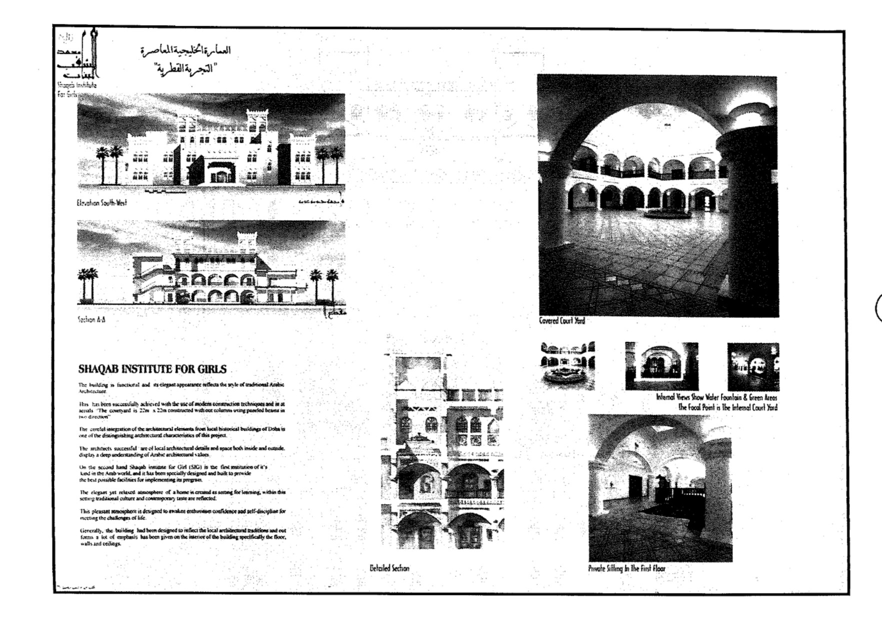
تكلفة المشروع : ٢٢،٥٣٢،٧٦٩،٠٠ ريال قطري

٦،٢٥٩،١٠٢،٥ دولار أمريكي

مدة المشروع : ٣١/ يناير (كانون الثاني) ١٩٩٦م

إلى ٢٥/ سبتمبر (أيلول) ١٩٩٧م





SHAQAB INSTITUTE FOR GIRLS

The building is functional and its elegant appearance reflects the style of traditional Arabic Architecture.

This has been successfully achieved with the use of modern construction techniques and in at actuals "The courtyard is 22m x 22m constructed with out columns using paneled beams in two direction"

The careful integration of the architectural elements from local historical buildings of Doha is one of the distinguishing architectural characteristics of this project.

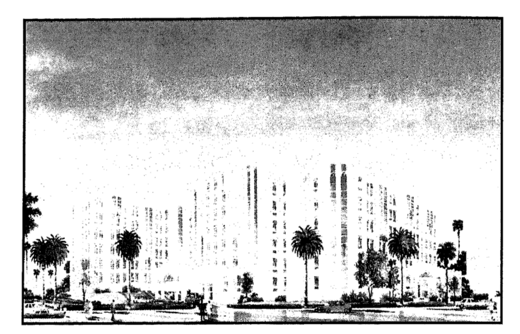
The architects successful are of local architectural details and space both inside and outside, display a deep understanding of Arabic architectural values.

On the second hand Shaqab institute for Girl (SIG) is the first institution of it's kind in the Arab world, and it has been specially designed and built to provide the best possible facilities for implementing its program.

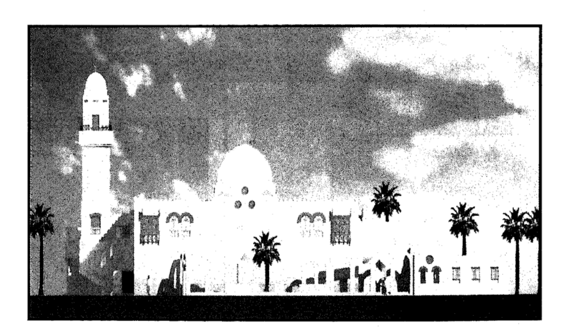
The elegant yet relaxed atmosphere of a home is created as setting for learning, within this setting traditional culture and contemporary taste are reflected.

This pleasant atmosphere is designed to awaken enthusiasm confidence and self-discipline for meeting the challenges of life.

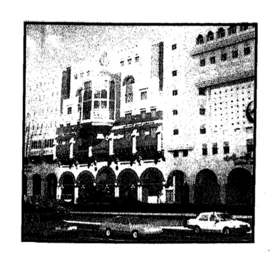
Generally, the building had been designed to reflect the local architectural traditions and out forms a lot of emphasis has been given on the interior of the building specifically the floor, walls and ceilings.



Elderly People Accommodation



المسجد الكبير في النجادة

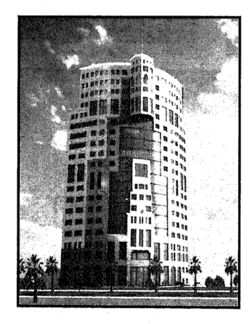


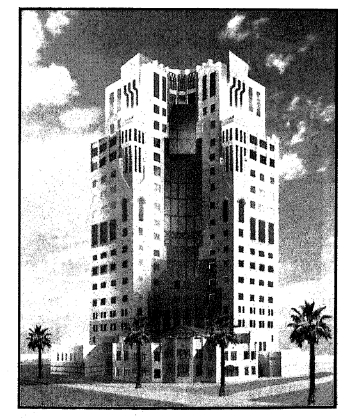


بنك قطر الدولي الإسلامي



سفارة قطر في السودان

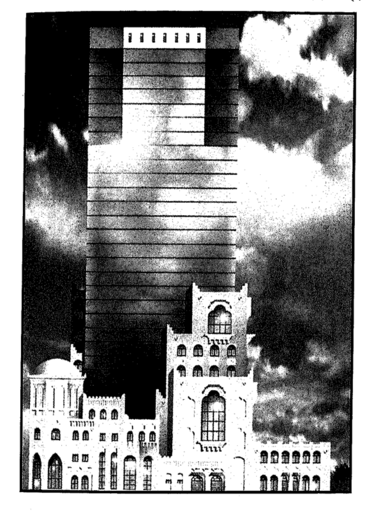




برج وزارة الداخلية



برج برزان



يعتبر هذا البرج تحدياً كبيراً حيث استطاع المعماري أن يوفق في إدارة استخدام العناصر المعمارية التراثية والتي تستعمل عادة في العمارة الاسلامية في بناء لا يتعدى إرتفاعه أربعة طوابق، وهنا استخدم نفس العناصر في نسب جمالية في برج يتألف من ٢١ طابق فكانت النتيجة ذلك التكوين المتآلف من مبنى تراثي ينبثق منه مبنى معاصر مغلق بالزجاج والألومنيوم، ووفق المعماري في إختيار الألوان كذلك فكان الزجاج هو مياه الخليج العربي الزرقاء والمبني الذي يحتضنه هو الصحراء. وهذا منهج المصمم في تأثره بالبيئة والتراث.

المبني يتكون من مكاتب مع خدماتها وقاعات متعددة الأغراض مع مواقف كافية للسيارات في السرداب والطابق الأرضي.

اسم المشروع :

برج برزان ، بناية مكاتب تتألف من ٢١ طابق

الموقع :

الخليج الغربي ، الدوحة – قطر

المالك :

سعادة السيد/ عبد الله بن خليفة العطية

المكتب الاستشاري :

المكتب العربي للشئون الهندسية

المصمم :

المعماري : ابراهيم محمد الجيدة

أعمال المقاولات والتنفيذ :

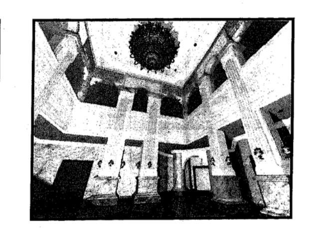
كونتراكو للأعمال الهندسية

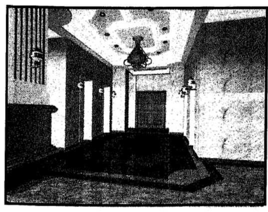
مساحة الأرض ٦٠٣٧م٢

المساحة المغطاة بالمباني : ١٨, ٢٢,٨٢٥ م

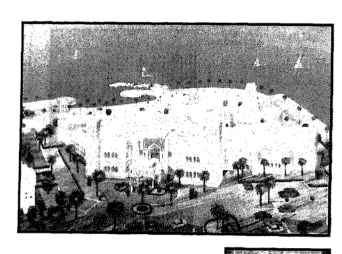
كلفة المشروع : ٦٤ مليون ريال قطري

حالة المشروع : لا يزال قيد الإنشاء وقد بدأ العمل فيه



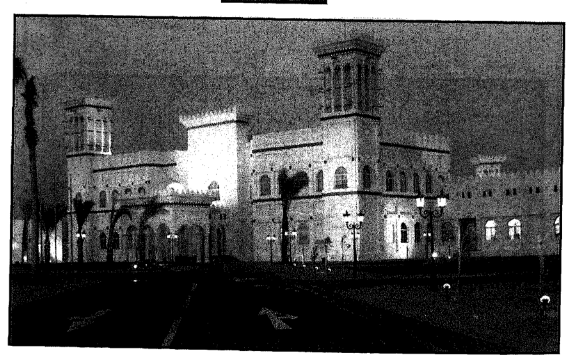


النادي الصحي الدبلوماسي



اسم المشروع :
النادي الصحي الدبلوماسي
الموقع :
بحيرة الخليج الغربي ، الدوحة – قطر
مدير المشروع :
مصرف قطر الإسلامي
المالك :
وزارة الشئون الخارجية
المكتب الإستشاري :
المكتب العربي للشئون الهندسية
المصمم :
المعماري : إبراهيم محمد الجيدة
أعمال المقاولات و التنفيذ :
شركة البلاغ للتجارة والمقاولات
المساحة الاجمالية لأرض المشروع : ١٦,٩٥٤م٢
المساحة المغطاة بالمباني : ٥,٩٧٤م٢
تاريخ إنتهاء العمل في المشروع : ١ مايو ٢٠٠٠
كلفة المشروع : ٢٥,٣ مليون ريال قطري





مبنى تجاري





إسم المشروع :

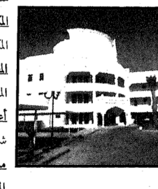
مبنى تجاري يضم معارض Honda, Volvo والمقر الرئيسي لمكاتب طيران الخليج ومكاتب وبنك ANZ Grindlays

الموقع :

الدائري الثالث ، الدوحة – قطر

المالك :

سعادة الشيخ / حمد بن جاسم بن جبر آل ثاني



المكتب الإستشاري :

المكتب العربي للشئون الهندسية

المصمم :

المعماري : إبراهيم محمد الجيدة

أعمال المقاولات والتنفيذ :

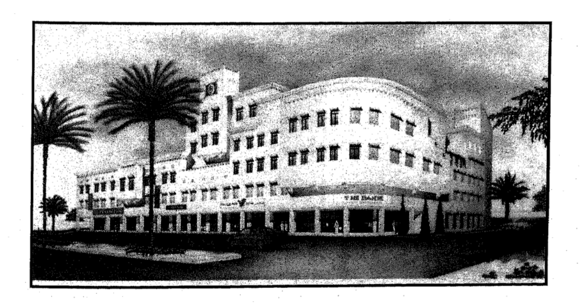
شركة الإنشاءات الإنمائية CDC

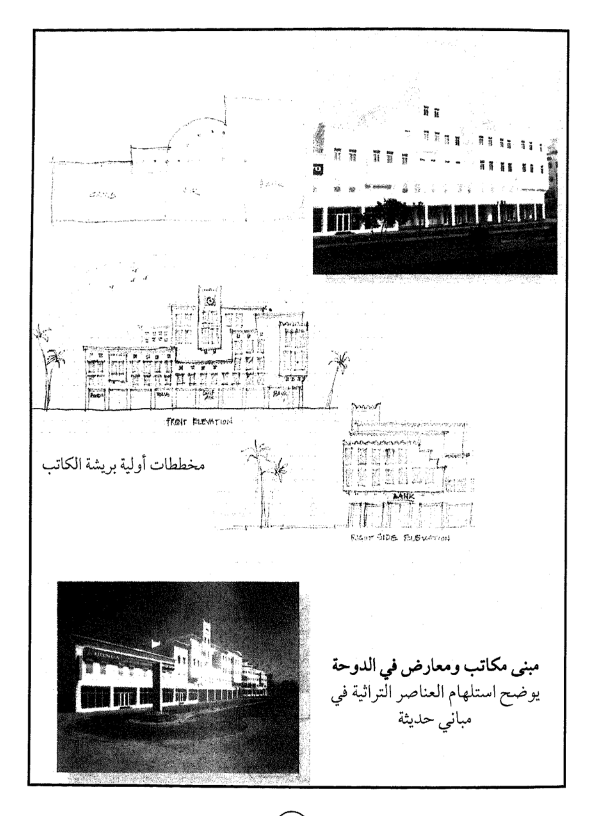
مساحة الأرض : ٩٧٧٠م٢

المساحة المغطاة بالمباني : ٣٠٦م٢

حالة المشروع :

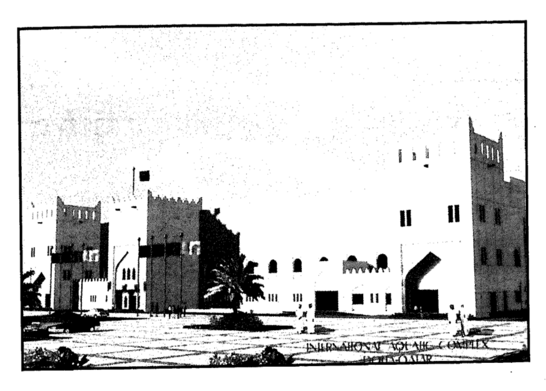
إكتمل العمل فيه عام ١٩٩٨

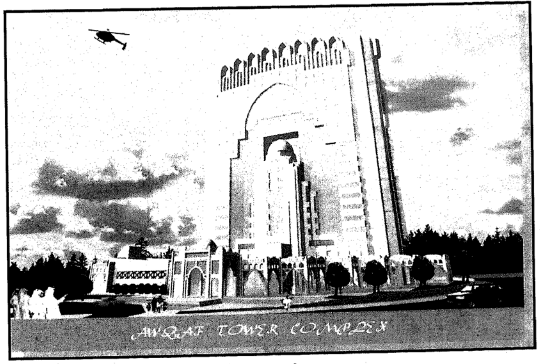




مخططات أولية بريشة الكاتب

مبنى مكاتب ومعارض في الدوحة
يوضح استلهام العناصر التراثية في
مباني حديثة



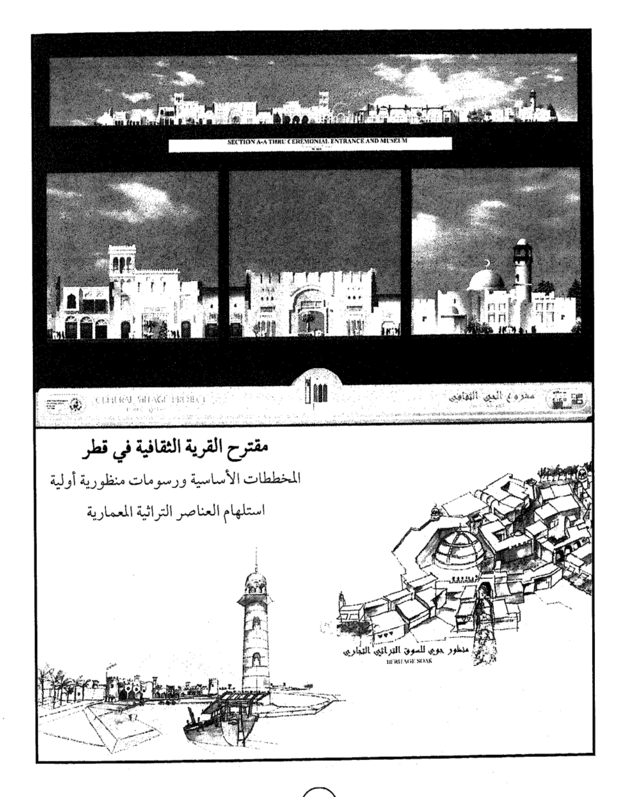


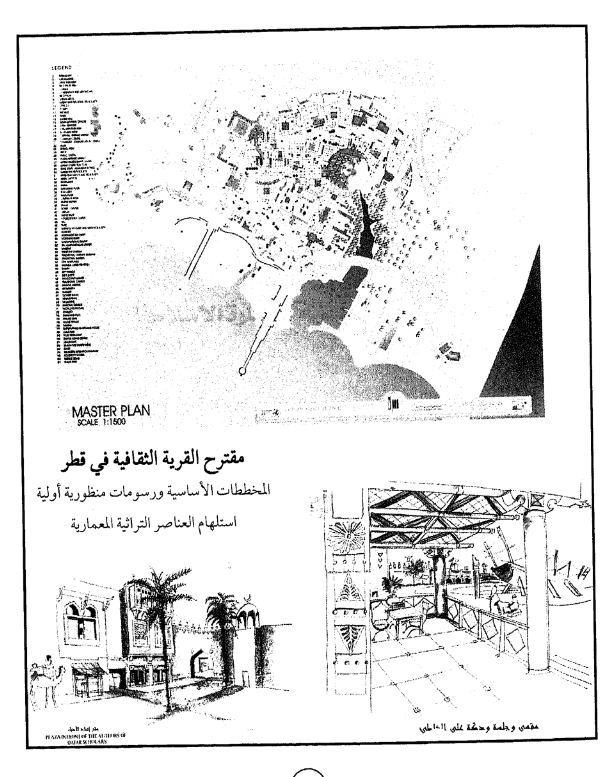
برج مجمع الأوقاف في الدفنة ، قطر

استلهام العناصر التراثية في عمارة ناطحات السحاب

الاستشاري : سيكو


مقترح القرية الثقافية في قطر
المخططات الأساسية ورسومات منظورية أولية
استلهام العناصر التراثية المعمارية
السوق التراثي التجاري
الزقاق أو السكة في الأسواق
VIEW ALONG SOUK STREET


SECTION A-A THRU CEREMONIAL ENTRANCE AND MUSEUM
مقترح القرية الثقافية في قطر
المخططات الأساسية ورسومات منظورية أولية
استلهام العناصر التراثية المعمارية
منظور جوي للسوق التراثي التجاري
HERITAGE SOAK



مقترح القرية الثقافية في قطر

المخططات الأساسية ورسومات منظورية أولية

استلهام العناصر التراثية المعمارية

المصـــادر والمراجـــع :

- د. غازي مكداش
  وحدة الفنون الإسلامية.

- المهندس/ أحمد حسن محمد الرستماني
  الخليج وتراثه المعماري

- د. حسن الخياط
  المدينة العربية الخليجية

- جميل عبد القادر أكبر
  عمارة الأرض في الإسلام

- محمد جاسم الخليفي
  العمارة التقليدية في قطر

- دراسة ميدانية



نـــدوة
التراث المعماري الاسلامي في الألفية الثالثة
١٨ - ٢٠ مـــارس ٢٠٠١

الخصائص البيئية للعمارة الإسلامية

المعماري جعفـر طوقــان

كانــون الثانــي ٢٠٠١

منذ بدايات القرن العشرين بدأ العالم العربي والإسلامي يتعرض لتأثيرات ما اصبح يسمى اليوم بالعولمة، ولا سيما في حقول المعرفة الإنسانية من فنون وآداب وفلسفة ناهيك عن مجالات التقنيات والاقتصاد والاتصالات. والعمارة كجزء من المعرفة الإنسانية لم تكن في مناعن هذا التعرض. اتساع السعي وراء العلم خارج العالم العربي والإسلامي خاصة وبالتحديد في الغرب. مركز الزخم القضائي والاقتصادي والعلمي الحديث، أدى إلى انتشار الفكر الغربي في مجال المعرفة الإنسانية في أوساط المجتمعات العربية والإسلامية. وكان انتشار هذا الفكر مدعوماً بالتأثير القوي الكاسح لوسائل الإعلام الغربية ودور النشر، إضافة إلى المناهج الجامعية. وحتى عندما بدأ التعليم العالي ينتشر في البلاد العربية والإسلامية ويتسع نطاقه كان لابد من المناهج الغربية في جامعاتنا كمصادر للاقتباس والتطوير.

لقد شهد الثلث الأخير من القرن العشرين بداية الإحساس بأهمية الخصوصية الثقافية لمجتمعاتنا العربية والإسلامية وأهمية الحفاظ على هويتها الثقافية في وجه ثقافة مادية بدأت بوادر طغيانها تظهر بوضوح على جوانب الحياة في مجتمعاتنا.

لقد بدأ الزحف الثقافي الغربي على العالم مع بداية الثورة الصناعية وازداد تسارعاً حتى أصبح اليوم في قمة تأثيره وقد جاء هذا التأثير ملازماً لمنظومة قيم جديدة. قيم مادية بحتة منسجمة مع الطبيعة المادية البحتة للصناعة من حيث زيادة الإنتاج لزيادة الربح.

للطبيعة دورة متكاملة تسير بموجبها كافة التغييرات التي تتميز بها الحياة على هذا الكون بشرية كانت أم حيوانية أم نباتية كذلك التحولات الجيولوجية والمناخية والكيماوية الخ ... وقد كان هم الإنسان منذ بداية تاريخه في هذا الكون هو كيفية التعامل مع هذه الطبيعة، فالتجأ إلى الكهف ومن ثم اخذ يبني ملجاه من المواد المتوفرة في محيطه واخذ يحسنه بما يضمن له الراحة والدفء والمتعة والحماية، وبدأت تنعقد هذه الاحتياجات حتى بلغت الحد الذي نعرفه الآن من التعقيد والتطوير. وخلال الجزء الأكبر من تاريخه كان الإنسان يتعامل مع الطبيعة من خلال ما توفره له من مواد وقوانين خاضعة في كاملها إلى دورة الطبيعة مندمجة فيها متفاعلة معها. لقد كان هذا شأن الإنسان حتى نهاية القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين حيث أخذت تأثيرات الثورة الصناعية تتخذ مساراً جديداً.

لم يعد الإنسان يكتفي بالمواد المتوفرة في الطبيعة مباشرة بل اخذ مع تقدم العلم والصناعة اختراع مواد جديدة وتقنيات جديدة لتسهيل حياته ورفع مستواها، ومن خلال هذه العملية تمكن من اختراع مواد وتقنيات تنحرف عن دورة الطبيعة بل وتتناقض معها كالمواد البلاستيكية على سبيل المثال، والتفاعلات الذرية، والهندسة الجينية الخ ...

لقد كان للاختراعات الحديثة فوائد جمة على الصعيد العملي من حيث انخفاض كلفة البلاستيك وقابليته القصوى لشتى أنواع الاستعمالات، كذلك إمكانيات الطاقة النووية في المجالات العلمية والطبية وغيرها وإمكانيات الهندسة الجينية من مجالات الطب والتغذية.

لكن اخذ يتضح تدريجياً ما لهذه الإنجازات التي توقف دورة الطبيعة أو تعكسها من أضرار على البيئة وعلى الحياة على هذه الأرض على المدى الطويل والقصير. فالبلاستيك مادة غير قابلة للفناء فهي لذلك تشكل فضلات دائمة لا تقدر الطبيعة على إعادة تشكيلها. وكلنا يعرف عن مشكلة الفضلات السامة والمشعة للصناعات الكيماوية والنووية. والتأثيرات المسرطنة للهندسة الجينية.

لقد أثرت هذه التحولات بطبيعة الحال على العمارة المعاصرة، من حيث استخدامات المواد والطاقة والتقنيات، فازداد استعمال المواد البلاستيكية في العديد من عناصر البناء كالدهانات ومواد التكسية والعوازل والخردوات وغيرها، وكذلك أصبح العديد من المباني يعتمد على التكييف الصناعي للهواء والاضاءة الصناعية.

وإذا ما تخيلنا الكم الهائل من مخلفات ورش البناء ومن مخلفات هدم الأبنية، نستطيع ان نتخيل مساهمة العمارة المعاصرة في زيادة الفضلات غير القابلة لاعادة التدوير في دورة الطبيعة. لقد وصل حجم هذه المختلفات (ليس المعمارية فقط) إلى حد خطير.

اين العمارة في العالم العربي والإسلامي من هذه الظواهر الخطيرة؟ هل يكفي أن نستلهم الخصائص البصرية في تراثنا المعماري، أو لم يكن لهذا التراث باع طويل كما لغيره في الإجابة على متطلبات الإنسان من خلال انسجامه مع دورة الطبيعة؟ لقد أثارت هذه التساؤلات فضولي للخوض في هذا المجال البحثي المثير ولا سيما وانني خلال الأربعين سنة الماضية وبعد ممارسة مكثفة للعمارة في البلاد العربية والإسلامية التي كان يسيطر عليها هاجس التراث والهوية وجدت أن التركيز على الرمزية والنسب المقدسة والانشغال بالخصائص البصرية أوصل العمارة عندنا إلى طريق مسدود من ناتج مستهلك فاقد لقابلية التجدد ونقاش معماري مستهلك متكرر يصل إلى درجة الملل.

إن إعادة النظر في التراث المعماري عامة - ولنا نحن إعادة النظر في التراث المعماري العربي والإسلامي - لابد أن تكون عملية مثيرة في تجددها وحريتها وفاعليتها في هذا الوقت الذي تفاقم فيه الخوف على البيئة الحياتية على كوكبنا. وتنبع إثارتها من هذا التحدي الحقيقي حول كيف نحمي بيئتنا وكوكبنا، ونحمي في الوقت ذاته المنجزات العلمية والتقنية التي هي إحدى ميزات حياة الإنسان على هذه الأرض.

ماذا نعني بالعمارة البيئية أو العمارة الخضراء كما اصطلح على تسميتها؟ هنالك عبارات تخلق بسبب ظرف طارىء لم يوجد من قبل، فقبل دخول الصناعة الحديثة على عملية البناء لم تكن هنالك عمارة بيئية أو عمارة خضراء، فقد كانت كل العمارة خضراء، فلم تكن هنالك حاجة لتميزها بالاسم، استعمال هذه العبارة حديث نسبياً وكل الأبحاث حول ماهية هذه العمارة وخصائصها لازالت في مرحلة استطلاعية، اجتهادية تجريبية، والمراجع المتوفرة عنها لا زالت محدودة وغير متوفرة بسهولة. وسأحاول من خلال قراءات محدودة وسريعة أن أستعرض بعض ما اعتقد انه بداية تحول سليم نحو العمارة الخضراء.

أولاً : لابد أن نغير المفهوم أن الطبيعة سخرت لرائحة الإنسان إلى مفهوم أن الإنسان هو جزء من الطبيعة وعليه أن يجد توازنه في الطبيعة. هنالك قطاع كبير من طرق العلاج الطبيعي التي تعتمد هذا المبدأ وتلقى نجاحاً كبيراً، ولابد للعمارة أن تنحي هذا المنحى إذا ما أردنا إعادة التوازن إلى الحياة. الكوارث الطبيعية هو كوارث لأن الإنسان الذي أصابه الضرر منها، لم يأخذ الطبيعة بعين الأعتبار عندما انشأ مدنه وقراه في أماكن ذات طبيعة لا تتناسب مع البناء والاستيطان كالمناطق البركانية والزلزالية. ولعلكم تعرفون أن هنالك العديد من المواقع، سواء من خلال حفرها أو من خلال إشغالها تبين أنها تعاني من نسب مرتفعة من اشعاع الرادون الضار المسبب للسرطان، لدرجة أن الدول المتقدمة أصبحت تتطلب إجراء فحوصات خاصة لنسب هذا الاشعاع مع كل طلب ترخيص للبناء.

ثانياً : لابد أن ننظر إلى العمارة كعملية متكاملة تتجاوز الشكل والوظيفة، تبدأ من الموقع المعين ومن مصادر المواد المستعملة واليد العاملة ودورها في دعم الاقتصاد وتأثيرها على شاغل العمارة وعلى النسيج العمراني المجاور والعام في الحاصر وفي المستقبل، عملية العمارة وبسبب علاقتها الحميمة مع البيئة والناس لا يمكن أن تظل استعراضاً انانياً لنرجسية المعماري أو نرجسية صاحب العمل.

ثالثاً : لابد أن ندرك تأثيرات ازالة البناء أما بفعل الإنسان أو بفعل الطبيعة وكيف ستؤثر مخلفاته على دورة الطبيعة تفاعلاً كان أم تعارضاً.

رابعاً : لابد من الحد من غزو العمارة للطبيعة ومنه استهلاك الأرض الخلاء بالبنيان وكذلك الاقتصاد في استهلاك المياه واعادة استعمالها وتدوير مختلفات البناء في مبان جديدة والتقليل من الحاجة إلى الطاقة الصناعية بالاستفادة من الخصائص العازلة للمواد وطرق البناء وتوجيه الأبنية للاستفادة من أشعة الشمس، والتقليل من استعمال الكيماويات وتقوية شبكات للنقل العام للتقليل من استعمالات السيارات الخاصة. وكذلك اعادة تأهيل المباني القديمة واعادة استعمالها بدل هدمها.

وضعت الدعوة إلى عمارة خضراء معاصرة بعض الأسس أو التوجهات لهذه العمارة منها:

١ - دمج العمارة بالطبيعة المحيطة بها واستعمال عناصر من الأرض والنباتات كجزء من البناء.

٢ - دمج الداخل والخارج عضوياً كوحدة بيئة واحدة.

٣ - استعمال الرمزية المستلهمة من الطبيعة لتعميق الترابط بين العمارة وبيئتها.

٤ - اعادة ترجمة التقنيات البيئية والانشائية المعاصرة وموادها في اطار جمالي مستلهم من الطبيعة.

وخلال سنوات الممارسة الطويلة اتيحت لي فرصة الاطلاع على التراث المعماري العربي والاسلامي مباشرة من خلال الكتب والمطبوعات. وقد لفت انتباهي لدى بداية اهتمامي بالعمارة البيئية هذا التجاوب الفطري الهائل بين العمارة التراثية مع المفاهيم البيئية المعاصرة. وسأحاول من خلال هذا البحث أن أبرز بعض جوانب هذا التجاوب لعله يرينا وجهاً آخر من عمارتنا أكثر عمقاً وأوثق ارتباطاً بمشكلاتنا البيئية والاقتصادية المعاصرة

من النسب المقدسة والزخارف والجماليات البصرية البحتة.

(١) إذا أخذنا بداية النصوص الدينية وفهمناها رموزاً تضع لنا فلسفة الحياة فاننا نجدها تركز على ارتباط الانسان بالتراب وعلى الوجود كجزء من دورة الطبيعة على الأرض، (آيات وأحاديث). ثم إن هناك نصوصاً واضحة حول الاقتصاد في استعمال المواد والمياه والابتعاد عن التباهي بالقصور والثروة وربط ذلك بالفساد في الأرض.

(٢) وإذا نظرنا إلى المدينة القديمة بمبانيها المتراصة وازقتها الضيقة وأفنيتها نجد أن هذا التخطيط الحضري حقق ما يعتبر اليوم من أسس العمارة البيئية.

المواد المستعملة كلها كانت من جوار المدينة وكان في المدينة مجتمع من أبنائها يمتهن حرف البناء المختلفة ويشكل بذلك جزءاً من دورة الاقتصاد في المدينة وبهذا كان ارتباط المدينة بارضها وطبيعتها وسكانها ارتباطاً عضوياً متواصلاً.

ان اسلوب البناء المتراص يحقق عدة من الخصائص البيئية التي نتحدث عنها اليوم فهو بداية، يستهلك مساحة أقل من الأرض، وتحقق الفناءات الداخلية وبمساحة قليلة نسبياً ما لا تحققه الارتدادات في العمارة الحديثة، برغم المساحة الأكبر التي تستهلكها من تهوئة واضاءة ووفر للطاقة من خلال التقليل من الجدران المعرضة لاشعة الشمس. الأزقة الضيقة تزيد من فعالية توفير الطاقة في الجدران الخارجية من خلال التظليل الذاتي للابنية والجدران المشتركة بين المباني تؤدي إلى وفر كبير في استخدام المواد.

(٣) أن العلاقة بين الغرف المحيطة والفناء ونافورته واشجاره وطيوره هي علاقة وحدة عضوية بين الداخل والخارج تدخل الطبيعة إلى داخل البيت وتجعلها جزءاً من الحياة اليومية.

(٤) العناصر المعمارية في البناء توحي بانشغال المعماري العربي والمسلم بالطبيعة واستيحاءاته منها في نظري واضحة جداً فزخرفة العناصر الانشائية من تيجان الأعمدة وسيقانها إلى المقرنصات المتسلقة إلى فراغات القباب تعكس تجريداً هندسياً رائعاً للغابات والحدائق بأشجارها وازهارها التي ادخلت إلى العمارة من خلال الزخارف الهنسية والنباتية العديدة والمستوحاة من أشكال الزهور وألوانها.

(٥) وليس أدل من عمق الاحساس البيئي لدى المجتمعات العربية والاسلامية السالفة من هذا الاهتمام اللامتناهي بضيق الحدائق وتزيينها بأنواع النباتات والاشجار وبالنوافير واقنية المياه.



نـــــدوة

التراث المعماري الاسلامي في الألفية الثالثة

١٨ - ٢٠ مـــارس ٢٠٠١

روائية المكان (المتحف المعاصر)

The Novelty of the Place

م. راســم بــدران

إن ما سأتطرق له في إطار ما يسمى روائية المكان، ما هو إلا تجربة ميدانية وذهنية لعلاقتي مع المكان المتعدد الأبعاد ، أما قراءتي له فلإبراز خصائصه الكامنة من خلال الحيز المشيد .

هذه القراءة في حالة تغير مستمر عبر الفترات الزمانية تبدأ بالبحث والتحليل للتعرف على مقومات المكان المادي والروحي .

يقودنا هذا البحث التحليلي إلى بلورة رواية قصصية للأحداث التي تشغل هذا المكان لتتجسد في كيانات مادية معاشة، فهي نتاج متجدد للعلاقة التكافلية بين الإنسان والمكان كما وأنها دائمة الحركة في إطار الزمان المتغير الأطوار .

ويمكن فهم هذه العلاقة من خلال التعرف على الأطر التي تساهم مباشرة في صياغة الحيز وهي :

أ) مقومـات التصميـم :

١ - الإنســان : Home - Faber

إن الإنسان الذي تتفاوت أدواره بين التأليف والتلقي، هو الشخصية الأساسية في صياغة الرواية، ويتأتى ذلك من قدرته على اختلاق إحداثيات قصصية ما بين الماضي والمستقبل ، لتؤلف معاني متجددة يعبر عنها الآن وهنا ... تتقاطع حركة الإنسان التأملية - الذهنية عبر الزمن - في مسرح المكان المثقل بمعطياته المركبة .

٢ - المكـان : Place

المكان المعماري بالمعنى الرياضي للكلمة مختلف عن المكان الهندسي(الرقمي - الوصفي) المتجانس والذي يتكرر أينما وجد، لأنه تجريد ذهني ليس له وجود حقيقي إلا من باب الافتراض... أما المكان المعماري (المعمور، المأهول -الإنسان) فمكان حي ذو هوية وتاريخ وحياة مما يجعل المعماري ملزما بالتعامل مع المكان انطلاقا من الخصائص الذاتية له والذي يقيم فيه إنشاءاته المعمارية . .

أي أن المكان المعماري مرتبط بمفهوم الأرض (الوطن) بما لها من تاريخ وتنوع بيئي وعادات وتقاليد وطبائع موروثة ولغة . وعندما يفقد المكان المعماري شروطه الخاصة ويتطابق مع المكان الهندسي، تتحول العمارة عندئذ إلى منظومة وظيفية فقط لا تراعى فيها إلا البعد النفعي وعندئذ يصبح من الممكن نقل المنشأة نفسها ونسخها في أي مكان في العالم على حد سواء (السلعة) حتى أنه يسهل اقتلاعها أو استبدالها لفقدانها لمقومات العلاقة الحميمة مع من يشغلها أو يجاورها فتغيب عنها صفة الاستمرار " التراث الحي " .

فالتوالد المتجدد للعمارة يحمل المعنى التراثي في داخله فهو معرفة متجددة لحالة غير منتهية من التفكير والتي تنتج عن علاقة مركبة من خلال جذب المكان للإنسان المشكل لهذا المكان فيتوالد عمل تراثي متجدد يلبس لبوسا متغيرا مندغماً بالمكان وقوة جذبه للإنسان .

٣ - الزمـــان : Time

العمارة هي إحدى أدوات القياس المعرفية لقراءة الزمن وحقباته المتتالية، أما الأداء الآداء المعماري المتصل الذي يحتوي ويعكس قيم تتجاوب مع البنيات الاجتماعية، فيشكل هو نفسه اتصالاً للحلقات الزمانية بتعاقبها من خلال رؤى الإنسان المتجددة التي تجسد سمة المتغير في مستويات الإدراك الحسي والقراءة المعرفية عبر الزمان.

ب) منهـــاج التصمـيم :

١ - ظاهرة التكافل (الوجود معاً) : The Coexistence

إن هذا (الوجود - معاً) (التعايش) لمقومات المكان المتعددة من بيئية ومادية وروحية من جهة والزمان بتنوع واختلاف كياناته التاريخية والثقافية والاجتماعية من جهة أخرى يمكن تجسيده بالقصة الروائية-الشعرية (الرؤيا الما ورائية - العين الثالثة) التي يقوم الإنسان بتوليدها وتفعيلها باحثاً دائماً عن صيغ لمفهوم التعايش أو الجوار(بين الإحداثيات) بكلياتها وجزئياتها، مجسداً إياها على مستوى الحيز المأهول بكيانات مادية، هذا التكافل يضمن لنا التواصل والاتصال بين الحقبات الزمنية المختلفة بالتوالد المستمر والمتحرك لما يسمى العمران البشري (المجتمع المتفاعل- Active) الذي بدوره يجدد قراءته لإحداثياته ويثريها.

٢ - منهج القراءة - الأدب المرئي : The Suggestive Narrative - The Visual Literature

يبدأ منهج القراءة بالرصد التحليلي للظواهر الطبيعية والجغرافية والبيئية للمكان مضافة إليها دراسة مستفيضة للنظم العمرانية بمكوناتها المورفولوجية والأيكولوجية، ثم تنطلق الدراسة الرصدية إلى التعرف على طبائع المجتمع وسلوكه الأدبي والثقافي وما ورثه من تقاليد وعادات، ويظهر هذا جلياً في مجال التقنيات والحرف المحلية اليدوية وطقوسها. هذه القراءة الأولية هي بمثابة مقاربة للتعايش مع مقومات المكان وإحداثياته، وقد تتسع هذه المقاربة لتشمل بيئات ثقافية قد تكون مجاورة أو مشابه لها.

هذه القراءة التحليلية تؤدي بنا إلى الاستدلال القصصي، أما الدليل الذي يعتمده القارئ (السيميولوجي) - فهو دوماً فوري تطبعه البداهة التي تكشف عن قوة تنبؤية جديدة، لتولد كيانات مادية (عمرانية).

إنها حالة عينية يشوبها غموض ما Ambiguity، تولد مشاعر مختلطة تحفزنا على تنشيط ملكة الاكتشاف وقراءة متجددة للظواهر التي تحيط بنا، فتساعدنا بذلك على تواصل الإبداع التراكمي عبر الحقبات الزمنية المختلفة.

قراءتنا لهذا الناتج العيني - لهذا الشيء اللا شيء - لا منتهية لا قطعية مغايرة لكل ما هو إقليدي× (خطي - العلوم التقليدية) مفتوح على كل القراآت ولكل الاحتمالات (اللا خطي - العلم الحديث). فلكي نحدد إحداثيات المتغير " الإنسان المتحرك "، لا بد أن يرتبط هذا بمتصل الزمان والمكان وهما محورين مختلفين من

زاويتين مختلفتين . هذا هو العقل الذي يحقق عيانه (وجدانه) ويجعله محدداً ليحيط بالواقع إحاطة مطلقة بدلاً من معرفته معرفة نسبية ، هذا العيان هو وليد التفكير العقلي المتواصل ... والتأمل الفكري المستمر ... وحشد الوقائع العلمية وظواهرها الطبيعية ومقارنتها بعضها ببعض ، ليكون ذاك المنتج الذي يتراءى للعين وكأنه غير منتظم - إن تطور الحياة لا يسير في مسار وحيد (خطي) كمسار قذيفة يطلقها مدفع بل هو شبيه بما يحدث لقنبلة يلقي بها الإنسان فتشتت في كل اتجاه على هيئة شذرات (الكثرة - النوعية) (الفوضى) ويتشكل بمجموعها الكثرة الكيفية وهي (شمول) (Totality) سابقة على العناصر التي تتألف منها وأعلى منها مرتبة لأنها تقوم على الجوار والتداخل المتبادل بين عناصر لا متجانسة ، (المستشفى- التسلية) (المتحف - التجارة) (مقر الحكم - المركز الثقافي) (المسجد - البيت) .

٣ - الحدس - العيان الكلي : Intuition

إن الحياة تلوح كتيار يمضي من جزيئي حي (الميكروب) إلى آخر عن طريق كائن عضوي متطور (الإنسان) وبالتعاطف (Empathy) وحده ننتقل الى باطن موضوع ما - فهو وسيلتنا الوحيدة للإحاطة بالواقع - أحاطه مطلعة - بدلاً من معرفته معرفة نسبية انه هذا العيان الكلي اللذي هو وحده القادر على فهم الحياة في حركتها الدائمة وتغيرها المستمر وهو يدرك اللا متجانس ، والمتصل ، والمتداخل والمتبادل وما لا يمكن التنبؤ به . إن هذا التغير هو نفسه علاقة الإنسان الحي بمتصل الزمان والمكان الذي يطرح على نفسه تساؤلات ملحة حول الإنسان(الحيوي) من أنا Who والمكان (المتغير) بخصائصه وتفرده Where الزمان (الثابت) في الكيف المتغير How .

فيمكن فهم الأنا Who من خلال :

١ - العلاقة الروحية مع الخالق والتي تجسد مادياً من خلال اللغة بأدواتها التي تربط بين التعبير والمضمون ووضوح المعنى (العمل عبادة) .

٢ - العلاقة الروحية تفرز تأملات لها قدرة الربط والاستنباط - الكون الأعظم والكون الأصغر .

٣ - هي العين الثالثة التي تقارن بين الظاهر والباطن .

٤ - إنها الرؤيا الشمولية التي تولد ردود أفعال حيث يتجانس الكلي والجزئي - (المقرنص) .

٥ - هي العلاقة بين السطح المجرد - والحجم - الفراغي .

٦ - البناء المستمر من خلال اتصال المعاني (الزخرف - الطبيعة) .

٧ - تتحول الطبيعة الحية إلى احتفالية الرمز التي تربط بين الجمال والمضمون والوضوح .

٨ - الطبيعة الكونية التي تضفي إطار المتغير على القريب الفيزيقي والبعيد الميتافيزيقي .

٩ - الطاقة التي تنشط ذكاء الإنسان وتفعله .

١٠ - الطاقة (الضوء) التي يحاورها الإنسان ويجاريها الكائن الحي (الحيوان).

هذه كلها تتم في أين أنا Where التي تبحث عن روح المكان وتمايزه .

هذا المكان الذي جمع بين :

١ - المشمس والمظلل .

٢ - بين الخصب والجاف .

٣ - الرطب والقاحل .

٤ - بين القريب الواضح والبعيد الضبابي .

٥ - بين السهلي والساحلي .

٦ - بين الكائن الحي والكائن الآخر (الإنسان والماء) .

٧ - بين المرتفع والمنخفض .

٨ - بين البارد والحار .

* أما الكيف How فإنه التعبير المادي لأنماط السلوك الذهني What (ماذا أريد) ، والذي يبحث حول أساليب مستجدة في التعبير عن الأشياء من خلال إبتكار طرق في التفكير حولها ، والتي تبدأ من حالة الحلم إلى اليقظة من خلال :

١ - العلاقة بين (الحدسي والعقلي)

٢ - الحوار بين الفرد والجماعة

٣ - الإشكالية ما بين التقليدي والمعاصر

٤ - الحوار ما بين الريفي والمديني

٥ - الجدلية بين اليدوي والتقاني

* هذا يقودنا إلى مرحلة التطبيق من خلال الكيف How الذي يتولد من التفاعل بين المن أنا وأين أنا وماذا أريد، والتي تقودنا إلى الإضافة المتوالدة باستمرار عبر الزمان (When) والتي تستدرجنا إلى تلمس التنوع والاختلاف المورفولوجي لمدن مثل مراكش القاهرة، القدس، بغداد، جدة، الرياض القديمة، دبي والخليج، والإمارات، اليمن، صنعاء بالرغم من الثوابت Constants الكلية التي تجمعها بخلفية حضارية وتاريخية مشتركة مما يقودنا إلى سؤال ملح وهو : كيف نتلمس دورنا في صياغة عمران هذا الجزء من العالم؟! بالرغم من تعدد مظاهر التعبير فيه . هذا التعدد الذي الإنسان في المقياسين الكلي والجزئي المتداخلين عضوياً (MICRO - MACRO) من خلال :

* المستوى الكلي MACRO :

١ - الفراغ العمراني العام

٢ - الطرقات ومساراتها (الجسور والأروقة)

٣ - الأحيزة العامة والميادين

٤ - التداخل بين حيز وأخر

٥ - النسيج المورفولوجي

٦ - صورة المدينة - الغشاء الكوني

* المستوى الجزئي MICRO :

١ - الفراغ المسكون - الحوش

٢ - الجدار الحي / الخاص - العام

٣ - السطح الكوني

٤ - الإطار العلمي - الصوت - القياس

٥ - تقنية التشبيد

- القباب - " اللاملموس "

- الجدران - " الملموس "

٦- التوازن الأيكولوجي

- عناصر المعالجة المناخية " أبراج الهواء "

- الغشاء الرئوي " الجدار الفضفاض "

- النظام الحدائقي - الزراعة - الظلال

ج) الإستنتــــاج :

١ - الفرضيــة : Hypothesis

بعد هذه المراجعة البصرية لإحداثيات الحضارة العمرانية الموروثة والحية إلى وقتنا هذا ، يمكن أن نفترض أن المنتوج العمراني هو رد فعل لتداخل البنيات الثقافية (من) - والبيئية (أين) - والاجتماعية (كيف) بعضها ببعض ، وهو بدوره (أي المنتوج العمراني) فاعل في إثراء مضامين هذه البنيات مما يضفي عليها الديمومة وإمكانية البقاء والاستمرار والذي لا يتحقق إلا من خلال التحرر من فردية الطابع التي تقمع مكاناً ما بنمط مؤلفه (كما جرى

في مرحلة الحداثة و آثارها في مرحلة التفكيكية ، والتي عنت بالأنا الفردي التي لم تخلو من العبثية على حساب الأنا الكلي) إلى رؤية جديدة ظهرت سماتها في مرحلة ما بعد الحداثة ولم تنضج ، تسعى إلى التوفيق بين الجزئي والكلي في محاولة لفهم خفايا المكان بكل مقوماته المادية والروحية لتستنبط أدوات ورؤى حسية تساهم في التعبير عنه .

أعيد فأقول بأننا بعد أن أدركنا العلاقة بين الإنسان المتغير والمكان بسماته البيئية والمادية (الثابت) في إطار التحول الزماني لتجعل من العمل الإبداعي أداة ربط بين القيم المتوارثة والإحداثيات المعاصرة لتولد جسور معرفية للرؤى المستقبلية . ننتقل إلى الأداء التطبيقي - للكشف عن ما هو الثابت والمتغير في النظم العمرانية - فنفترض أن هناك جملة من عناصر التمايز للبيئات العمرانية الموروثة والتي قد تجسد الإطار البيئي " المعطى المناخي " - كالعمارة الخليجية . أو تترجم الرؤى الثقافية الاجتماعية ليضفي سمة مميزة على مدن مثل القاهرة - ومراكش وفاس وبغداد والتي شكلت في التاريخ الإنساني ركائز للحضارة الإسلامية في عصرها الذهبي .

كما أن هناك النمط الحضري (المديني) الذي تميزت به بعض المدن القديمة كصنعاء وشيبان وجدة الذي يعكس أسلوب هذه المدن الخاص والمتميز عن غيرها في التحضر والتمدن والذي بلغ درجة من الوعي والإدراك يتجاوز زمنها في تلبية مقتضيات الواقع لتحاكي في مظهرها المفهوم النفعي (العقلاني الاقتصادي) في عالمنا المعاصر .

٢ - الإشكالية (المرحلة) : The Problematic

لو نظرنا إلى كل ما أنجز من معمار وعمران في تلك المنطقة من العالم في السنوات الخمسين الأخيرة لوقعنا في حيرة كبيرة من أمرنا ، لكوننا نجد أنفسنا في أرجاء مدن خالية مؤقتة اختلت علاقتها المكانية والزمانية ، هي مدن تنصب كما تشيد مدن الملاهي للمتعة والاحتفال إلى حين ، لتصبح في عداد النسيان . لقد فقد المكان خصوصيته التي تطبع موقعا " دون غيره بالرغم من أن المكان والزمان هما الأحداثيان اللذان ساعدا الإنسان على استيعاب واقعة وإدراكه لحضارته بمعطياتها الملموسة و اللا ملموسة .

فلا يتجاوز على سبيل المثال عمر البناء في بعض مدن المنطقة العشرون عاما " ، يستبدل ببناء آخر ليخدم المنظومة الاستهلاكية التي تساهم في دوران عجلة الإنتاج دون توقف على حساب الإنسان بإرباك قيمه الأخلاقية وذاكرته ليصبح شيئاً بين الأشياء ، ولعل المراحل التي مرت بها العمارة في الحضارة الغربية هي نموذجاً (أكثر تعقيداً) ، فكل مرحلة تأتي لتسلب سابقتها ، لقد فككت القيم التي كان يتأتى عنها المفهوم العمراني المترابط العناصر (الوظيفية - التعبيرية - والقيمة الأخلاقية) وأصبح التفكير مجزءاً لا يملك القدرة على الربط فيما بين العناصر مجتمعة حتى لو أخذنا منهجية التعامل مع إحدى هذه العناصر لوجدنا أنها تقع تحت طائلة التفكيك والانحلال الجزئي لمقوماتها ، وهذا ما نحاول تجنبه من خلال إيجاد صيغة للتعايش ، بين الجزئي بكل أحاسيسه وتفاصيله الإنسانية الدقيقة والكلي بكونيته وشموليته ، وهذا ما تسعى إليه هذه الحضارة الإسلامية والتي هي بطبيعتها قيميه إنسانية تعتبر الجماعة ولا تهمل الفرد وتراعي الكلي ولا تتنكر للخاص .

٣) النمـوذج : The Paradigm

إن الهدف من عرض الأعمال التالية هو لإبراز المفهوم العمراني (Urban) في الجزئي ليصبح في ذاته هو الكلي، الذي يشكل في سياقة الكلي الشامل - الكون (المدني) محتفظاً بخصوصيته التي تميزه عن أكوان أخرى.

١) الجامع الكبير- الرياض (حالة التمثل - الروائية) Narrative - Simulative

يشكل الجامع الكبير وما يحيط به من نسيج عمراني جزءاً من برنامج لتطوير الوسط التاريخي للمدينة لأجل إخصابه اجتماعيا وثقافياً وعمرانياً، ومن الجدير ذكره أن الجامع القديم لم يبق منه أي أثر يمكن أن يعتمده المصمم كمرجع له في صياغة عناصر التصميم.

ولهذا كانت صور الماضي وما حملته إلينا من دلالات مرئية وغير مرئية التماس روح المكان وتميزه، بالإضافة إلى معاينة الواقع - الراهن - لمدينة الرياض وبيئتها العمرانية (وبالأخص الموروث منه) في مناخ جغرافي محدد هو الذي ساهم على قراءة عناصر المكان قراءة تحليلية بمقياسيه الجزئي والكلي Macro - Micro -، للوصول إلى طرح عمراني معاصر.

مرجعياً حاولنا إعادة قراءة الموروث في صورة تخيلية - قامت أدوات التعبير الفرضية بتجسدها Simulation، لتساهم في تنشيط ملكات الإنسان في قدرته على الإتصال النسبي بالماضي لصياغة ما هو معاصر.

إن هذا الارتداد إلى الماضي لاستشعار ما بقي من معطيات حسية وثقافية ما هو إلا التفاعل المعرفي مع الجزئي، ولكنني سرعان ما توجهت إلى إحداثيات تحكي عن لحظة تشكيل مستقبلية لتجسد أمامي صورة مكتملة غير منتهية تقارب بيئة المكان العمرانية يسهل قراءتها وفهمها لارتباطها بذاكرة المكان من عامة الناس على اختلاف مستوياتهم الاجتماعية والثقافية على الرغم من معاصرتها.

٢) متحف الدارة : حالة الإنكشاف - الروائية (Narrative - Unfolding)

إن منهج الرؤيا والقراءة المرجعية للجامع كان على خلاف ما جرى في المتحف وصياغته العمرانية التي استشعرت المتهدم الموروث - وكأنه إنشاء لم يكتمل - مفكك الأوصال، يكشف جانب من الخفايا التي تبرز النشاط الحرفي الأدائي (السبرياني) بين الصانع والمصنع. تلك الخفايا التي حفزت الذهن والبصر للصياغة المعاصرة للمشروع في صورته المنتهية، أدت هذه الصياغة إلى جلب إنتباه الزائر لقراءة هذه الظواهر كما هو حال التأمل في الزخارف وتفاصيل الجدران لأية بناء موروث، (هذا في القياس الجزئي).

* في إطار المجاورة :- فأمامنا ناتج عمراني يتشكل بصرياً أمام الرائي بصوره دائمة التغيير بتغير الظواهر الكوزمولوجية معطية تأثيرات متجددة توحي بتعايش متآلف مع كل ما حولها من ثوابت بيئية وكونية، مما يفرز الذاكرة المكانية لهذه البيئة.

* في إطار المقياس الإنساني - فإن هذا الناتج العمراني قد أنسن بنية المتحف بمفهومه المتعارف عليه (الرؤيا المؤسسية - الصرحية) بتحويله إلى مجموعة من العناصر الفراغية المفكك Fractual والتي تآلفت مع ذاكرة النسيج العمراني لهذه البيئة الصحراوية من خلال ممرات المشاة التي تخترقه لتحقق ربط هذا النسيج بالمحيط القائم لضمان حيوية نسقه على مستوى المدينة من جهة ، وتعزيز الأحداث الاجتماعية وتفاعلاتها من جهة أخرى.

* العمران الاجتماعي - تم تنشيطه من خلال منهج التنسيق الفراغي فقد عالجنا الموقع على مستويين الكلي (MACRO) والجزئي (MICRO)، يتمثل الكلي من خلال النسيج العمراني للمتحف السعودي والذي يشكل متحف الدارة إحدى عناصره الهامة التي حددت معالم الساحة الرئيسية التي تربطها فراغياً بالمتحف التاريخي المقابل، فكانت النظم المورفولوجية التي حددنا معالمها في المخطط العمراني العام (MACRO) قد ركزت على أهمية إيجاد حوار بين جدار الدارة "السور ذا البنية التراكمية ليكون عنصراً جاذباً للمارة والزائرين لأجل التسلية وحافزاً لحلقات الجلوس" وبين الجدار المقابل " المنحنى المحايد (TIMELES) الذي يحدد معالم المتحف التاريخي إما النظام الحدائقي (MICRO) الخاص بالدارة والذي يشكل أداة توازن للنسيج العمراني ، فانطلقنا من أهمية الصياغة المورفولوجية لهذا النظام المفتوح فكان من الضروري أن تتم معالجته بحساسية شديدة ، بحيث لا تفقد المعالجة سمة المكان وخصائصه. ولقد تألف هذا الناتج الحدائقي من ثلاثة مركبات تمت باحتباك تراكمي طبقي :

١) الطبقة المناخية - واحة النخيل - الظل - حركة الهواء ، النظام (الأيكولوجي).

٢) الإطار الحيوي - الماء - التنظيم الحيزي لأركان الحديقة ، (الذاكرة الحضارية).

٣) الإطار الحركي - لأخطية الحركة من خلال الطرقات المتعرجة في حيز الحديقة، (التعايش المعاصر).

٣) متحف قطر : الروائية الشعرية (Poetic Narrative)

إن منهج استقبال إشارات المتبقي المتهدم وكيف يقرأ في إحداثيات قصصية كي تحل ألغازه - ظهر جلياً بمقياس أعم في مشروع مشابه - وهو متحف قطر للفن الإسلامي الذي تطورت فيه قراءة الموروث عما حدث في متحف الرياض حيث تسلسلت فيه إحداثيات التصميم على النحو التالي :

- **القراءة الحدسية للموقع** - ماذا أرى ، القراءة الما ورائية للموقع، للشجر كشاهد على نسيج مديني اجتماعي، كان الشجر فيه محوراً حياتياً لساحات البيوت ، فهو النظام الحيوي الذي يحقق التوازن لمن سكن هذا الموقع. تكشف فيما وراء الأشجار نظام عمراني تقليدي عضوي اندثر وباد وقمنا باستدعائه للانتقال إلى المحور الأخر.

- **الطرح الثقافي للمعرفة (كيف اقرأ)** إعادة صياغة الفهم المعرفي للمادة المعروضة - (القطعة المتحفية) - وعرفت بالغرب كقطعة محنطة انتزعت زمانياً ومكانياً من بيئتها - من خلال انتمائها إلى نفس البيئة التي

كانت وعاء لها والمتمثلة بحضارة مدنية كانت سائدة. إن إدراكنا لهذا الأمر خولنا إلى تصميم فراغ العرض المتحفي ليكون أشبه بفراغ المدينة الأصلي والتي كانت هذه القطع جزءاً من أدواتها اليومية.

إن العلاقة الحيوية بين هذا الجزئي وفراغه الكلي قد أكد أهمية ما نصبوا إليه من المعرفة الحية على النقيض بما يسمى المعرفة المحنطة (الجامدة).

- **الطرح القصصي للحضارة (ماذا أقرأ)** - غلفت هذه المادة المعروضة بأخرى ممتلئة بالشعر فيه الاجتماعية - فقد كان الخان مركزاً للقاء والتداخل الثقافي التجاري بين الحضارات سابقاً من خلال التجار الرحل، فأصبح الخان هو الحيز القديم - المعاصر الذي يحقق وظيفة العرض بتسلسلها الزمني والمعرفي.
- **الطرح العمراني " المجاورة " (أين) في المقياس الجزئي** - لقد حاولنا إحياء ذاكرة النسيج العمراني الذي كان قائماً في يوم من الأيام. فأصبح طريق اللؤلؤة في المدينة القديمة (سابقاً) طريقاً معرفياً حين تحول إلى ما يشبه السوق الذي يربط بين مجموعة الخانات التي يتكون منها هذا المتحف والتي تسمى بالمفهوم المعاصر (Lobby)، هذا الفراغ وظف للعروض المتغيرة التي تخص إحداثيات المدينة الثقافية والفنية.
- **الطرح الإنساني - شعبية المعرفة** - لإثراء البعد الثقافي، اقترحت استخدامات أخرى تبعد المتحف عن وظيفته التقليدية بإضافة أنشطة تعليمية اجتماعية تخدم المجتمع المحلي للمدينة - وتضمن حيويته بابتعاده عن ما يسمى Dark Area، فيتحول المتحف لأنموذج المدرسة العصرية.
- **الطرح الاجتماعي** - والتي اهتمت بإثراء البعد الاجتماعي بتحويل موقع المتحف إلى حيز حدائقي للتسلية والراحة وأية أنشطة أخرى احتفالية قد تتولد في الموقع وهو ما يحقق التوازن الروحي والمعرفي لرواد المشروع حيث تجاورت الأنساق الحدائقية إلى جانب بعضها البعض - أفقياً بتسلسل قصصي و مورفولوجي ابتداء بالوادي السحيق وانتقالاً إلى البستان المزروع - ثم إلى الحديقة الداخلية بانمطتها الطبيعية المختلفة عبر الحضارات الإسلامية المتعاقبة زمانياً ومكانياً.
- **النسيج المديني - المقياس الكلي**، عززت علاقة الأحيزة الحدائقية المختلفة بالأحياء المحيطة من خلال توظيف البيئة العمرانية لمنشأة المتحف لتشكل وسيطاً يعبر من خلاله سكان المدينة إلى موقع المتحف، لضمان العلاقة الحيوية بين الجزئي والكلي على مستوى النسيج العمراني المجاور لموقع المتحف.
- هناك أمثلة معاصرة حاولت تحقيق هذه الرؤيا كما حصل لمشروع متحف الفن المعاصر في شتوتجارت - جيمس ستيرلنغ، وفي بولباو/ متحف جوجينهايم - فرانك جيري.

الخلاصة :

إن مقاربتنا هذه ... ما هي إلا طرح إبستمولوجي لصياغة المكان كي لا تتحول مدننا إلى مقابر خالية من الحياة، ينتظر الفرد فيها لحظة الخلاص الأبدية ، وكي لا ندع من يخلفنا في حيرة من المجهول، وكي لا نتمثل ما هو إنساني اجتماعي بوسائط الحضارة المادية المعاصرة المؤقتة (منظومة الاستهلاك) ، علينا أن نسعى إذن لتهيئة حيز عمراني عضوي أليف متحرك يعمره الكبار بلهوهم ، والصغار بلعبهم الاكتشافي على حد سواء لتصبح مدناً ذات معنى تحقق التوازن ما بين المادي والروحي .

هذا التموج بين اللعب واللهو هي أشبه ما تكون بحالي حيث بدأت طفلاً في حيز إبداعي، لعبت مكتشفاً التقنية وقاربت الغرب محلقاً في مرحلة الثورة " الطلابية " ليحط بي الرحال مشكلاً ما هو أرضي في لهو مستمر .

المراجع :

* حوار في بنيوية الفن والعمارة – رفعت الجادرجي

* الموسوعة الفلسفية – عبد الرحمن بدوي

* New Science - New Architecture - Charles Jencks

* Intercultural Architecture - the Philosophy of Symbiosis - Kisho Kurdkawa.

* The Poetics of Space - Gaston Bachlard.



نــــدوة
التراث المعماري الاسلامي في الألفية الثالثة
١٨ - ٢٠ مــــارس ٢٠٠١

استراتيجية الحفاظ على مدينة تاريخية في مطلع القرن الواحد والعشرين : تجربة مدينة تونس الحاضر والآفاق

المهندسة / سامية عكروت يعيش
مديرة عامة لجمعية صيانة المدينة

لم يظهرمفهوم المراكز التاريخية إلى جانب مفهوم المعالم التاريخية إلا في عهد قريب نسبياً. واليوم أصبحت فكرة إحياء وصيانة النواتات العتيقة هي الفكرة الطاغية إذ أن الحفاظ على التراث لا يتطلب الأخذ بعين الإعتبار المباني المتميزة فقط بل وكذلك الإعتراف بقيمة المحيط الذي توجد به.

في مطلع القرن الواحد والعشرين وفي أجواء استمت بإطراد مسائل العمران والمحيط واشتداد المنافسة العالمية، يتجه اهتمام المدن اليوم إلى أن تجلب إليها أكثر عدد من المستثمرين المحتملين، وتتضح شيئا فشيئا عند أصحاب القرار الحاجة إلى «صورة جديدة للمدينة» ترتكز على ابراز خصوصياتها من بينها التراثية.

المشروع المستقبلي الذي تم تصوره لمدينة تونس والذي يسمي بـ «تونس القرن الواحد والعشرين» يهتم بمركز المدينة بقدر ما يهتم بتطورها كما يهتم بتنشيط الحركية بها وذلك عبر تدخلات مختلفة على فضاءات عامرة بعد.

وترتكز بداية انطلاق مشروع «تونس القرن الواحد والعشرين» على عمليات ثلاثة ذات أهمية كبرى، وهي:

أ - صيانة المدينة العتيقة كنواة تاريخية هامة تمثل الذاكرة الجماعية المشبعة بالثقافة وبالتالي تهذيب وترميم البناءات الغير الصحية بها وبباب البحر عن طريق مشروع «الوكائل».

ب- تجميل الحوار الرئيسي للعاصمة بعمليات خاصة بالبناءات (الأحجام، الواجهات، العلامات الإشهارية. . .) وبتهيئة المساحات العمومية بما يناسب الوظائف النبيلة التي تتماشى ومركز المدينة.

جـ- ادخال تحسينات على مرور وقوف السيارات بالمدينة العتيقة وباب البحر.

ليس من المهمات اليسيرة انقاذ النواتات التاريخية المشبعة بالثقافة والمثقلة بالتاريخ والتي تمثل الذاكرة الجماعية لشعوب بأسرها، ولا من اليسير إدماجها في عالم ينعت بالعصري، مصنع وفي أوجه تطوره التكنولوجي، ولكن هذا التحدي قد رفع في تونس على غرار عديد المدن المتوسطية الأخرى.

فزيادة عن كونها تمثل شاهدا حيا على العمران الإسلامي، إستطاعت الأحياء السكنية بالمدينة العتيقة الحفاظ على شكل لم يتغير منذ أواخر القرن الثامن عشر. مما أهلها لأن تسجل ضمن قائمة التراث العالمي من طرف منظمة اليونسكو سنة ١٩٧٩.

غير أن المدينة العتيقة بمساحتها التي تبلغ ٢٧٠ هكتارا وسكانها الذين يقرب عددهم ١٠٠,٠٠٠ نسمة، لا تمثل شاهدا عن الماضي فقط بل وكذلك جزءا مهما من العاصمة جمع تقريبا جل المعالم التي فيها ومستقبله شديد الإرتباط بمستقبلها.

وقد كانت المدينة العتيقة في التسينات كمثيلاتها في المغرب العربي معرضة للتلاشي بفعل عوامل عدة: بُنى تحتية خربة، منازل مهجورة أو ذات كثافة سكانية عالية، سكان ضعاف الحال، طرق سياره مسطرة ومشاريع تجديد أي عمليات هدم وإعادة بناءفي كل مكان.

كما وجد النازحون من الأرياف في الستينات ملاذا في المدينة العتيقة ومرحلة للعبور. وساهم تجمع هذه العوامل في تدهور الحالة بها وأدى إلى تدهور الهياكل العمرانية والبناءات واضمحلال النشاطات الإقتصادية التقليدية.

فما هي الإمكانات التي توفرت لمواجهة هذه التحديات التي تبدأ من معالجة وإدارة الحياة اليومية للأحياء السكنية وتنتهي إلى إشكالية الحفاظ على تراث عالمي وجبت حمايته؟

مدينة تونس، بلا منازع، من بين المدن أحسن صيانة نسبياً. وهي بعد مرور ثلاث عشر قرنا على انبعاثها، لا زالت تزخر إلى اليوم بالكثير من المعالم الإسلامية. خلال العشرية الأخيرة، تميزت السياسة في مجال الترميم والإحياء بنظرة لا تعتبر التراث كقيمة ثقافية فقط بل وكذلك كعنصر تقدم ونماء. فهدفت كل المشاريع التي أنجزت خلال هذه المدة إلى رد الإعتبار للمدينة العتيقة وصيانتها عبر تنميتها اجتماعياً واقتصاديا وثقافيا. ودخلت مشاريع مدينة تونس في مرحلة نشيطة أدت إلى بروز معالم نهضة بالمدينة العتيقة اتسمت بتغير اجتماعي ونمو اقتصادي وثقافي ملموس.

لقد بدأ مسار صيانة واحياء المدينة منذ أكثر من ٣٣ سنة مع بعث جمعية صيانة المدينة للوجود بمساندة بلدية تونس وبفضل مساهمة ودعم منظمة اليونسكو من سنة (١٩٦٩ إلى ١٩٧٢) حيث تم تقديم تقرير في شكل برنامج مثال للصيانة. وكانت التوصيات التي جاء بها ذلك التقرير طموحة جداً عبارة عن حلم صعب تحقيقه في بلد في طريق النمو له أولويات أخرى أهم من التراث كالتعليم والصحة، كما أن النصوص الخاصة بالتهيئة العموانية والقوانين المتواجدة لا تنص على مثال للصيانة كأداة تشريعية للمراكز والأحياء التاريخية ومن هذا البرنامج الطموح لم نتمكن من انجاز إلا بعض مشاريع ترميم معالم منفردة.

أما اليوم فقد وقع تلافي هذا النقص في إطار الإصلاحات الجديدة للمجلة العمرانية وإصدار مجلة التراث التي تنص على المناطق المصانة من المدن التاريخية وكيفية تسييرها بأمثلة الصيانة.

كل هذه التعديلات مكنت من احتياز مرحلة الدراسات والشروع في الإنجاز، وتعدت التدخلات الإطار الذيق للمعالم التاريخية لتشمل اقتراح مشاريع مندمجة في نطاق استراتيجية شاملة لتنمية حضرية مستدامة تبلورت حول محورين أساسيين:

(أ) المحـــور الأول:

الحفاظ على تراث معلمي: يرمي من بين ما يرمي إليه إلى تنمية سياحة ثقافية وهو خيار اقتصادي أساسي من اختيارات الدولة التونسية.

وهكذا فإن أكثر من ٧٠ معلماً وقع ترميمه في السنوات الأخيرة. وقد انتفعت من هذه الترميمات بدرجة أولى المعالم الدينية (جوامع، زوايا...) ثم المدارس وبعض الدور الكبيرة التي وقع إعادة توظيفها حسب

برامج محددة إلى تجهيزات ومرافق جماعية (مقرات جمعيات، فضاءات اجتماعية وثقافية، مراكز تكوين . . .) قادرة على التأقلم والإندماج في هيكل المعلم دون تشويهه.

إن مشاريع ترميم وصيانة المعالم، فإلى جانب أهدافها التقليدية من رد الإعتبار للمدينة العتيقة والإبقاء عليها حتى تتجنب الإتلاف وانقاذ وإحياء صنائع تقليدية مهددة بالتلاشي وتكوين رصيد وثائقي بالغ الأهمية، فإنها ترمي بالأساس إلى إدماج المعالم في حركة التطور وذلك باعتمادها التوفيق بين ضروريات الصيانة ومقتضيات العصر والسعي إلى توظيفها توظيفا عصريا ولكن ملائما لطابعها المميز.

ومن أهم المشاريع التي تم انجازها مؤخراً هو مشروع متحف مدينة تونس الذي تم احداثه في قصر خير الدين والذي يهدف إلى الحفاظ على ذاكرة المدينة وتخليد تاريخها ورجالاتها وهو حلما كان يناشده المجلس البلدي منذ ١٩١١ كما تدل على ذلك مداولاته في ذلك الزمان. وقد جاء ليعزز جملة من الإنجازات الثقافية بالمدينة. ولا أدل على ذلك من وجوده في حي من أحياء المدينة زاخر بهذه المنشآت كدار الأصرم ونادي الطاهر الحداد ودارابن عاشور مقر المكتبة العمومية ومدرسة بير الحجار مقر جمعية مهرجان المدينة والعاشورية وغيرها.

نجاح هذه المنهجية في التعامل مع التراث بإبرازه وإعادة الإعتبار له دفعت العديد من المالكين الخواص إلى المبادرة بترميم مساكنهم وإعادة توظيفها كرواق للفنون أو مركز تجاري أو مطعم من الدرجة الرفيعة.

ولمساندة العمل على النهوض بالتراث ادمجت المدينة في مشروع سياحي ثقافي، شجع اليوم العديد من الباعثين الخواص على المبادرة في انجاز فنادق سياحية ذو درجة عالية من شأنها أن تعطي دفعا إيجابيا للحياة الثقافية والإقتصادية في المدينة.

(ب) المحــور الثانــي:

صيانة تراث عقاري واجتماعي: يهدف من بين ما يهدف إليه إلى تنمية اقتصادية واجتماعية لمدينة عتيقة حية تؤدي دورا اجتماعيا مهما بالنسبة للسكن والصناعات التقليدية في كامل الجمهورية.

فقد شهدت المدينة العتيقة في السنوات الأخيرة استثمارات هامة في البنية التحيطة والتجهيزات والسكن: كما هو الحال بالنسبة لمشروع إعادة هيكلة الحفصية الممول في جانب منه من البنك العالمي في إطار المشروع العمراني الثالث، ومشروع تهيئة باب سويقة - الحلفاوين ومشروع القصبة الذي سمح ببناء مأوى سيارات كبير تحت الأرض.

وكذلك مشروع الوكايل ذي الصبغة الإجتماعية والتراثية الذي لقي دعما في التمويلات من قبل الصندوق العربي للإنماء الإقتصادي والإجتماعي. واليوم تم تعزيزهم كذلك ببناء قصر البلدية الجديد في القصبة في مكان استراتيجي غني بالأحداث التاريخية من شأنه أن يحدث تأثيرات إيجابيته على تنشيط وإحياء قلب المدينة.

وقد كان لهذه المشاريع الأثر الكبير على المدينة العتيقة على مستوى معمارها وعمرانها، وعلى المستويين الإقتصادي والإجتماعي من جهة والتراث من جهة أخرى.

والحلول المندمجة والمتناغمة التي أودجها «**مشروع هيكلة الحفصية**» سمحت بقلب مسلسل التدهور الذي ابتدأ منذ أوائل القرن العشرين، وتوصلت لتحسين البنى التحتية في الحي مع المحافظة على النسيج العمراني التقليدي فيه. وهذا المشروع الذي حاز في مناسبتين على جائزة الآغا خان للعمارة الإسلامية نجح أيضاً في إحياء النشاطات الإقتصادية بالحي وتجديد أو ترميم عدد من المباني المتداعية وسهل التبادل الإيجابي بين سكن من أوساط اجتماعية مختلفة.

واليوم تساهم مشروع آخر ذو صبغة تراثية واجتماعية يسمى مشروع «**الوكايل**» في نهضة المدينة العتيقة، إذ يرمي إلى تصفية المشاكل المتعلقة بالكثافة السكانية والمساكن الغير صحية. إذ لا يمكن إدعاء انقاذ التراث المعماري دون الأخذ بعين الإعتبار متساكنيها ضعاف الحال.

فمنذ الثالثينات فتحت المدينة أبوابها للنازحين من الأرياف الذين تكاثر عددهم بعدالإستقلال واستقووا في المنازل التقليدية التي هجرها أصحابها الأصليون بحثا عن شغل في العاصمة.

والوكالة لفظ كان يستعمل في تونس للدلالة على فنادق تكتري للعزاب لمدة يوم أو بعض يوم.

وقد أفضت هذه الوكايل مع الزمن إلى مشاكل صحية وأخلاقية وإلى تكاثف الكسان في ظروف غير إنسانية مما جعل منها معضلة اجتماعية عويصة.

لقد ارتكز اهتمام البلدية على الجانب الإجتماعي بالتوازي مع اهتمامها بالمحافظة على التراث وذلك لإعادة الإعتبار للمدينة العتيقة وتوفير شروط العيش اللائقة للمواطنين. وفي هذا الإطار يتنزل مشروع انقاذ ٦٠٠ وكالة تنخر المدينة ويسكنها قرابة ٣٠٠٠ عائلة، وهو مشروع عملي يقدم استراتيجية تدخل مندمجة حسب الأولويات وحسب درجة تدهور البناءات وتتمثل أهدافه الرئيسية في:

- انقاذ عائلات متسوغة لعقارات تنذر بالسقوط.
- صيانة تراث عقاري أقر بقيمته العمرانية والمعمارية على الصعيد الوطني والعالمي.

أما في نطاق البندالأول أي انقاذ العائلات من خطر الإنهيار لقد توصلت البلدية إلى إعادة إسكان نهائي لحوالي ١٥٠٠ عائلة وقع إخلاؤها بصفة مستعجلة من ٣٠٠ بناية متداعية للسقوط لم يعد بالإمكان إنقاذها وذلك على أربعة مراحل.

وتتولى بلدية تونس عملية الإكسان علي أراض من أملاكها في أحياء محيطة بالمدينة وتمنح هذه المساكن للمنتفعين بطريقة التسويغ قصد التمليك وبدون فائض طيلة ٢٥ سنة.

وقد أخذ بعين الإعتبار عند تهيئة المحيط إدماج فضاءات الترفيه للصغا. ووسعت المدارس الموجودة. ووقع إقرار مصلحة اجتماعية على عين المكان تعمل على أن يتم ادماج العائلات في أحسن الظروف، وتسهر على مد يد المعونة لمن يحتاجها.

ويمثل هذا الإجراء فرصة لا تعوض لهذه العائلات الضعيفة الحال. فمن متسوغين يصحبون بدون أي ضمان مالكين لمنزل ذي ٤٢م٢ على قطعة أرض تمسح ٨٠م٢ وتسمح بزيادة طابق علوي.

وأما في نطاق البند الثاني للمشروع الخاص بصيانة تراث عقاري تقرر إعادة اعمار وترميم ٤٠٤ عمارات من التي يمكن إنقاذها وذلك بتقوية وإصلاح هياكلها. وتخص هذه العملية ١٦٠٠ عائلة وستسمح بصيانة ٠٠٠, ١٨٠م٢ من المساحات السكنية.

وتحصلت البلدية لهذا الغرض على قرض بـ ١٥ مليون دينارا من الصندوق العربي للإنماء الإقتصادي والإجتماعي وضع على ذمة المالكين لتهذيب مساكنهم بفائض ٥ في المائة يسدد على ١٥ سنة.

وإلى حين يومنا هذا، انتفعت حوالي ٣٥٠ عائلة من هذا القرض كما تم مدهم بالإعانة الفنية مجانا ومتابعة الإنجاز من طرف جمعية صيانة المدينة.

وتمكنت البلدية كذلك من تهذيب حوالي ١٨ بناية على ملكها وملك الدولة من جملة ٤٠ والبقية بصدد الإنجاز.

وأما البناءات ذات القيمة التاريخية أو المعمارية فقد اقترحت للترميم حسب برامج إعادة توظيف محكمة إلى تجهيزات ثقافية واجتماعية.

وقد رم بعضها ودخل بعضها الآخر في عمليات الترميم كالمدرسة المنتصرية التي أصبحت تؤوي روضة أطفال، ونادي المالطيين الذي رم وهيأ لإيواء فرقة مدينة تونس للتمثيل وكتاب سيد الزهمول كنادي فوطوغرافي...

كما تهيأ الان ١٠ معالم أخرى هي بصدد الترميم لتصبح مقرات لجمعيات ثقافية واجتماعية.

والجديد بالنسبة لهذا المشروع هو إدماج عنصر آخر كتكملة للعناصر الأخرى وهو إعادة بناءمساكن لإعادة الإسكن في وسط المدينة فوق الأراضي التي تم اخلاؤها وانتزاعها ي المراحل الأولى من المشروع وفي هذا الصدد شرعت البلدية في بناء ٢١٥ مسكنا وبرمجت ١٠٠ أخرى.

وهكذا فإن مشروع الوكايل يمثل مرحلة مهمة في تطور السياسة العمرانية بتونس التي تتجه اليوم إلى استعادة مراكز مدنها التاريخية، إذ هي تمثل رصيدا سكنيا قائم الذات يؤدى دورا اجتماعياً من الأهمية بمكان.

الخلاصة:

يمكن القول اليوم بأن عملية إنقاذ مدينة تونس وإحيائها قد قطعت أشواطا كبيرة وتم الإنصهار فيها بشكل تام. وترتكز هذه العملية على إستراتيجية عامة للصيانة تبلورت ملامحها عبر الزمن. حيث مكنت مختلف المشاريع الرامية إلى إدماج التراث ومشاريع إعادة الهيكلة من إحكام وتطوير الوسائل التشريعية والقانونية الخاصة بالمدينة التاريخية، وهكذا أوكل إلى جمعية صيانة المدينة إعداد مثال الصياحياء لمدينة تونس. من جهة أخرى، فإن حملات الصيانة التي قامت بها الجمعية آتت أكلها ومكنت من وضع قانون جديد يضبط علاقة المالكين بالمتسوغين، كما مكنتها من دفع مشروع الوكائل إلى مراحل متقدمة من الإنجاز.

كل الأنشطة التحسيسية والمشاريع النموذجية حثت سكان العاصمة والمستثمرين الخواص على الإهتمام أكثر فأكثر بمدينة تونس العتيقة وتراثها المعماري.

واليوم نسجل بكل ارتياح ظاهرة الرجوع إلى المدينة، وبدأت تظهر بالمدينة «أقطاب ثقافية» يمكن أن تكون أداة لتنمية السياحة الثقافية بالعاصمة.

ونذكر منها:

الأقطاب المحيطة بجامع الزيتونة ونهج التريبونال وتربة الباي ودار الجلد وبطحاء القصر. وهي أقطاب بدأت للظهور بفضل الترميمات التي قامت به البلدية وصيانة المدينة والمعهد الوطني للتراث. وشرع المستثمرون الخوامص بتنميتها عبر مشاريع ترميم جديدة وتوظيفها لأغراض ثقافية وسياحية.

مع التأيكد على أن المبدز الأساسي للإستراتيجية المتوخاة هو أن مفهوم الصيانة لا يعني جعل المدينة متحفا وبالتالي ومن هذا المنطلق فإن الإستراتيجية المقترحة للدخول في القرن الجديد هي ترمي للنهوض بالمدينة مع التوفيق بين متطلبات الحفاظ على التراث والمتطلبات الإجتماعية والإقتصادية وهي بذلك تعتمد على:

- إرساء إجراءات تشريعية ملائمة في خصوص ترتيب المعالم التاريخية ومثال الصيانة والإحياء من جهة،
- اقرار حوافزمالية هامة لتشجيع علي الإستثمار الخاص في ميدان التراث،
- وأخيرا على سياسة إحياء التراث المعلمي وإبراز قيمته على مستوى الجمالية العمرانية والتنمية الثقافية وتنمية السياحة الثقافية وانعاش الإقتصاد وحل مشاكل مرور ووقف السيارات بالمدينة العتيقة.



التراث المعماري والتمدن العربي الإسلامي

مداخلة الدكتور سـعيد ملـين

مهندس معماري ومختص في علم الاجتماع ولغوي

تقديــــم

أود في بداية مداخلتي هاته أن أتقدم بتشكراتي الخالصة إلى السادة، فهد عبد الله آل سويلم ويعقوب آل ماس، وهما على التوالي، المدير العام والمساعد للمدير العام لجائزة منظمة المدن العربية ، الذين شرفوني وأسعدوني بدعوتي، لحضور أعمال هذه الندوة العلمية.

تشكراتي أيضا، موجهة إلى المسؤولين عن الأمانة العامة لمنظمة المدن العربية، والمعهد العربي لإنماء المدن، وجائزة أغاخان للعمارة، الذين ساهموا جميعا في تنظيم هاته الندوة المخصصة لدراسة موضوع " التراث المعماري الإسلامي في الألفية الثالثة "

أغتنم هاته المناسبة لأعبر لكم عن بهجتي وغبطتي لوجودي معكم هنا بالدوحة، ولأول مرة رفقة مجموعة من الخبراء والباحثين المرموقين، حيث سبق لي أن تقاسمت مع البعض منهم المشاركة في لقاءات مماثلة.

مرة أخرى، شكرا على هذه المبادرة الطيبة لإعداد الندوة وظروف الضيافة والتنظيم المتميز، مما يسمح ويساعد على التفكير جميعا في الإشكالية الجوهرية للتراث المعماري الإسلامي، ومستقبله خلال الألفية الثالثة المقبلة.

١ / توجهات مستقبلية عامة

أ - الحتمية العمرانية

من بين التوجهات العامة والتي تهم بصفة خاصة العمران والتمدن هو أنه في الألفية الثالثة ستتخطى الإنسانية عتبة غير مسبوقة في تاريخها، إن سيصبح سكان حواضر، كل بلدان المعمور مجتمعة، أكثر عدداً من سكان القرى الذين كانوا لا يتجاوزون نسبة العشر من ساكنة العالم خلال بداية القرن العشرين. ولن يتوقف هذا الأمر عند هذا الحد أي كون نصف الإنسانية سيكون مستتباً بالتمدن، بل ان الانعكاسات الخطيرة لهذا التطور سيجعل عدد السكان بالمدن سنة ٢٠٣٠، بالعالم بأسره يشكل ضعف ساكنة القرى.

ومما لا شك فيه أن وثيرة التحضر هاته تفاقمت وزادت من حدة مشاكل مئات الملايين من البشر الذين يعيشون في ظروف صعبة وبلا مأوى. إضافة إلى ذلك ينعكس كل هذا من جهة على التراث المعماري المهدد بالاندثار ومن جهة أخرى على المواطنة ومختلف أشكال التمدن. بمعنى آخر على مستوى إطار العيش والعلاقات المجالية والاجتماعية المحددة للهوية وارتباط الانسان بمجاله وكذا المدينة بساكنتها.

ب - تراث معماري مهدد بالانهيار

كما نثير الانتباه هنا إلى الانعكاسات السلبية التي يعرفها التراث والتي يمكن حصرها في التشويه والتخريب وتدني القيم الاجتماعية خصوصاً بالمراكز التاريخية لمدن العالم العربي والإسلامي. وفي نفس السياق نلاحظ منذ أكثر من نصف قرن تعرض هذا التراث المعماري إلى تدهور تدريجي وخراب محذق.

هذا التدهور لا يؤثر على المجال المبني فقط بل يهدد كذلك المهارة والتنظيمات الحرفية وأشكال الاستيعاب واستعمال المجال وضوابط التمدن الماطرة للعلاقات الاجتماعية داخل المدينة بصفة أخرى، تتجلى هذه الانعكاسات حسب فرناند بروديل في "الانسان والموروث الحضاري وكذا مجال عيشه وتاريخه".

ت - مفاهيم ومؤسسات

كلنا على علم بالمجهودات العديدة التي بذلت، بصفة عامة، سواء في المجال المفاهمي والمعرفي، أو في مجال رد الاعتبار والمحافظة على التراث العمراني بمختلف مكوناته.

ويمكننا هنا، ولو بعجالة، عرض تجربة التأسيس المعرفي، في مجال الهندسة المعمارية والتراث المعماري، فيما بين الحربين، ومثال على ذلك، تجربة كوسطافو جيوفاني، الشخصية النابغة في مجال العمران، حيث لعب دورا أساسيا خلال المؤتمر العالمي المنعقد بأثينا سنة ١٩٣١، حول صيانة وترميم المعالم التاريخية.

كما تجدر الإشارة هنا، إلى أنه بعد فترة وجيزة من انتهاء الحرب العالمية الثانية، تم إحداث مجموعة من المؤسسات، ذات الصيت العالمي، متخصصة في مجال العمارة، ورد الاعتبار للتراث المعماري، ونذكر على سبيل المثال لا الحصر، الاتحاد الدولي للمهندسين المعماريين والمجلس الدولي للمعالم والمآثر.

نذكر أيضا، بهذه المناسبة، الإنشاء التدريجي لمدارس الهندسة المعمارية ومدارس الفكر في العالم العربي الإسلامي بعد الاستقلال.

إضافة إلى كل هذا، ظهرت إلى الوجود مؤسسة التراث العالمي لليونسكو، والتي تضم مجموعة من المدن العربية والإسلامية ضمن التراث الإنساني. وأخيرا، يمكنني أن أذكر كذلك، إحداث جوائز خاصة بالهندسة المعمارية، ومثال على ذلك، جائزة أغاخان للعمارة المؤسسة سنة ١٩٧٧.

تشكل هذه المؤسسات، الوسائل الناجعة لكونها توفر فرصا سامحة لرد الاعتبار للتراث المعماري، وكذلك المساهمة في خلق مجموعة من شبكات جمعوية مختصة في هذا الميدان.

كل هذا، كان مشجعا، وساعد على تحديد جدي للإشكاليات المعمارية والاجتماعية، وكذا توضيح معالم الأبعاد المتوخاة مستقبلاً.

وفي نفس السياق والاتجاه، يجب في نظري، تحليل وقراءة مغزى رسالة حسن فتحي والاعتراف الدولي بنظريته الخاصة، بموضوع إشكالية الأصالة والمعاصرة.

ج - الذاكرة المحلية والخطر المحدق بها

بدون الدخول هنا في أي جدال بخصوص هذا الموضوع، أود فقط إثارة انتباهكم، إلى أنه رغم مختلف المجهودات المبذولة، والإمكانيات المسخرة، في خدمة رد الاعتبار، والمحافظة على التراث المعماري، بالعالم العربي الإسلامي، تبقى محدودة وغير كافية. محدودة مقارنة، مع غنى وتنوع واتساع المجال الجغرافي، الذي احتضن نشأة وتطور المعمار العربي الإسلامي.

فباستثناء الأعمال النادرة، ذات النفس الطويل، الجادة والدقيقة، مثالا على ذلك : أعمال جاك روفو، المخصصة للسكن، بكل من تونس والقاهرة وفاس.

إننا بعيدين كل البعد، عن إمكانية إعداد رفوعات، ودراسات هندسية دقيقة ومفصلة، معبرة بجلاء، عن تعدد، وتنوع نمط التنظيم المجالي واستعمال المسكن بالمدن التاريخية، بالعالم العربي والإسلامي.

وهكذا، وفي غياب أعمال مماثلة، في نفس المجال، ستعرف مستقبلاً المدن التاريخيةبالعالم العربي والإسلامي، والتي هي في حالة تدهور متقدم، فقدان المضمون والشكل. بمعنى آخر، إننا أمام تحد البقاء والدوام، في مجال المعرفة الدقيقة، لمختلف مكونات تراثنا المعماري المبني.

وهكذا، تطرح مسألة تحديد الأسس والمعطيات والمعايير، قصد إيجاد الوسيلة الأنجع، للمحافظة ورد الاعتبار لذاكرة التراث، انطلاقا من النصوص المرجعية، والرفوعات، والدراسات الكلاسيكية، إلى التقنيات الحديثة، كاستعمال الصورة الحية المركبة أو توهيم الصورة الافتراضية.

إذن، على أي أسس ومعطيات ومعايير يمكننا دراسة وتكوين رصيد معرفي خاص بتراثنا المعماري المبني، لأجل استغلاله وتوظيفه في الإنتاج التجريبي للإطار المبني الكفيل بتلبية حاجيات ومتطلبات وتطلعات الإنسان العربي الإسلامي المعاصر؟

كيف يمكن تكوين "ذاكرة التمدن" تكون خير شاهد، على الذاكرة الجماعية والإطار المرجعي، من جهة، ومصدراً لعملية الإبداع، في مجال السكن المعاصر، من جهة أخرى ؟

هـ – المواطنة والتطلعات المستقبلية

أخذا بعين الاعتبار، الانعكاسات الحتمية، السالفة الذكر. يعتبر انتعاش ثقافة جديدة، ترتكز على الإنسان والمكانة التي يستحقها، أكبر تحد للإنسانية في الألفية الثالثة. ومن الركائز الأساسية لهذا التحدي المستقبلي البحث، والمحافظة على الهوية الذاتية لمجال العيش وجعلها في صلب سياسة التدبير الحضري.

وهكذا، وكما تعلمون، منذ المؤتمر الأول للأمم المتحدة حول المستوطنات البشرية، المنعقد بفانكوفر، قبل خمسة وعشرين سنة، وخلال القمة العالمية بإسطنبول، اعترفت الحكومات المركزية بأنها لا تستطيع لوحدها، أن تواجه المشاكل الناتجة عن الانفجار الحضري، وقد كانت هذه القمة مناسبة لدراسة موضوع الشراكة، وخاصة منها، تلك التي ترتكز على ممثلي المجتمع المدني. شراكة يمكن أن تؤدي إلى حل المشاكل المطروحة وإلى إغناء الحياة الحضرية، في نفس الوقت، وذلك بالمحافظة على الخاصيات والقيم الحضارية لكل مجتمع.

II / التجربة النموذجية المغربية

أ – الخصائص الجغرافية والتاريخية

لا شك أن بلدنا يمتلك تقليداً رفيعاً في مجال الهندسة المعمارية، فالمملكة المغربية تتمتع برصيد تاريخي

هائل، على درجة كبيرة من الثراء والتنوع، يتجلى في العمران وفي المآثر التي تزين العواصم التاريخية للبلاد ويتجلى في البياض الخلاب للمدن المتوسطية كما يتجلى في التراث المعماري الترابي للأقاليم الصحراوية.

ينبع هذا الغني والتنوع الذي يميز تراثنا المعماري من موقعنا الجغرافي ومن التطور التاريخي لبلادنا فبالاضافة إلى كونه يقع في ملتقى قارتين ومجالين بحريين، يتميز المغرب بحدوده الصحراوية، فبلادنا التي هي أرض التبادل والتلاقي تلقت وأدمجت في كيانها منذ آلاف السنين عطاءات حضارات عديدة، عطاءات تجلت من بين أهم ما تجلت فيه في التراث المعماري، هذا المجال الاجتماعي الذي اتخذت من خلاله المبادلات والتغيرات شكلاً مادياً استمر حيا عبر الزمن.

ب - مصير التراث المعماري

كما تتميز المملكة المغربية بالثقافات والحضارات التي تراكمت واغتنمت طوال عقود من الزمن انتجت بذلك تراثاً معمارياً غنياً ومتنوعاً يشكل هذا التراث اليوم وبالرغم من حالته المتدهورة مقارنة مع بعض الدول الأخرى خير شاهد على الخصوصيات الحضرية التي يفتخر بها العالم العربي الاسلامي.

وخير دليل على ذلك الاعتراف والتنويه الدولي بهذا التراث حيث تم إدراج مجموعة من المواقع الأثرية لوليلي والمدن العتيقة لكل من فاس ومراكش ومكناس وتطوان والقصور والقصبات لايت بن حدو، ضمن لائحة التراث العالمي الإنساني من طرف منظمة اليونسكو التي نوهت بالمجهودات المبذولة لإنقاذ هذا التراث في إطار شمولي. هذا الإرث المعماري والعمراني المتميز وأشكال التمدن الصامدة المعترف بهما يشكلان أرضية ومجالاً للأبحاث وعمليات إنقاذ ومحافظة ورد الاعتبار وتحيين هذا التراث الحي الذي ينبعث اليوم في أشكال توافق ومتطلبات العصر الحالي.

هذا الانبعاث على أسس جديدة من خلال ممارسات تجريبية في مجال الشراكة المتعددة بين ما هو محلي ومركزي، ومجال القوانين الجديدة الخاصة بالأنسجة العمرانية القديمة، وكذا مجال الاعلام والتحسيس بالقيم الثقافية للتراث بمختلف أشكاله الذي يعتبر مقوماً أساسياً لتحديد هوية المواطن المغربي حاضراً ومستقبلاً.

ج - التحدي المزدوج

كان المغرب في بداية القرن يتميز بساكنة أغلبها قروية، أكثر ٩٠٪ من السكان، إلا أنه يعرف حالياً نمواً حضرياً مهما حيث أنه بعد مرور قرن من الزمن أصبحت نصف الساكنة تقطن الحواضر، كما يتوقع أن يتضاعف عدد سكان المدن خلال الثلاثين سنة المقبلة مشكلاً بذلك ثلثي مجموع سكان البلاد.

هذا الوضع جعل وسيجعل في مستقبل قريب السلطات العمومية تواجه أكثر فأكثر مشكلتين معقدتين وغير متناقضتين ألا وهما من جهة عدد الوحدات السكانية والتجهيزات الاجتماعية الأساسية التي يجب انتاجها موازاة مع التطور العمراني ومن جهة أخرى الاشكالية المتعلقة بالطبيعة والهوية الثقافية للمجالات الاجتماعية وإطارات العيش المتوخاة للأجيال القادمة وكذا مشكل هوية مدن الغد أي مشكل علاقتنا مع تراثنا من جهة ومع

الرصيد المعماري الذي سنخلفه للأجيال المقبلة من جهة أخرى .

توجد هذه الإشكالية اليوم في جوهر انشغالات السلطات العمومية المغربية ومن الدوافع الأساسية التي أدت مؤخراً إلى إحداث مديرية الهندسة المعمارية في قطاع حكومي أنيطت به مهمة مواجهة أكبر التحديات وتدبير أهم الورشات المتعلقة بالمستوطنات البشرية وكذا اعداد التراب الوطني والبيئة والتعمير والإسكان .

لقد أنشأت مديرية الهندسة المعمارية بهدف التفكير في مثل هذه المشاكل المعقدة تلك التي لها علاقة بإشكالية التراث المعماري انطلاقاً من كونه الذاكرة الحية والهوية من جهة ، ومن جهة أخرى كإطار محدد للإبتكار والإبداع وكمحدد لمصيرنا وحيازته لحلول فك رموز مستقبلنا .

III نحو تكوين " ذاكرة حية " للتمدن العربي الإسلامي

أمام كل هذه المشاكل نجد أنفسنا غير قادرين لوحدنا على التفكيربطريقة ملائمة في إيجاد الحلول الناجعة والنجاح في رفع هذا التحدي .

انطلاقاً من كل هذا إننا جد وثقيين بضرورة التفكير الجدي في تصور مستقبل يأخذ بعين الاعتبار البعد الثقافي والهوية الحضارية . إذ كيف يمكن تصور وإنجاز مشاريع معمارية تحافظ وتزكي دور الذاكرة الجماعية التي تشهد بها ، في الحياة اليومية ، على التراث المعماري كمجال التمدن؟ كيف يمكن استخلاص العبر من الماضي لخلق المستقبل المتجلي في التراث المعماري؟ كيف يمكن تكوين " ذاكرة حية " للتمدن العربي الإسلامي؟

انطلاقاً من هذا المنظور ومن خلال التفكير والاستفادة من التجارب الحالية ، سوف يتم تقديم وطرح مثل هذه التساؤلات مستقبلاً .

المراد من هذا كله هو إيجاد مشروع وتكوين رؤيا مستقبلية في مستوى المجهودات التي ما فتنت تبذلها منظمة المدن العربية وشركاؤها في هذا المؤتمر . مشروع طموح يأخذ بعين الاعتبار مدى التحديات التي يستوجب رفعها . فهل بإمكاننا جميعاً في إطار هذا المشروع إيجاد تصور كفيل لضمان الأجيال القادمة في مستوى الأرث المعماري الإسلامي؟





نـــــدوة

التراث المعماري الاسلامي في الألفية الثالثة

١٨ - ٢٠ مـــارس ٢٠٠١

التراث العمراني وإشكالية العمران المعاصر في المدينة العربية الاسلامية

د. صالـح بن علـي الهذلـول

في هذه الورقة ينصب إهتمامنا على الواقع الحاضر، فالقضية هنا ليست القبول بالماضي وشرعيته وإنما في تقدير مصداقيته واصالته وبالتالي قيمته كمصدر للحاضر، فالتقاليد لذاتها لا تكتسب صفة الشرعية لكنها تحمل في ثناياها موروثاً ثقافياً وقيماً تؤهلها لتكون أهم مصدر لمعارفنا ومنطلقاً لأفكارنا وأعمالنا.

لقد تطرقت في دراستي عن المدينة العربية الاسلامية لموضوع التقاليد وكيفية تكوينها وأوضحت أنها عملية متطورة أكثر منها هدفا جامدا لا يتغير (الهذلول). ففي تطور المدينة العربية الاسلامية خضعت التقاليد لتغيرات مستمرة لكن الاحساس بوجودها واستمراريتها كان ماثلا على الدوام. ومع بداية القرن العشرين الميلادي جابهت هذه التقاليد تحديات كثيرة وبذلت محاولات عدة لاعادة الصلة بالماضي لكنها جميعا باءت بالفشل، ونتيجة لذلك تكونت لدينا بيئة عمرانية معاصرة مغايرة كلية للبيئة العمرانية التقليدية في المدينة العربية الاسلامية. وقد قمنا في دراستنا تلك بمحاولة لايضاح الكيفية التي حدثت بها عملية التحول، حيث تتبعنا نشأة البيئة العمرانية التقليدية وكيفية تطورها، ثم نظرنا الى البيئة العمرانية المعاصرة أين نشأت وكيف أدخلت الى المدينة العربية الاسلامية. وباستخدام التشريع في دراستنا وتحليلنا للبيئة العمرانية التقليدية والمعاصرة استطعنا أن نذهب الى ما هو ابعد من مستوى الشكل والنمط العمراني. فقد افادنا التشريع في الوصول الى مستويين آخرين في التحليل هما: المستوى الفكري والتركيبي للمجتمع، وكذلك المستوى التطبيقي للأنظمة والتشريعات. كما مكننا التشريع أيضا من التعامل مع الاشكال والتكوينات العمرانية في إطارها الاجتماعي والثقافي.

لقد أوضحنا في تلك الدراسة أن نموذج المدينة العربية الاسلامية التقليدية جاء نتاجا لأنماط عدة، فقد جاء الاسلام الى عالم قائم ذي تقاليد متعددة. وقد شكلت هذه التقاليد منطلقا لنشوء وتطور المدينة العربية الاسلامية التقليدية. وقد أشرنا من بين تلك التقاليد الى أنموذجين هما: النموذج الهيليني - الروماني بتخطيطه الشبكي المتناسق كما في مدينتي دمشق وحلب، والنموذج العربي المستند الى القبيلة كمجتمع متوطد، والى نظام "الخطة". وما من شك أن هذا النموذج قد برز نتيجة الانتماء المتأصل لدى القبائل العربية وارتباطها بأماكن محددة حيث تكون اراضي كل قبيلة مملوكة جماعيا لافراد القبيلة. وقد ظهر هذا النموذج وتطور في المدينة المنورة زمن الرسول صلى الله عليه وسلم وتجسد بشكل واضح فيما بعد في مدن الامصار وهي البصرة والكوفة والفسطاط. وقد استمر العمل بهذا النموذج في مدينتي بغداد وسامراء في القرنين الثاني والثالث الهجريين (الثامن والتاسع الميلادي)، ولكن بشكل أكثر تنظيماً ووضوحاً.

وقد تحولت النماذج المختلفة التي بدأت بها المدن العربية الاسلامية منذ نشاتها الى نموذج اساسي تمثل في نمط المدينة العربية الاسلامية التقليدية المعروفة لنا جميعا. وكان هذا النموذج نتاجا لمفاهيم وافكار ومعتقدات معينة لسكان تلك المدن. وقد تمخضت عن هذه المفاهيم والمعتقدات قيم وأعراف اجتماعية وقواعد سلوكية درج الناس في تلك المدن على قبولها واتباعها والسير بمقتضاها. وقد شهدت المدينة العربية الاسلامية التقليدية تنوعا في الاشكال والتكوينات العمرانية، كما ابتكرت اشكال وتكوينات جديدة بصفة مستمرة دونما تحد لقواعد

السلوك المرعية.

وفي الجزء الثاني من تلك الدراسة المتعلق بنمو وتطور البيئة العمرانية المعاصرة في المملكة العربية السعودية، أوضحنا كيف تم إدخال نمط وطابع عمراني معين، هما النظام الشبكي كنمط للشوارع والفيلا كنموذج للسكن. وقد كانت بداية ذلك في المخططين الشبكيين لمدينة الدمام والخبر اللذين اعتمدتهما شركة ارامكو في أواخر الستينيات من القرن الهجري المنصرم (الاربعينيات من القرن الميلادي الحالي)، واستمر الاتجاه في استخدام النمط الشبكي ونموذج الفيلا من قبل الشركة في إنشاء مدينتي رحيمة وبقيق في السبعينيات من القرن الهجري المنصرم (الخمسينيات من القرن الميلادي الحالي). وتوطد النمط الشبكي للشوارع والفيلا كنموذج للوحدة السكنية المستقلة أكثر فأكثر من خلال مشروع اسكان موظفي الدولة في منطقة الملز بالرياض وذلك في أواسط السبعينيات الهجرية من القرن المنصرم (الخمسينيات الميلادية من القرن الحالي).

وما أن أدخل هذا النموذج المستحدث حتى اصاب المجتمع خلل في تركيبته الاجتماعية. فقواعد السلوك التي كانت تعمل بانتظام واتساق في المجتمع جوبهت في كثير من الحالات بتحديات قوية. وكانت استمرارية تطبيق تلك القواعد في البيئة الجديدة ستؤدي الى إبدال وتعديل النموذج المستحدث. لذا فقد كا من الضروري لضمان استمرار النموذج المستحدث استحداث نظم عمرانية جديدة. وقد نقلت هذه النظم، مثلها كمثل النموذج المستحدث ذاته، من مجتمعها الأصلي، وهو مجتمع أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية. ويعتقد بأن الطريقة التي تمت بها عملية ادخال هذا النموذج والنتائج التي نجمت عنها كانت متماثلة في كافة المدن العربية الاسلامية. إلا أنه سيكون من المفيد أن نرى كيف تشكلت تلك العملية في بيئة عمرانية أخرى كمصر وسورية وتونس، نظرا لطول الفترة الزمنية التي استغرقتها عملية التحول بالمقارنة مع الأوضاع في المملكة العربية السعودية.

إن هناك اختلافا اساسيا في طبيعة ضوابط توجيه التنمية في كل من البيئة التقليدية والمعاصرة. فقد اعتمدت المدينة التقليدية على أعراف الاستعمال كي توجه وتتحكم في النمو والتغيير، بينما اعتمدت المدينة المعاصرة على تصورات سابقة التحديد للاشكال والتكوينات العمرانية، وقد ارتكزت هذه العملية في المدينة التقليدية على قواعد للسلوك وأعراف اجتماعية توضح للسكان تلك التصرفات الممنوعة والتي تتنافى مع الاجماع العام، مما يتفق مع الدين الاسلامي كمنهج للحياة، فالشريعة الاسلامية تنظم حياة المسلم من وجهتين، إحداهما العبادات، والأخرى المعاملات. فبالنسبة للعبادات تحدد الشريعة للمسلم ما يجب أن يعمله، والكيفية التي يجب أن يؤديه بها. أما في المعاملات فان الشريعة توضح وتحدد ما هو محرم أو مكروه ويجب على المسلم عدم مزاولته واجتنابه، بينما تترك الباب مفتوحا لمزاولة ما لم يرد به تحريم أو كراهية في التشريع. وتندرج معظم قواعد السلوك في المدينة العربية الاسلامية التقليدية تحت نطاق المعاملات (الهذلول، ١١١ - ١٢١). لكن الوضع مختلف عن ذلك في المدينة المعاصرة، فالقواعد والنظم في المدينة المعاصرة مادية بحتة تعتمد على اشكال وتكوينات موصوفة ومصممة مسبقا، وبدلا من أن توضح هذه النظم للناس ما يجب تجنبه،

فإنها تحدد لهم ليس ما يجب عمله فقط ، بل والكيفية التي يجب أن ينفذ بها . وينطوي الاتجاه في البيئة التقليدية على علاقة تبادلية ممكنة الحدوث بين الشكل والاستعمال دونما تصور مسبق للتركيب أو الشكل النهائي للمدينة ، مما يتيح حرية في الاختيار ومرونة في استخدام العناصر العمرانية المختلفة . أما الاتجاه في المدينة المعاصرة فينطوي على علاقة جبرية بين الشكل العمراني والاستعمال اليومي . فعن طريق تحديد ما يجب أن يكون عليه الشكل النهائي للمسكن ، يعرض هذا النموذج مفهوما محددا للاستعمال ليس من الضروري أن يكون متماشيا مع القيم التي درج الناس على قبولها والعمل بها ، بل على النقيض من ذلك ، حيث ينحي في كثير من الاحيان الى ما يتنافى مع تلك القيم والاعراف والتقاليد .

ولقد نجم عن الاختلاف في طبيعة النموذجين التقليدي والمعاصر ، وكذلك الاعتقاد بأن النظم والتشريعات المعاصرة المقننة ما هي إلا أمور تقنية خالية من المضامين الثقافية ازدواجية في المجتمع ككل وبالذات في آليته التنظيمية والتشريعية وبيئته العمرانية . فعلى المستوى التنظيمي هناك سلطة المباني التي تتصرف وتصدر قراراتها على اساس التنظيمات واللوائح التي يحددها المخطط العام من جهة ، ومن الجهة الاخرى هناك المحكمة التي تعمل وتسير بمقتضى القيم والمباديء الدينية والاعراف والتقاليد الاجتماعية المرعية في المجتمع . ولطالما كانت القرارات الصادرة عن كل منهما متعارضة مع الاخرى . وعلى المستوى العمراني لدينا بيئتان مختلفتان ومتنافرتان هما البيئة التقليدية والمعاصرة .

لقد تركز البحث في كتاب المدينة العربية الاسلامية في قضيتين هما : البيئة العمرانية التقليدية من حيث نشأتها ونسق تطورها ، والبيئة العمرانية المعاصر وكيف تم إدخالها الى المدينة العربية الاسلامية وأوجه اختلافها وتنافرها مع البيئة التقليدية . وسنتناول هنا قضيتان أخريان هما : الاسباب والدواعي التي أدت الى إدخال البيئة العمرانية المعاصرة الى المدينة العربية الاسلامية ، وقضية إعادة الاحساس باستمرارية الماضي ليكون لنا حاضر متأصل .

بالنسبة للقضية الأولى المتمثلة في الاسباب وراء استحداث البيئة العمرانية المعاصرة هناك ثلاثة عوامل يعتقد أنها شجعت وساعدت في عملية التحول الى النموذج المعاصر وتوطيده هي : ظهور بعض المفاهيم والافكار ، والتغير في حجم التنمية العمرانية وقوى التخصص والتقنية ، وبعض المشاكل في مجال العمارة والتحضر وعلاقة ذلك بالبيئة العربية الاسلامية .

١) المفاهيم والأفكار :

بالنسبة للنظرة الى الماضي والموقف من التقاليد هناك إتجاهين رئيسيين : موقف التقليديين وموقف المستقبليين ، فالتقليديون يقرون بشرعية الماضي وبأنه الدليل الوحيد الذي يمكن الأخذ به لتشكيل الحاضر . وموقف كهذا لا يمكن أن يؤدي إلا الى عزلة المجتمع عن واقعة المعاصر وبذلك يصبح الموقف العام من الماضي مجرد تقليد (محاكاة) له . ولا يرفض دعاة وأنصار هذا الاتجاه استخدام التقنية الحديثة "المستوردة" فذلك

ضرورة للمجتمع شريطة إفراغ وتجريد تلك التقنية من كافة مضامينها الثقافية التي نشأت فيها . أما المستقبليون فلا يقفون عند إنكارهم لشرعية التقاليد فقط بل انهم لا يقرون باصالتها ومصداقيتها كمصدر للحاضر ، فهم ينظرون الى التقاليد كعنصر يعيق التقدم ، وعليه فالنهج الوحيد لصحوة المجتمع وتقدمه باعتقادهم هو في محو كل شيء تقليدي وتجاهله والبدء من نقطة الصفر . وبناء على ذلك يضطر المجتمع الى اللجوء الى استيراد ما أمكن من الافكار والتقنيات من الثقافات الاخرى (Laroui ، ١١٤ - ١١٦).

وبرغم كل ذلك ، يلتقي الموقفان ويتفقان على نقطة واحدة ، ألا وهي رغبتهما في استخدام التقنية الحديثة في مجتمعاتهم ، فالتقليديون يقدمون هذا التنازل نظرا لحاجة المجتمع الماسة للتقنية . أما المستقبليون فيؤكدون على عاملين استقرا في إذهانهم : الأول ، انبهارهم بالتقنية الحديثة وافتراضهم الضمني أن استخدام التقنية الحديثة يكفي للتعامل مع جميع مشاكل المجتمع . أما العامل الثاني ، الذي تشاركهم فيه فئة كبيرة من المجتمع ، فهو توهمهم من أن التحديث مرادف للتغريب ، وعليه فان كل ما هو غربي يكون بالضرورة حديثا ، مما عزز كثيرا من عملية استيراد الافكار والمواد من المجتمعات الاخرى .

وتواجه كلا الموقفين مشكلة اساسية ، فالموقف التقليدي الداعي الى الأخذ بالتقنية الحديثة طالما كانت مفرغة ومجرّدة من كافة المضامين والأطر الثقافية ينم عن عدم فهم لطبيعة التقنية الحديثة ، إذ ينظر عادة هذا الموقف الى التقنية على أنها مجموعة من المخترعات المادية تقوم بتأدية وظيفة فنية ويطلقون عليها اصطلاح "الادوات والاجهزة" . ان التقنية بطبيعتها المحصنة تشتمل الى جانب المخترعات المادية على مجموعة من الأنشطة أو الوسائل التقنية . وقد صاحب ظهور التقنية المعاصرة نشوء أنواع من التنظيمات الاجتماعية والفنية والانظمة أو الشبكات المتشعبة غدت تشكل جزءا من التقنية المعاصرة (Winner ، ١١ - ١٢) . وبسبب إغفال الآخذين بالاتجاه التقليدي لهذا المسألة أو عدم وضوحها لهم فقد اعتقدوا بإمكانية إفراغ وتجريد التقنية من مضامينها وأطرها الثقافية . أما المشكلة الأساسية عند المستقبليين الذين يرغبون في البدء من نقطة الصفر فتتمثل في اعتقادهم بإمكانية محو وتجاهل التقاليد وأن لا حاجة لاعتبارها ومراعاتها لدى استيراد اي نظم أو تقنية حديثة . وقد نجم عن مواقف التقليديين والمستقبليين خلق تلك الازدواجية التي سبق أن تحدثنا عنها في معرض النظم ككل في المجتمع العربي الاسلامي . وقد تمثلت هذه الازدواجية في نشوء بني ونظم متوازية لكنها غير متكافئة ، بعضها من نتاج الماضي والآخر مستورد من مجتمعات أخرى . وقد استمرت تلك البنى والنظم في التوازي على كافة المستويات دون أن يتحقق بينها التكامل والاندماج . ومن الامثلة الواضحة لمثل هذه الازدواجية ما نراه في الانظمة والتشريعات وفي البيئة العمرانية وفي نظام التعليم في المجتمعات الأسلامية .

٢) حجم التحضر ، قوى التخصص والتقنية :

يتمثل العامل الثاني الذي سهل الانسياق وراء البيئة العمرانية المعاصرة وهجر البيئة التقليدية في التغيرات التي طرأت على طبيعة التقنية وحجم التنمية العمرانية ونظم قوى التخصص . فبالنسبة لطبيعة التقنية أشرنا سابقا الى أن التقنية الحديثة ، خلافا للاساليب التقليدية ، تتطلب أن يكون لها تنظيماتها وشبكاتها وأن هذه

التنظيمات والشبكات تتطور مع الزمن. ويمثل تطور البيئة العمرانية في المملكة العربية السعودية أفضل مثال لذلك، فعندما تقرر في أواخر الخمسينيات من القرن الهجري المنصرم (الثلاثينيات من القرن الميلادي الحالي) استخدام اساليب البناء التقليدية في مشروع بناء مجمع المربع في الرياض كانت الادوات والوسائل المادية وكذلك المعارف الفنية التخصصية متوافرة في المجتمع، كما كانت القدرة على تسييرها وادارتها متوافرة ايضا. لكن عندما تقرر في وسط السبعينيات من القرن الهجري المنصرم (الخمسينيات من القرن الميلادي الحالي) الشروع في تنفيذ برامج إنشائية ضخمة في الناصرية والملز ومباني الوزارات على طريق المطار في مدينة الرياض واستخدام التقنية الحديثة في تنفيذها، أصبح من الضروري عندئذ استيراد المواد والوسائل المادية ذات الاداء الفني ومجموعة المعارف الفنية كالخبرات وطرق واساليب الانشاء والعمارة ونظم العمل من خارج البلاد. ومع استيراد هذه المعارف والخبرات والمواد تم ايضا ادخال التنظيمات والشبكات الخاصة بها التي لم تكن ظاهرة للعيان في حينه، ومن المرجح أنه لم يشعر أحد أو يفكر بتاثيرها والانعكاسات التي ستنجم عنها في حينه. ويوضح البرنامجان الانشائيان بشكل جلي التغير والتطور في حجم التنمية العمرانية. كما يتضح أيضا أن البرنامج الاخير منهما لم يكن بالامكان تحقيقه دون استخدام التقنية الحديثة، خاصة إذا أخذنا في الاعتبار ضخامة المشروع وقصر الفترة الزمنية المطلوبة للتنفيذ (الهذلول، ١٣٩ - ١٥٣).

لقد استوجب نمو المجتمع الصناعي والتطورات في التقنية المعاصرة وتنظيماتها وشبكاتها الحاجة للتخصص، وبتزايد هذا التخصص لم يعد بمقدور المجتمع العمل كوحدة واحدة، مما استلزم وجود منظم لادارة وتخطيط المجتمع ككل. وقد تمثل هذا المنظم في متخصص جديد عرف بالاداري (البيروقراطي)، أو التقني (التكنوقراط) أو الاثنين معا. هذا الاخصائي أو مجموعة الاخصائيين فوضت إليهم صلاحية ادارة المجتمع كإعداد المخططات، ووضع المعايير والأسس والقواعد، وتحديد الأدوار (Toffler، ٧٨). وقد قلل ذلك من دور المجتمع وحريته في وضع معاييره ومقاييسه بنفسه، وترك ذلك للاداريين الذين قد لا تكون قراراتهم بالضرورة دائما سليمة ومناسبة. ومثال ذلك في إطار موضوعنا المخططات الرئيسية التي أعدت لعدد من المدن العربية والاسلامية خلال الخمسين عاما الماضية، حيث قامت مجموعة من الاداريين والتقنيين بوضع أهداف لنمو هذه المدن، ومن ثم عكفوا على إعداد المخططات لتحقيق تلك الاهداف، فكانت حصيلة ذلك أن تحققت رؤيتهم الخاصة لما يجب أن تكون عليه المدينة. هذه الرؤية قد لا تتفق بالضرورة مع رؤية واحتياجات ورغبات وتطلعات المجتمع ذاته.

٣) قضايا العمارة والتحضر

أما العامل الثالث الذي شجع وعمل بشكل أو بآخر على تعزيز استمرار وتوطد نمو البيئة العمرانية المعاصرة فيتعلق بالعمارة والتحضر على المستويين الفكري والتطبيقي. فمجال الدراسات العمرانية جاء نتاجا لتطور العلوم الانسانية المعاصرة التي تأسست ونمت على مباديء التحضر في الغرب. لذلك فان الدراسات العمرانية للمدينة العربية الاسلامية أو لأية مدينة من مدن العالم الثالث لا تزال تأخذ نموذج نشوء وتطور المدينة الغربية

منطلقا لها ، إلا ما ندر في قليل من الدراسات . وقد عمل هذا الاتجاه على اقناع المختصين والمخططين والمعماريين على حد سواء بأن المدينة العربية الاسلامية ماضية قدما في تطورها على نسق النموذج الغربي ، وان نموذج التطور هذا ليس إلا نموذجا خطيا مستمرا تشكل مسألة الزمن فيه العنصر الجوهري في سبيل الوصول الى التماثل الكامل . ولا بد هنا من التركيز أيضا على وجود عامل آخر ساعد بدوره على توطيد هذا الاتجاه وهو الافتقار التام للدراسات التحليلية للمدينة العربية الاسلامية التقليدية ، إذ جنحت غالبية دراسات البيئة العمرانية التقليدية للجانب الوصفي فجاءت خالية من إدراك ومعرفة عملية نشوء وتطور البنى والتكوينات في المدينة العربية الاسلامية .

وهناك قضية أخرى تجدر الاشار اليها وهي العمارة المعاصرة وعلاقتها الوطيدة بالتقنة الحديثة . فالعمارة المعاصرة نشأت وتطورت متوازنة مع التقنية الحديثة في اطار نظام الرأسمالية الغربية ، ولهذا فقد كان تطورها موجها ومكرسا لتلبية احتياجات ومتطلبات ذلك النظام . وعندما ظهرت الحاجة في المدينة العربية الاسلامية عمدت الى استيراد هذا النموذج وتطبيقه دون التنبه الى ما اكتنفه من مضامين وأفكار (AU ، ١٠٧-١٠٩ ؛ AR) .

بقيت هناك مسألة أخيرة لا بد من التطرق لها رغم تعقيدها البالغ ، تلك هي ضرورة أن يكون للمجتمع حاضر أصيل ، وأن يكون هذا الحاضر سندا لتأصيل المستقبل أثناء عمليات تطوره أو إعادة تكوينه المستمر مع الحفاظ على الاحساس بالاستمرارية بين الماضي والحاضر والمستقبل . ولا ندعي هنا أننا سنتعامل مع هذه القضية بشكل مفصل ولكننا سنسهم في إعادة توجيهها وتحديد اطرها الفكرية ، ومن ثم الاشارة للنقاط التي تستحق المتابعة والبحث في المستقبل . وسنشير في هذه المعالجة الى ثلاثة جوانب هامة : أولها ، المدخل النظري الذي يجب الأخذ به والمضامين التي يشتمل عليها ، والجانب الثاني ، قضية الازدواجية في البنى والنظم وكيفية التغلب عليها ، والجانب الثالث ، نظرتنا الى الماضي من حيث كيفية إدراكه وفهمه وتحديده والاختيار منه .

ففيما يتعلق بالجانب الأول وهو المدخل النظري : تركز هذه الورقة على وضعنا الحاضر ، فلا تقبل بالماضي وشرعيته قبولا مطلقا ، إلا أنها تعترف باصالته ومن ثم بما له من قيمه كمصدر للحاضر . كذلك فإنها لا تتفق مع موقف المستقبليين الذي ينكر أهمية وأثر التقاليد . ونستشهد هنا بقول الفيلسوف ببر "يمكنك أن تقيم نظرية جديدة ، إلا أن هذه النظرية استحدثت لحل تلك المشاكل التي لم تستطع النظرية القديمة حلها" (Popper ، ١٣٢) . وهكذا ، فإنه ليس من الممكن نبذ النظرية القديمة وتجاهلها وكأنها لم تكن . وانطلاقا من نفس المبدأ ، ترفض الدراسة نظرية التقليديين التي تضفي حرمة وقداسة على أي شيء لمجرد أنه من مجريات الماضي . ان التقاليد في حد ذاتها لا تكتسب الصفة الشرعية ، ولكن قيمتها تكمن في أنها تشكل أهم مصادر لمعارفنا كما أنها تمثل الاساس والمرجع الذي نبني عليه افكارنا وتصرفاتنا . وبمعنى آخر ، فان التقاليد توفر لنا أرضية صلبة يستطيع المرء التحرك منها ، ولكنها لا بد أن تخضع للنقد والتقويم . وهذا المدخل يعني ، حسب تعبير ستانفورد اندرسون "أن التقاليد التي نعتز بها ليست كمّا من المعرفة فحسب أو قوائم من الاحداث التاريخية غير المميزة ،

بل هي تراث حيوي يمثل مجموعة من الافكار والقيم والمباديء الى غير ذلك مما لا نزال نجده صامدا أمام النقد" (Anderson، ٨١– ٨٢). وهكذا تصبح التقاليد عند الأخذ بها خيارا وليست مصيرا. ان اتباع هذه الطريقة يتطلب طرح المحاكاة والتقليد جانبا سواء كان ذلك تقليدا للماضي أو تقليدا ونقلا من حضارة أو ثقافة أخرى. كما أن الأخذ بهذا الاتجاه سيرتقي بمبدأ الاجتهاد ليصبح منطلقا لافكارنا وأفعالنا.

هذا الموقف بحكم تقديره لقيمة التقاليد ووعيه للمجريات المعاصرة، لا بد أنه سيكون قادرا على تقديم حلول متناسقة وسيقلل من حدة التعارض والازدواجية في المجتمع. وللقضاء على مشلكة الازدواجية في المجتمع لا بد من العمل الجاد النابع من الفهم والادراك التامين لطبيعة هذه المشكلة. وكمثال على ذلك في مجال العمران يمكن أن نتحدث عن امكانية تطوير برامج للمخططين تتناول الشريعة الاسلامية وعلاقتها بمشاكل وقضايا المجتمع وكذلك دراسة النظم العمرانية المعاصرة والاسس التي يعتمد عليها كل منهما، وأوجه التناقض بينهما. ان خريجي هذه البرامج سيكونون أكثر وعيا وادراكا واستجابة لمجتمعهم واحتياجاته.

أما بالنسبة للقضية الاخيرة، كيفية النظر الى الماضي وفهمه وتحديده والاختيار منه، فإننا نذكر بما سبق قوله عن موقف هذه الورقة من التقاليد. هذا الموقف يرى أن التقاليد في حد ذاتها لا تكتسب صفة شرعية ولكن قيمتها تكمن في أنها تشكل أهم مصدر لمعارفنا، كما أنها تشكل المرجع الذي نبني عليه افكارنا وتصرفاتنا. لذا فان هذا الموقف لا يقبل بالماضي وشرعيته قبولا مطلقا، لكنه يعترف باصالته ومن ثم بقيمته كمصدر للحاضر. فمعظم الدراسات التي أعدت في اطار المدينة العربية الاسلامية رأت في التكوينات العمرانية والعناصر المعمارية كالمشربيات والاروقة والقباب، رأت انها تمثل سمات اساسية للعمارة الاسلامية، ولم تحاول هذه الدراسات الكشف عن دواعي استعمالها (Grube). لذا فإن النتيجة التي تصل اليها تلك الدراسات هي الاعتقاد بأن هذه الاشكال العمرانية غير قابلة للتغير والتطور، وترى أننا إذا ما رغبنا الاحتفاظ بصلتنا بالماضي علينا أن نستمر في استخدام تلك الاشكال في هيئتها الاصلية. لكن لو طبقنا المدخل المقترح هنا وأخذنا تلك الاشكال العمرانية كقاعدة ومنطلق لافعالنا وأعمالنا وحاولنا فهمها والاسباب وراء استعمالها في محيطها الاجتماعي الثقافي الذي نشأت وتطورت فيه فستكون النتيجة مختلفة تماما.

دعونا نبحث ذلك ضمن إطار الخصوصية ودورها في نشوء وتطور تكوينات وأنماط المساكن، ونعود هنا الى الانماط المختلفة للمساكن التي نشأت وتطورت في المدينة المنورة وهي: مسكن الفناء، المسكن ذو القاعة والمسكن ذو المشربية وكلها تشمل عناصر معمارية مختلفة، لكنها جميعها تتماشى مع قواعد السلوك والاعراف التي درج عليها المجتمع. ان تحديد المرء للماضي من منطلق قواعد السلوك والاعراف، وليس من منطلق المظهر العمراني، سيوصله لنتيجة تختلف عن مجرد اضافة رواق أو مشربية لمسكنه اعتقادا منه باستمرارية صلته بماضيه. ويقودنا هذا الاستنتاج الى أن تحديد الشكل العمراني في اطار المدينة العربية الاسلامية لا يوجد في الاشكال المعمارية ذاتها وانما في التنظيم الذي يحكم اتساقها وترتيبها. لذا فان من الممكن تكييف بل وتغيير تلك الاشكال المعمارية طالما استمرت قواعد السلوك أو العلاقات والنظم التي كانت

تحكمها صامدة. وهذا بدوره يفضي بنا الى القول بعدم وجود نمط محدد مرتبط بالمسكن العربي الاسلامي أو بالشكل والتكوين العمراني في المدينة العربية الاسلامية ككل ، إنما هناك اتجاه محدد ازاء كيفية تعايش وتعامل الفرد المسلم مع جيرانه ومع المجتمع بشكل عام.

المراجـــع :

الهذلول ، صالح ، المدينة العربية لاسلامية : اثر التشريع في تكوين البيئة العمرانية ، الرياض ، دار السهن ، ١٩٩٤م.

Anderson, S. "Architecture and Tradition That lsnt Trad, Dad". In M. Whiffen (ed.), The History, Theory and Criticism of Architecture, Cambridge, Mass:M.I.T. Press, 1970.

Architectural review , No 998, April 1980. (سيرمز لها في المتن AR)

Architecture and Urbanism, No 121, 1981. (سيرمز لها في المتن AU)

Grube, E. " What is Islamic Architecture" in G. Mitchell (ed) Architecture of the Islamic World, New York, 1987.

Laroui, A. The Crisis of the Arab Intellectual, Traditionalism or Historicism, Berkeley: University of California Press, 1976.

Popper, K. "Towards a Rational Theory of Tradition", in his Comjectures and Refutations:the Growth of Scientific Knowledge, New York: Harper and Row, 1968.

Toffler, A. The Third Wave, Newyork, 1980.

Winner, L. AutonomousTechnology, Cambridge, 1977.



ندوة
التراث المعماري الاسلامي في الألفية الثالثة
١٨ - ٢٠ مارس ٢٠٠١

مشروع ترميم وإعادة إنشاء الجامع الأموي الكبير

بعلبك - لبنان

الأستاذ الدكتور / صالح لمعي مصطفي

مدير مركز إحياء تراث العمارة الإسلامية

ممثل المجلس الدولي للآثارفي الشرق الأوسط وشمال إفريقيا

عميد كلية الهندسة- جامعة بيروت العربية الأسبق

١- مدينة بعلبك :[١]

مدينة بَعْلَبَك (بَعَلْبَك بالعامية) تقع على طرف سهل البقاع وهي إحدى المدن الرئيسية ومركزا زراعيا هاما في منطقة البقاع. ولا يعرف عنها الكثير قبل العصر اليوناني (٢٣٣ . ق.م). بعد وفاة الإسكندر الأكبر (٣٢٣ ق.م) أصبحت تحت حكم بطالمة مصر الذين أطلقوا عليها اسم مدينة الشمس (هليوبوليس). وفي عام ٢٠٠ ق.م خضعت بعلبك لحكم السلوقين الذي استمر حتى الفتح الروماني في عام ٦٤ ق.م وقد اشتهرت مدينة بعلبك بمعابدها التي أقيمت خلال الفترة الرومانية. وقد دخلت لفترة تحت الحكم البيزنطي. وقد تحولت منطقة الآثار بعد الفتح الإسلامي لها في عام ٦٣٧م إلى قلعة حصينة.

وقد ترك اسم الإله بعل أثره في أسماء بعض الأماكن والمدن اللبنانية وعلى سبيل المثال بعلشمية والذي يرجع إلى الإله بعل شميّا (b el smayya) الشكل الآرامي للاسم الكنعاني بعل شمم (ba al Samem) وهناك ثلاثة اجتهادات لأصل كلمة بعلبك، إلا أنه على الأرجح أن الاسم يعود إلى جذور كنعانية : بعل نبك ba al ne-bek تحولت في الآرامية إلى بعل نبك (b al nbek) ومنها إلى بعلبك (b Ibek) حيث كلمة نبك (nebek) تعني نبع.[٢]

وتتميز ناحية بعلبك بصفاتها القارية الحادة حيث تتجاوز درجة الحرارة في الصيف ٣٥ درجة مئوية وتنخفض الرطوبة النسبية إلى ٤٠٪. كما أن معدل سقوط الأمطار يبلغ ٤١٢م سنويا ومعدل الأيام المطيرة ٥٢ يوما في السنة في المتوسط وقليلا، تتساقط بها الثلوج في الشتاء إلا أن درجة الحرارة تنخفض لتصل إلى ٢ درجة مئوية. ويبلغ معدل أيام الصقيع في السنة ٣٩ يوما. ويرتفع البقاع في جوار بعلبك إلى ١٢٠٠ مترا فوق سطح البحر.[٣]

وقد دخلها أبو عبيدة في العصر الإسلامي عام ١٦هـ/ ٦٣٧م بالأمان وأصبحت في العصر الأموي والعباسي جزءا من جند دمشق. وفي العصر الفاطمي تم تعيين أول نائب للخليفة الفاطمي بالمدينة في عام ٣٦١هـ/ ٩٧٢م.[٤] ثم تناوب على حكمها أمير حلب صالح بن مدراس في عام ٤١٦هـ/ ١٠٢٥م. ثم حكمها السلاجقة عندما سقطت في يد تتش عام ٤٦٨هـ/ ١٠٧٥م. ثم البوريون (كُمشتكين) والزنكيون[٥] والأيوبيون[٦] الذين قاموا بعمل العديد من التحصينات بالقلعة. بعد ذلك دخلت تحت حكم المماليك[٧] البحرية والبرجية - حكام مصر - منذ عام ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م حيث أصبحت مدينة هامة يعين نائبها في أغلب الأحيان من قبل نائب السلطنة في دمشق. وكانت المدينة نقطة محورية على طريق دمشق - حمص وطريق دمشق - طرابلس.

في عام ٩٢٢هـ/ ١٥١٦م أصبحت تحت الحكم العثماني وقد ملكها السلطان سليم بالأمان[٨]؛ ومن أشهر من تولاها خلال الحكم العثماني أمراء من عائلة الحرفوش. وقد فقدت المدينة العديد من مبانيها حيث أفادت المصادر عن وجود العديد من المدارس والأربطة والخانقاوات ومدارس الحديث والنُزل[٩]. ومن أشهر مبانيها الدينية في العصر الإسلامي الجامع الكبير وجامع رأس العين.

٢ - المدينة في المصادر العربية : (١٠)

وردت المدينة في العديد من المصادر العربية بعد الفتح الإسلامي ونورد هنا أهمها :

٢ / ١ - البلاذُري :

فقد أفاد البلاذرى (القرن الثاني الهجري- التاسع الميلادي) بأن المدينة سلمت بعد أن طلب أهلها الأمان والصلح[١١] . وفي العصر الأموي نقل معاوية بعض أهالي بعلبك إلى انطاكية وجزيرة قبرص .

٢ / ٢ - اليعقوبي :

وقد أشار اليعقوبي في القرن التاسع الميلادي إلى مبانيها الحجرية وعين الماء الجميلة والحدائق والبساتين داخل المدينة مشيرا إلى وجود أعداد كبيرة من الإيرانيين .

٢ / ٣ - إبن الفقيه :

اهتم ابن الفقيه (٩٠٣م) بمعابد بعلبك وضخامة حجارتها .

٢ / ٤ - المسعودي :

أشار المسعودي في عام ٩٤٣م إلى تبعية بعلبك إلى دمشق معطيا وصفا للمعابد التي أثارت انتباهه .

٢ / ٥ - الإصطخري وإبن حوقل :

أشارا إلى وقوعها على سفح تل وأن مبانيها من الحجر وقلاعها (قصورها)من الحجر أيضا بأعمدة كبيرة (لعله يقصد المعابد) مقارنا بينها وبين مباني مدينة دمشق موضحا أن دمشق لا يوجد بها مبان عظيمة أو كبيرة مثل تلك ببعلبك .

٢ / ٦ - المقدسي :

أشار المقدسي في عام ٩٨٥م إلى أنها مدينة قديمة حصينة بها أراض خصبة وكثير من الأطلال .

٢ / ٧ - الإدريسي :

كتب عنها الإدريسي في عام ١١٥٤م بأنها مدينة حصينة على سفح جبل محاطة بأسوار من الحجر - مما يدل على أن دفاعاتها كانت سليمة -وأعطى عرض الأسوار بحوالي أربعة أمتار (٢٠ شبر) . وبالقرب من المدينة الطواحين والسواقي . وأشار إلى امتيازها بالفاكهة والخضراوات والعنب والأشجار المثمرة . كما أعطى وصفا لأنهارها وأطلالها .

٢ / ٨ - ياقوت الحموي :

أشار ياقوت في معجمه (١٢٢٥م) بشكل عام إلى المباني الأثرية والقصور والأعمدة الرخام وأن المدينة تقع على مسافة ١٢ ميلا [١٢] من البحر وكذلك إلى مسيرة ثلاثة أيام من دمشق .

٢ / ٩ – شمس الدين الدمشقي :

وفي القرن الثالث عشر الميلادي أشار إليها الدمشقي مشيرا إلى آثارها وقلعتها وأن تلك الآثار ترجع إلى عصر إبراهيم وموسى وسليمان مكررا في ذلك من سبقه من المؤرخين العرب .

٢ / ١٠ – أبو الفداء :

وكتب عنها أبو الفداء عام ١٣٢١م بعد سنوات قليلة من الدمشقي بتبعية بعلبك إلى إقليم دمشق . ويتضح مما ذكره أن المدينة قد استعادت أسوارها وحصونها المنيعة مشيرا إلى وفرة مياهها وكثرة أشجارها .

٢ / ١١ – أبن بطوطة :[١٣]

زار ابن بطوطة بعلبك في رمضان ٧٢٦هـ/ (أغسطس) ١٣٢٦م حيث أقام بها يوما واحدا . ويقول عنها :

" وهى مدينة حسنة قديمة من أطيب مدن الشام ، تخترق أرضها الأنهار الجارية وتضاهي دمشق في خيراتها المتناهية وبها من حب الملوك ما ليس في سواها ، وبها يصنع الدبس المنسوب إليها ، وهو نوع من الرّبّ يصنعونه من العنب ولهم تُربَة يضعونها فيه فيجمد وتكسر القلة التي يكون بها فيبقى قطعة واحدة وتصنع منه الحلواء ويجعل فيها الفستق واللوز ويسمونها حلواء بالملبن ويسمونها أيضا بجلد الفرس . وأما الرفاق فيخرجون من بعلبك فيبيتون ببلدة صغيرة تعرف بالزبداني كثيرة الفواكه ويغدون منها إلى دمشق " وذكر ما يصنع بها من الثياب[١٤] والأواني الخشبية .

٢ / ١٢ – المدينة في العصر المملوكي : [١٥]

تم تتبع تاريخ المدينة وأحداثها في العصر المملوكي بشقية : البحري والبرجي ولم نعثر على معلومات عن عمران المدينة ومبانيها وإنما تركزت المعلومات عن ولاة نيابة بعلبك وبعض شخصياتها . ويلاحظ أن جميع الذين تناولوا تاريخ بعلبك لم يأتوا على ذكر الجامع الأموي (الجامع الكبير) بالمدينة ولعل السبب هو أن آثار بعلبك وقلعتها كانت من المعالم التي تثير الانتباه بالإضافة إلى عدم وجود عناصر زخرفية بالجامع تثير إنتباههم .

٣ – المدينة في العصر العثماني :

في القرن السابع عشر زار المدينة كل من : رمضان بن موسى العطيفي خلال رحلته من دمشق إلى طرابلس في عام ١٠٤٢ – ٤٣هـ/ ١٦٣٤م وبعد ذلك بحوالي نصف قرن الرحالة عبد الغني بن إسماعيل النابلسي وذلك في عام ١١٠٠هـ/ ١٦٨٨م .

٣ / ١ – رحلة العطيفي :[١٦]

" ثم دخلنا إلى مدينة بعلبك وهى يومئذ خراب ، خربها فخر الدين بن معن لما تحارب مع بني الحرفوش (يونس الحرفوش) في خبر يطول ، ولم يبق منها غير جامعها الكبير ، ومعبدها الخطير ، والخان الذي بقربه ، وأما القلعة فأراد هدم الباب فعجز عن ذلك ، وهي أعجوبة من أعاجيب الزمان ، وأثر عظيم في آثار السيد

سليمان ، ثم سرنا إلى رأس العين ورأيناها بعين الرأس وشربنا من مائها العذب ونشقنا من أرج تلك الرياض
" وقد أفادت المصادر بأن فخر الدين هاجم بعلبك وضربها في عام ١٠٣٣هـ/ ١٦٢٣م ؛ وقد هجم يوسف باشا
مع جماعته في عام١٠١١هـ/ ١٦٠٢م على بعلبك ونهبوا المدينة وهرب سكانها إلى الشام. [١٧]

٣ / ٢ – رحلة عبد الغني النابلسي : [١٨]

أشار خلال إقامته القصيرة في بعلبك إلى أبوابها الخمسة : " واحد منها مسدود والأربعة : الأول يسمى باب دمشق والثاني باب نحلة والثالث باب حمص والرابع باب المدينة " . [١٩] كذلك أشار إلى جامع الحنابلة والحمام بدون إعطاء وصف عنهما . [٢٠] وقد ذكر إسم والي بعلبك آنذاك محمد باشا وخطيب بعلبك الشيخ عبد الرحمن التاجي كذلك إلى جامع بعلبك بأن الصلاة به قائمة . [٢١] وقد أعطى وصفا دقيقا إلى قلعة بعلبك وما فيها من آثار

٤– الرحالة الأجانب في العصر العثماني :

منذ منتصف القرن السابع عشر بدأت زيارات الرحالة الأجانب إلى بعلبك . فزارها De Moncony في عام ١٦٤٧م تبعه Moundrell في عام ١٦٩٧م ثم Wood في عام ١٧٥١م و فولني عام ١٧٨٤م وبعد ذلك إبرام في النصف الثاني من القرن التاسع عشر أما البعثة الألمانية فقد عملت في منطقة القلعة دراسة مستفيضة عن آثار بعلبك في نهاية القرن التاسع عشر وأخيرا كتب ميخائيل ألوف البعلبكي إبن المدينة كتابه الشهير عن المدينة . و Moundrell هوأول رحالة أجنبي أشار إلى نص من الفترة الإسلامية على بقايا حوض مياه خاص بأعمال تنظيم مياه السيول بالقرب من جامع متهدم . وترجح نينا جيدجيان[٢٢] أن المقصود هو الجامع الأموي بالقرب من المعبد الدائري، ولكن يخص على الأرجح الجامع المخصص للطائفة السنية خلف المعبد الدائري (معبد ينوس) .

٥– الكوارث البيئية التي أثرت على مدينة بعلبك :

يتضح من خلال المصادر أن مدينة بعلبك قد تعرضت إلى كوارث عديدة مدمرة ونورد منها ما أمكن حصره :

أ– الزلازل :

٥ / ١ – زلزال عظيمة في بعلبك في العصر الفاطمي عام ٤٣٤هـ/ ١٠٤٢م. [٢٦]

٥ / ٢ – زلزال مدمر عام ٥٦٥هـ/ ١١٧٠م وقد أعاد نور الدين بن زنكي بناء أسوار القلعة آنذاك. [٢٧]

٥ / ٣ – زلزال عام ٦٠٠هـ/ ١٢٠٣م . [٢٨]

٥ / ٤ – زلزال عام ٧٠٢هـ/ ١٣٠٢م حيث هدم قلعة بعلبك . [٢٩]

٥ / ٥ – زلزال عام ٧٤٤هـ/ ١٣٤٣م .

٥ / ٦ – زلزال عام ١٠٤٩هـ/ ١٦٣٩م . [٣٠]

٥ / ٧ – زلزال كبير عام ١٠٧٥هـ/ ١٦٦٤م هدم جانبا كبيرا من القلعة . (٣١)

٥ / ٨ – زلزال هائل في٧ شعبان ١١١٧هـ/ ٠٣ تشرين أول (أكتوبر) ١٧٥٩م(٢٣) وقد تسبب في هدم الأبنية والأسوار وسقطت الأعمدة بالهياكل كذلك هدمت رقبة منارة الجامع الكبير . ومن المعروف بأن الزلزال الأخير بالمنطقة الذي كان في عام ١٩٥٦م .

ب– السيول : (٣٣)

تشير العديد من المصادر إلى السيل العظيم الذي هدم مدينة بعلبك في عام ٧١٧هـ/ ١٣١٧م (٣٤) ، حيث يقول ميخائيل ألوف : " دخل السيل العظيم إلى مدينة بعلبك وكان مهولا لم يعهد بمثله حتى أن الماء دخل الجامع ووجدوا فيه الشيخ علي بن الحريري غريقا ومعه جماعة " ويكمل بعد ذلك : "دخل (السيل) الجامع الأعظم والمدرسة التي تليه فأتلف ما فيه وأخرب وغرق " .

٦– الصراعات في المنطقة وآثارها على مدينة بعلبك :

تعرضت مدينة بعلبك مثلها مثل العديد من المدن الرئيسية في المنطقة بسبب كونها محطة أساسية على طريق دمشق–حمص ودمشق–طرابلس إلى العديد من الحروب المدمرة والصراعات بين الحكام ومن هذه الحروب :

٦ / ١ – الحملة المغولية بقيادة (هولاكو) في عام ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م . على المنطقة والتي تم فيها تخريب بعلبك وقلعتها (٣٧) وقد قام بيبرس بعد ذلك بعمارة القلعة والسور والدور (٣٨) .

٦ / ٢ – حملة المغل (تيمور لنك) على المنطقة عام ٨٠٣هـ/ ١٤٠١م والتي تم بها أيضا تدمير ونهب مدينة بعلبك وتخريب القلعة(٣٩) ويشيرإبن إياس إلى خروج أهالي بعلبك إلى دمشق فارين من تيمورلنك . (٤٠)

٦ / ٣ – حملة فخرالدين بن معن ضد يونس الحرفوش (()حكام بعلبك وتخريب القلعة في الربع الأول من القرن السابع عشر(٤١) .

ويظهر من خلال المصادر والمراسيم المنقوشة بالجامع الكبير ثقل وطأة الحكام في العصر المملوكي على أهالي بعلبك والتي استمرت بعد ذلك في العصر العثماني حيث يشير ميخائيل ألوف (٤٢) إلى هجرة واسعة للأهالي من بعلبك منذ عام ١٧٤١م والمعاناة الشديدة التي عاشها السكان خلال فترات الحكم العثماني في القرنين الثامن والتاسع عشروانحطاط وضع المدينة حيث يشير إلى المدينة بقوله : " وكان في البلدة ٢٧ بيتا من المسيحيين وكان عدد المسلمون السنة والشيعة قليلين أيضا " .

٧ – المساجد التاريخية في بعلبك :

أشار ميخائيل ألوف(٤٣) في نهاية القرن التاسع عشر إلى وجود أربع مساجد بالمدينة : " المدينة بها أربع مساجد ، ثلاثة تقام بهم الشعائر المسجد الرابع هو أطلال وكان في الأصل كنيسة يوحنا " . ويعود فيقول(٤٤) " في بعلبك جامعان للسنة والثالث للشيعة "

٧ / ١ - الجامع الحنبلي :

جدد بناءه السلطان قلاوون عام٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م ثم جدد مرة أخرى في العصر العثماني في عهد فرحات باشا عام ١٩٠٣م . وقد نشر سوبرنهايم[٤٥] نص تجديد الجامع في عهد قلاوون وميخائيل ألوف [٤٦] وفيت [٤٧].

٧ / ٢ - الجامع خلف المعبد الدائري (معبد فينوس) :

الجامع خلف المعبد المعروف بكنيسة البربارة وبه مئذنة ترجع إلى أيام الملك الصالح أبي الفداء إسماعيل بها نص تأسيسي[٤٨] مؤرخ في عام ٦٣٨هـ/ ١٢٤٠ - ٤١م .

٧ / ٣ - جامع رأس العين :

لم يذكر ضمن جوامع بعلبك نظرا لوقوعه خارج المدينة . وقد أنشأه السلطان الظاهر بيبرس (مماليك بحرية) في عام ٦٧٦هـ/ ١٢٧٨م . وبه نص تأسيسي من أربع أسطر باسم السلطان والمباشر والمشرف . [٤٩]

وقد جَدد هذا الجامع الأمير يونس الحرفوش والي بعلبك عام ١٠٢٨هـ/ ١٦١٩م طبقا للنص بالجامع على عتب يؤدي من الصحن إلى صالة الصلاة .

٧ / ٤ - الجامع الكبير (الأموي) :

٧ / ٤ / ١ - دراسة تاريخية تحليلية :

هذا هو الجامع موضوع هذه الدراسة . ولم نجد له في المصادر المتاحة لدينا ما يشير إلى تاريخ البناء الأول أو اسم المنشئ الأول، ولكن الشائع أنه أقيم في الأصل في العصر الأموي .

وقد استخدم في إنشائه أعمدة من الجرانيت الأحمر والسماقي الأمبراطوري (porphry) مأخوذة من المعابد (معبد الشمس)[٥٠] . ويشير البعض إلى أن الجامع أقيم على أطلال كنيسة (بازيليكا) يوحنا التي أقيمت في عصر الإمبراطور قسطنطين ، ولكن هذه المصادر تستند في ذلك إلى أقوال يرددها السكان المسيحيين [٥١] .

تشير المصادر[٥٢] إلى إعادة إعمار الجامع من عهد نور الدين بن زنكي ولعل ذلك كان على أثر الزلزال في عام ٥٦٥هـ/ ١١٧٠م . وقد ألحق بالجامع بالجهة الشرقية مدرسة للمذهب الشافعي في عصر نور الدين بن زنكي على الأرجح[٥٣] ويشير النص على باب المدرسة (مرسوم رقم١) إلى الأوقاف التي خصصت للمدرسة في عهد الملك الصالح أبي الفداء إسماعيل (٦٣٧هـ/ ١٢٣٩م) .

وهو ما يؤكد على أن المدرسة وجدت قبل عصر الملك الصالح أبي الفداء إسماعيل . وقد كان التدمير الذي لحق ببعلبك ومبانيها خلال حملة هولاكو ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م سببا في قيام السلطان المملوكي البحري قلاوون بتجديد البناء طبقا للنصين التأسيسين رقم ١ ، ٢ في عام ٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م .

ولعل السيل الذي حدث في عام ٧١٧هـ/ ١٣١٧م والأضرار التي سببها في الجامع والمدرسة كان سببا في

أعمال الإصلاح للرواق (حول الصحن) في عهد السلطان المملوكي البحري حسن بن قلاوون طبقا للنص التأسيسي رقم ٣ في عام ٧٦٠هـ/ ١٣٥٩م .

ولم تفدنا المصادر عن حالة الجامع بعد غزوة تيمور لنك عام ٨٠٣هـ/ ١٤٠١م والخراب الذي حل بمدينة بعلبك آنذاك ، إلا أن وجود المراسيم المملوكية الجركسية على جانبي الباب في أقصى الواجهة الغربية جهة اليمين يوحي بأن الجامع مازال يقوم بدوره الديني حتى نهاية القرن الخامس عشر ، مما يعني أنه مازال بحالة جيدة . ويؤكد الرحالة العطيفي الذي زار المدينة عام ١٠٤٢هـ/ ١٦٣٤م مشيرا إلى تخريب مدينة بعلبك على يد فخر الدين المعني في حربه مع بني الحرفوش إلى أن الجامع باق أي مازال يقوم بدوره .

ويزور النابلسي بعلبك في عام ١١٠٠/ ١٦٨٨م ولم يشير إلى الجامع الكبير ويزور الجامع الحنبلي - والذي مازال موجودا بالمدينة حتى الآن - وإن كان تغير وضعه المعماري بسبب التجديد الحديث .

وهنا التساؤل هل الجامع الكبير أصابه الضرر بسبب الزلزال في عام ١٠٧٥هـ/ ١٦٦٤م أي قبل ربع قرن من زيارة النابلسي وبعد زيارة العط يفي ولهـذا لم يقم النابلسي بزيارته على أساس أنه خرب ولعل هذا هو الأرجح . ويضرب زلزال عام ١١١٧هـ/ ١٧٥٩م المدينة أي بعد حوالي ١٨ عاما من زيارة النابلسي فيهدم رقبة المئذنة (الجزء العلوي) ويتركها على الوضع الحالي تقريبا . ولعل عدم الاهتمام بالجامع منذ ذلك الحين يرجع أيضاً إلى النزوح المستمر للسكان من بعلبك وخاصة في الربع الأخير من القرن الثامن عشر أي بعد الزلزال المشار إليه وانحطاط وضع المدينة وجبروت الحكام المحليين من ال حرفوش طبقاً لما ورد في المصادر التي استندنا عليها في إعداد هذه الدراسة وخاصة تلك التي أعدها ابن المدينة العليم بأمورها ميخائيل ألوف والمنتسب إلى عائلة عريقة أقامت فترة طويلة بالمدينة . ويلاحظ من الصور التي أخذتها البعثة الألمانية للجامع ميل كبير بالأعمدة وتناثر حجارته مما يؤكد قوة الزلازل التي أصابت المدينة بشكل عام والجامع موضوع الدراسة بشكل خاص . وميخائيل ألوف هو الوحيد الذي أعطانا وصفا للجامع في بداية القرن الحالي علما بأن الدراسات الحديثة عن بعلبك تركزت على الآثار القديمة فقط .

ولذلك نرى إعادة ذكر ما أورده ميخائيل ألوف : (٤٥)

" الجامع الكبير هو للشرق من هيكل الزهرة يوصل إليه من زقاق ضيق كان في ما سلف من السنين على حسب ما ينصه التقليد وما يرى فيه من الشارات المسيحية كنيسة للقديس يوحنا(*) حولها المسلمون إلى جامع وكان الجامع الأعظم في أيام عمرانه لكنه لم يفقد الآن غير سقفه وهو في داخله ذو ثلاثة صفوف من الأعمدة القصيرة بعضها من الحجر المحبب (الغرانيت) وبعضها من الحجر الأصم وعلى أكثره تيجان فرثية تحمل أقواسا قنطرية يرتكز عليها السقف . وقد وضعت العمد بلا ترتيب ولا نظام فأكثرها وضع على الأرض بلا قواعد ومنها يحمل تيجانا لا تناسب حجمها ويرجح أن العرب نقلوها من أعمدة البهوين من القلعة بعد أن قطعوا شيئا من طولها . ويفصل الجامع عن الدار التي بجانبه صف من الركائز المربعة ذات أقواس . وهناك ركيزة في

الوسط ضمن الجامع جرن للماء عليه نقوش عربية تحته حوض لقبول الماء . ويظن أن الجرن أخذ من الكنيسة القديمة حيث كان للمعمودية . وإلى جانب الجامع دار فسيحة مربعة يحيط بها رواق من القناطر من الشرق والشمال والغرب لم يبق منه سوى قنطرتين في الجهة الشمالية . وراء الرواق من الشرق غرف كانت للتدريس وعلى أبوابها كتابات عربية توجد في الفصل السابع . وفي وسط الدار بركة للماء كان على جوانبها الأربعة أعمدة(**) تحمل قبة ولم يبق من ذلك إلا الأثر . وفي زاوية الدار الشمالية مئذنة وعلى جدار الجامع من الخارج كتابات عربية "

٧ / ٤ / ٢ - الوصف المعماري :

النمط المعماري للمسقط يتبع المسقط المتعارف عليه للمساجد الجامعة في الفترات الأولى للعصور الإسلامية . ويبلغ مسطح الجامع حوالي ٣٠٠٠ (٦٢,٠٠م × ٤٨,٠٠م) والمسقط يتكون من صحن كبير يبلغ مسطحة حوالي ١٣٠٠,٠٠٠م٣ (٢٨,٠٠م × ٣٥,٠٠م) يحيط به من الجهة الجنوبية صالة الصلاة ومسطحها حوالي ١٣٠٠,٠٠م٢ (٤٨,٠٠ × ٢٧,٠٠م) تتسع لحوالي ١٥٠٠ مصلي ومن الجهات الثلاث الأخرى رواق واد عرضه حوالي ٥,٠٠ أمتار .

صالــة الصــلاة :

تتكون صالة الصلاة من أربعة أروقة تسير عقودها موازية لحائط القبلة ٠ ويتوسط حائط القبلة محراب كبير . ويوجد محراب آخر صغير في النهاية الشرقية للحائط . ويبلغ عرض الرواق الأول -من جهة القبلة - ٦,٨٠ مترا يليه الرواق الثاني بعرض ٦,٠٠ أمتار والثالث بعرض ٦,٠٠ أمتار أيضا ثم الرواق الرابع من جهة الصحن بعرض ٣,٨٠ مترا . وقد نظمت في الحوائط الثلاث : الشرقية والجنوبية والغربية مجموعة من النوافذ بعضها مطمور بسبب ارتفاع منسوب أرضية الشارع الخارجي عن منسوب أرضية المسجد ٢,٤٠ مترا بالنسبة لحائط القبلة على سبيل المثال أما العلوي منها وخاصة النوافذ بحائط القبلة فما زال موجودا .

كذلك يتضح من الدارسة الحقلية اختلاف سمك الحوائط الخارجية ولعل ذلك يرجع إلى فترات التجديد والإعمار التي مرت على الجامع خلال العصور المختلفة . ويمكن متابعة ذلك في أسلوب البناء وارتفاع المداميك والفواصل البنائية .

	الرواق الأول	الرواق الثاني	الرواق الثالث	الرواق الرابع	الرواق الخامس
الحائط الشرقي	٠٠,٩٠ م	١,١٠م	١,١٠م	٠,٩٠م	٠,٩٠م
الحائط الغربي	١,٢٠ م	٠,٨٠م	٠,٨٠م	٠,٨٠م	١,٤٠م
الحائط الجنوبي	الحائط بسمك واحد ١,٢٠ متراً				
الحائط الشمالي	الحائط بسمك واحد ١,٠٠ متراً				

كذلك يلاحظ عدم وجود ارتباط معماري بنظام توزيع الفتحات مع الفراغات المقابلة بصالة الصلاة ، وخاصة بالنسبة للفتحات في حائط القبلة . كما أن النوافذ في الحائط الجنوبي والغربي مقاسها ٠,٨٠م بينما في الحائط الشرقي مقاسها ١,٠٠م وتختلف في الشكل عن مثيلاتها في حائط القبلة .

أما الدعامتين بالجزء الأوسط من البائكة الأولى فقد تم تشكيلهما بأسلوب مغاير للأعمدة المستعملة داخل صالة الصلاة، ولعل ذلك ناتج من التأكيد على مكان المقصورة المخصصة للحكام أمام المحراب للحماية من الاعتداء ، وهو ما شاع في عمارة العديد من المساجد الجامعة في الإسلام . كما أن الباب بحائط القبلة توجد له أمثلة سابقة في العمائر الدينية الأولى، حيث يخصص لدخول الخليفة أو السلطان ليصل في سهولة ويسر إلى المقصورة بعيدا عن جموع المصلين . أما البوائك الثلاث داخل صالة الصلاة فهي عبارة عن مجموعة من العقود المدببة ترتكز على أعمدة مأخوذة من المعابد الرومانية المجاورة . وترتكز عقود واجهة صالة الصلاة المطلة على الصحن على دعائم مستطيلة بإيقاع منتظم : دعامة كبيرة ، دعامة صغيرة، ثم كبيرة .

الصحـــن :

يتوسط الصحن المستطيل ميضأة مربعة المسقط يحيط بها حاليا أربعة أعمدة وهو نفس الوضع الذي كان في الصور المنشورة عن طريق البعثة الألمانية هو ما استندت إليه مديرية الآثار بالنسبة للوضع الحالي . ويتوسط الحوض نافورة صغيرة .

الأروقة حول الصحن :

يطل الرواقين الشرقي والغربي في الأصل على الصحن عن طريق عقود مدببة ترتكز على ثمانية أعمدة ، بينما يطل الرواق الشمالي على الصحن عن طريق عقود مدببة ترتكز على أحد عشر عمودا ، بينما وضعت أكتاف في أركان الصحن .

المئذنـــة :

تتبع المئذنة في شكلها العام النمط الذي شاع في العصر الأموي وأستمر في بلاد الشام خلال فترة السلاجقة (الجامع الأموي في حلب) حيث تتكون المئذنة في بعلبك من جسم سفلي مربع (٥,٠٠م×٥,٠٠م) مرتفع وجزء علوي مثمن قليل الارتفاع يقل من الداخل عن طريق كورنيش بارز تمهيدا للنهاية التي يرجح أن تكون بشكل قبة صغيرة . إن وجود الدرج داخل الجزء المثمن يؤكد على وجود شرفة صغيرة يتبعها دورة ثالثة مثمنة المسقط التي يعلوها القبة الصغيرة المشار إليها . ويرجح أيضا أن يكون لكل شرفة مظلة خشبية مائلة لحماية المؤذن من العوامل الجوية .

سقف صالة الصلاة :

يتضح من الأمثلة المقارنة التي أقيمت في المنطقة خلال العصر الأموي والعصور اللاحقة له أن السقف كان يتكون من جملون خشبي مغطى بألواح الرصاص أو القرميد . فبينما العمارة الأموية في الشام قد استعملت

الرصاص في التغطية فإن العمارة الموازية لها في المغرب العربي والأندلس قد استعملت القرميد الأحمر .

وتدل بقايا البناء وأسلوب الإنشاء - حيث لا توجد أرجل العقود في الاتجاه الآخر أو بدايات لتشكيل قبوات - على أن السقف كان بشكل أربعة جالونات خشبية تصرف أمطارها جهة الحائط الشرقي حيث تتواجد عناصر الصرف الرأسية حتى الآن على امتداد حوائط البائكات . كما أن أسلوب السقف الجملون شائع الاستعمال في المباني في تلك المنطقة بل أن سقف معبد ينوس كان له سقف جملوني خشبي مغطى بالقرميد . ومازال الجامع المجدد في العصر العثماني خلف المعبد المذكور له سقف جملون من الخشب ومغطى بالقرميد أيضا .

الواجهـــات :

تتميز الواجهات بالبساطة ولا تحتوي على زخارف هندسية أو نباتية . ويلاحظ أن الأبواب لم يتم التأكيد عليها معماريا كما أنها لا تنتهي علويا بكورنيش أو شرافات مسننة أو مورقة . ويلاحظ أن باب المدخل في أقصى يمين الواجهة الغربية وكذلك المدخل في الواجهة الشمالية قد تم تأكيدهما فقط باستعمال كورنيش كورنثي مأخوذ من المعابد الرومانية المجاورة .

٨- الأطر العامة لتطبيق المحددات لعملية إعادة الإنشاء :

تستند هذه الأطر إلى المواثيق الصادرة عن اليونسكو سواء في مجال الترميم أو مجال الأصالة أو في مجال الحفاظ على المواقع والمباني التاريخية :

٨ / ١ - البيئة المحيطة :

الحفاظ على عناصر البيئة مثل الحدائق والمتنزهات ووحدات الإضاءة للشوارع وعناصر تأثيث الوسط المحيط وتراجعات البناء طبقا للأصول الأثرية والظروف التاريخية للموقع .

٨ / ٢ - المواقع الأثرية :

٨ / ٢ / ١ - الحفاظ على العناصر والشواهد الأثرية بحالتها كلما أمكن ذلك .

٨ / ٢ / ٢ - عدم تغيير معالم التربة في المواقع الأثرية باستخدام الآلات الميكانيكية بهدف الحفاظ على الشواهد الأثرية سليمة وخاصة تلك الغير مرئية .

٨ / ٢ / ٣ - يجب أن يتم الكشف والفحص بالمواقع الأثرية طبقا للأساليب والأطر المحددة لذلك والصادرة عن اليونسكو (توصيات اليونسكو في هذا الشأن بتاريخ ٥ كانون أول ١٩٥٦م) والمواد المحددة لذلك بقانون الآثار اللبناني .

٨ / ٣ - موقع البناء :

٨ / ٣ / ١ - توصيف وتحديد عناصر البيئة مثل الأشجار والأسوار والطرق بهدف التعرف على العناصر ذات القيمة التاريخية .

٨ / ٣ / ٢ - الحفاظ على العناصر ذات القيمة التاريخية والتي تعكس القيمة التاريخية وتطورالموقع عبر العصور

٨ / ٣ / ٣ - يجب أن تستند القرارات لعملية إعادة الإنشاء على معرفة حقيقية للشكل الأصلي بناء على الصور الفوتوغرافية، الرسومات ، الوثائق ، الأرشيف أو البيانات العقارية .

٨ / ٣ / ٤ - تهيئة الموقع بكل العناصر اللازمة لمنع تجمع مياه الأمطار وتنظيم عملية الصرف الصحي لحماية الحوائط والأساسات .

٨ / ٤ - المسقــط :

٨ / ٤ / ١ - إعادة وضع مخطط للمسقط وتحديد العلاقات والفراغات بنفس الشكل الأصلي .

٨ / ٥ - العناصر الخارجية :

٨ / ٥ / ١ - يجب أن تكون المونة الجديدة متوافقة مع القديمة من حيث المكونات واللون والشكل .

٨ / ٥ / ٢ - اللحامات بين مداميك الحجر تتوافق مع القديم في الشكل وأسلوب العمل والمظهر .

٨ / ٥ / ٣ - إعادة تركيب العناصر الجصية المفقودة على أن تتشابه مع القديم في التكوين واللون والمظهر .

٨ / ٥ / ٤ - إعادة وضع العناصر المفقودة باستخدام عناصر جديدة تتماثل مع القديم إلى أكبر درجة ممكنة في الحجم واللون والمظهر .

٨ / ٥ / ٥ - إعادة وضع العناصر المعمارية المفقودة مثل الكرانيش ، الكوابيل .

٨ / ٥ / ٦ - محاكاة أسلوب وضع الأحجار الجديدة مع القديمة وكذلك لونها ومظهرها الخارجي كلما أمكن ذلك .

٨ / ٥ / ٧ - عدم استخدام مونة ذات مكونات أسمنتية عالية لما يتسبب عنه من اختلاف في الصلابة والتمدد والمسامية وعدم تجانس وحدة البناء .

٨ / ٦ - المنجور (الخزائن الحائطية) :

٨ / ٦ / ١ - استخدام المواد التي سبق وشاع استخدامها في أصل الإنشاء .

٨ / ٦ / ٢ - محاولة إرجاع العناصر إلى صورتها الأصلية بقدر الإمكان .

٨ / ٦ / ٣ - إعادة عمل الأجزاء المفقودة بمواد جديدة تماثل الأصل في الحجم والنمط والشكل والمظهر .

٨ / ٧ - المنجور (الشبابيك والأبواب) :

٨ / ٧ / ١ - عمل نماذج مشابهة للأصل سواء في الشبابيك أو الأبواب بما في ذلك التفاصيل والخرضوات .

٨ / ٧ / ٢ - استكمال العناصر المفقودة على النمط القديم المماثل .

٨ / ٨ - الأسقف :

٨ / ٨ / ١ - إعادة الشكل العام للسقف بصورته الأصلية .

٨ / ٨ / ٢ - إعادة تركيب العناصر المفقودة في السقف إن وجد السقف الأصلي .

٨ / ٨ / ٣ - عدم وضع مواد تغطية جديدة للأسقف لم يسبق استعمالها في تلك الفترات التاريخية .

٨ / ٨ / ١ - إعادة تركيب عناصر السقف المعمارية والتي ترجع السقف إلى وضعه الأصلي سواء شرافات ، كوابيل ، أو ميازيب .

٨ / ٩ - الأعمال المعدنية :

إعادة تصنيع العناصر المعدنية بنفس الأسلوب الحرفي ومواد التصنيع والنمط التصميمي حافظة على الأصالة الحرفية والفنية ومواد الإنشاء .

٨ / ١٠ - المداخل :

٨ / ١٠ / ١ - إعادة عمل المداخل والدرج المؤدي إلى المدخل بصورته الأصلية .

٨ / ١٠ / ٢ - إعادة وضع العناصر المعمارية المكملة للمداخل سواء من الخشب أوالحديد الزهر أو التبليط .

٨ / ١١ - النهو الخارجي (المظهر الخارجي) :

٨ / ١١ / ١ - تحديد اللون الخارجي للأحجار وعدم استخدام الوان جديدة في الأحجار .

٨ / ١٢ - النهو الداخلي :

٨ / ١٢ / ١ - محاكاة العناصر الداخلية المعمارية للأصل الموجود أو المتعارف عليه في الأمثلة المقارنة من نفس الفترة سواء في السلالم ،الكرانيش ، الأبواب ، الشبابيك ، الأرضيات .

٨ / ١٢ / ٢ - وضع عناصر جديدة بدلا من العناصرالمفقودة باستعمال مواد جديدة بحيث تحقق التشابه مع القديم .

٨ / ١٢ / ٣ - تحديد نوع النهو الداخلي مثل الورقة أو الدهان طبقا للأصول الأثرية وإعادتها بنفس الأسلوب التقني محافظة على الأصالة الحرفية .

٨ / ١٣ - الإضافات الميكانيكية والكهربائية الحديثة :

٨ / ١٣ / ١ - يجب أن لاتحدث هذه الإضافات تغييرا في المسقط أو التراكيب المعمارية أو المظهر العام للبناء .

٨ / ١٣ / ٢ - يجب أن توضع عناصر البنية التحتية بأسلوب غير ظاهر .

٨ / ١٣ / ٣ - يجب أن تكون عناصر الإضاءة متوافقة مع وضع المبنى أثريا ومتوائمة مع الفترة التاريخية .

٩ - خطة الترميم :

٩ / ١ - فحوص التربة والأساسات :

٩ / ١ / ١ - عمل ثلاث جسّات بعمق ٠٠ , ١٥م على امتداد الجامع .

٩ / ١ / ٢ - عمل حفر استكشافية حول الحوائط الخارجية وبجوار الأعمدة بكل بائكة والحائط لصالة الصلاة المطل على الصحن وذلك بهدف :

* تحديد قطاع الأساس، مواد الأساس، حالة الأساس، منسوب التأسيس.

* تحديد الإجهادات على التربة .

٩ / ١ / ٣ - دراسة إنشائية للحوائط الخارجية والتي أصبحت كحوائط ساندة بعد ارتفاع منسوب الشوارع عن المنسوب الداخلي لأرضية الجامع .

٩ / ١ / ٤ - تحديد عمق المياه الأرضية وحركتها :

* وضع بيزومتر وتحليل كيميائي وبيولوجي للمياه الأرضية .

* ويتم عمل رسومات توضح قطاعات الأساسات بالإضافة لعمل صور فوتوغرافية .

٩ / ٢ - أعمال الرفع والتسجيل المعماري :

٩ / ٢ / ١ - مسقط الطابق الأرضي موضحا عليه تيجان الأعمدة والعقود .

٩ / ٢ / ٢ - الواجهات الخارجية ، واجهات البوائك في صالة الصلاة .

٩ / ٢ / ٣ - المئذنة : واجهات - قطاع رأسي - قطاعات أفقية .

٩ / ٢ / ٤ - إعداد خرائط للأرضيات الحالية بصالة الصلاة .

٩ / ٢ / ٥ - وينصح باستخدام جهاز الفوتوجرامتري والمحطة المتكاملة (Total Station) في أعمال الرفع والتسجيل المعماري كذلك يجب تحديد الفواصل البنائية في الحوائط على المسقط أو في الواجهات.

٩ / ٣ - الدراسة الإنشائية :

٩ / ٣ / ١ - تحديد ميول الحوائط والأعمدة والسلامة الإنشائية .

٩ / ٣ / ٢ - تصميم السقف الجملون الخشبي لأروقة صالة الصلاة .

٩ / ٣ / ٣ - دراسة مدى ملائمة الأساسات للأحمال المستجدة ، ومدى ملائمة المبنى لأخطار الزلازل.

٩ / ٣ / ٤ - تقوية الأساسات بعد الدراسة .

٩ / ٤ – الخطة المعمارية للترميم وإعادة الإنشاء :

٩ / ٤ / ١ – فك الأرضيات بصالة الصلاة بعد عملية التسجيل المعماري لها .

٩ / ٤ / ٢ – عزل الأرضيات ضد الرطوبة بصالة الصلاة .

٩ / ٤ / ٣ – إعادة تركيب الأرضيات الحجرية السابق فكها في أماكنها مع استكمال الناقص .

٩ / ٤ / ٤ – تركيب شبك سلك من الخارج للنوافذ العلوية .

٩ / ٤ / ٥ – تركيب قمريات جصية بأشكال هندسية للنوافذ من الداخل مع الاسترشاد بالأمثلة المقابلة له تاريخيا

٩ / ٤ / ٦ – تنظيف الأعمدة والتيجان والحوائط من الفطريات .

٩ / ٤ / ٧ – تنظيف حجارة الحوائط من الأملاح .

٩ / ٤ / ٨ – عمل منبر جديد مشابه للأصول الأثرية بالعصر المملوكي بزخارف هندسية ونباتية وذلك لاستكمال أداء المسجد لوظيفته كمسجد (تقام فيه صلاة الجمعة) .

٩ / ٤ / ٩ – تنظيف اللامات وإعادة ملأها ومعالجة الشروخ بالمونة التقليدية .

٩ / ٤ / ١٠ – تركيب منجور للأبواب الخارجية يتناسب مع الوضع الأثري للجامع .

٩ / ٤ / ١١ – تركيب منجور لمداخل صالة الصلاة الجزء السفلي به متحرك ، والجزء العلوي ثابت (منطقة العقود) يتناسب مع الوضع الأثري للجامع .

٩ / ٤ / ١٢ – تحرير الجامع من الخارج من الشوارع المحيطة بعمل خندق بعرض ٠,٧٠ – ٠,٨٠ مترا وسور من الحديد المطروق يتناسب مع الوضع الأثري للجامع .

٩ / ٤ / ١٣ – تثبيت تيجان الأعمدة في صالة الصلاة وإعادة تنظيم الأعمدة في الرواق المحيط بالصحن .

٩ / ٤ / ١٤ – تركيب وحدات إنارة (مشكاوات) ذات طابع محلي .

٩ / ٤ / ١٥ – عمل تفاصيل لصرف مياه السطح لصالة الصلاة مع استعمال ألواح الرصاص وصرف المياه بواسطة العناصر الخارجية بالواجهة الشرقية مع الاسترشاد بجامع رأس العين في بعلبك .

٩ / ٤ / ١٦ – تغطية السقف الجملون لصالة الصلاة بالقرميد .

٩ / ٤ / ١٧ – إزالة الممر العلوي بالمدرسة بالجهة الشرقية مع رفع المخلفات من بقايا المدرسة وإعادة تنظيمها .

٩ / ٤ / ١٨ – إعادة تشغيل حوض المياه بصحن المدرسة .

٩ / ٤ / ١٩ – إعادة تأهيل دورات المياه بالجهة الشرقية من الجامع .

٩ / ٤ / ٢٠ – ترميم المئذنة وتزرير الشروخ واستكمال الأرضية بالنسبة لشرفة الدورة الأولى وتأمين الدورة

الثانية . ونظرا لتعذر الوصول إلى الصورة الأصلية للمئذنة نوصي بعدم استكمالها حفاظا على مبادئ الأصالة في الترميم توفيقا مع توصيات ميثاق فينسيا ١٩٦٤م وتوصيات نارا ١٩٩٤م للأصالة ومقررات مؤتمر لاهور ١٩٨٠م للآثار الإسلامية .

الهوامـــش :

(1) Encyclopedia Britannica (EB), Vol. I, 15 th Ed. (U.S.A. 1982) 704 . Encyclopedia of Islam (EI), Vol. I, 2 nd Ed. (Leiden 1960) 970- 71 .

(2) Wild, S.: Libanesische Ortsnamen; Typologie und Deutung. Beiruter Texte Und Studien, Bd.9 (Beirut 1973) 219-23.

(٣) أطلس لبنان المناخي : وزارة الأشغال العمومية المجلد الأول والثاني الطبعة الثانية (لبنان ١٩٧٧م) .

(4) El: Vol. I (Leiden 1960) 971

(٥) أقـام نور الدين بن زنكي مـدراس في بعلبك .(Creswell : MAE II (USA 1978)2 105) ويؤكـد Elisseff هذه المعلومة بإضافة أن المدرسة كانت للمذهب الشافعي بإشراف إبن أبي عصرون

Elisseeff , N: Nur AD-DIN. Un Grand Prince Musulman De Syrie au Temps Des Croisades . Institut Francais de Damas, III (Damas 1967) 933.)

(٦) في العصر الأيوبي كانت مملكة مستقلة .

Gaudefroy-Demombynes : La Syrie a l'epoque de Mamlouks,d'apres les Auteurs Arabes (Paris 1923) 181 يشير فليب حتي نقلا عن القلقشندي أن مدينة بعلبك كانت غنية بالمدارس والمساجد وتكيات الصوفية والبيمارستانات وكانت مدرستها النجمية التي سميت بإسم والد صلاح الدين الأيوبي مقرا للدراسات الصوفية

(فليب حتي : تاريخ لبنان منذ أقدم العصور التاريخية حتى العصر الحديث ، دار الثقافة ، الطبعة الثالثة (بيروت ١٩٧٨م) ٤٢٠ - ٢١) .

Gaudefroy -Demombynes :La Syrie a l'epoque de Mamlouks , d'apres les Auteurs Arabes (Paris 1923) 181 .

(٨) إبن إياس : بدائع الزهور ، الجزء الثالث ، تحقيق محمد مصطفى (القاهرة ١٩٦٣م) ١٥٢ .

(٩) فليب حتى : تاريخ لبنان منذ أقدم العصور التاريخية إلى العصر الحديث ، طبعة ثالثة (بيروت ١٩٧٨م)

. ٤٢٠ - ٢١ .

(10) Guy le Strange : Palastine under the Moslem . A Description of Syria and the holy land from 650-1500 (Beirut 1965) 295-98.

Nina Jidejian : Baalbek : Heliopolis " City of the Sun " (Beirut 1975).

(١١) أعطى البلاذري بيان الأمان من أبو عبيدة كالتالي : " بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب أمان لفلان بن فلان وأهل بعلبك رومها وفُرسها وعَرَبها على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم ودورهم ، داخل المدينة وخارجها وعلى أرجائهم، وللروم أن يرعَوا سرحهم ما بينهم وبين خمسة عشر ميلا ولاينزلوا قرية عامرة ، فإذا مضى شهر ربيع وجمادى الأولى ساروا إلى حيث شاؤا . ومن أسلم منهم فله ما لنا وعليه ما علينا ولتجارهم أن يسافروا إلى حيث أرادوا من البلاد التي صالحنا عليها وعلى من أقام منهم الجزية والخراج ، شهد الله وكفى بالله شهيدا .

البلاذري : فتوح البلدان , نشر صلاح الدين النجد , مكتبة النهضة العربية (القاهرة ١٩٥٦م) ١٥٤ ، ١٧٥ ، ١٨٢).

(١٢) الفرسخ الشرعي = ٣ ميل عربي = ١٠٠٠ باع - ١ باع = ٤ ذراع شرعي

الذراع = ٤٩,٨٧٥ سم - على ذلك يكون الميل حوالي ٢ كيلومترا ، والفرسخ حوالي ٦ كيلومترات

(El_2 : II (Leiden 65) 812-13)

(١٣) رحلة إبن بطوطة ، دار بيروت (بيروت ١٩٨٠ م) ٨٣ .

(١٤) إزدهرت صناعة الأقمشة في بعلبك وطرابلس . (محمد علي مكي : لبنان ٦٣٥ - ١٥١٦م ، دار النهار، طبعة ثانية (بيروت ١٩٧٦م) ٢٥٠ .

(١٥) إبن حبيب : تذكرة البنية في أيام المنصور وبنية , ثلاثة أجزاء (القاهرة ١٩٧٦ - ٨٦ م) .

بدر الدين العيني : السيف المهند في سيرة الملك المؤيد شيخ المحمودي (القاهرة ١٩٧٦م)

الصيرفي : نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان • تحقيق حسن حبشي ، جزءان (القاهرة ١٩٧٠ - ٧١م)

المقريزي : السلوك ، الجزء الثالث والرابع (القاهرة ١٩٧٠ - ١٩٧٣م)

إبن تغري بردي : النجوم الزاهرة - تحقيق بوبر ، الجزء الثاني (بركلي ١٩٠٩ - ١٢م) ، الجزء الخامس (بركلي ١٩٣٢ -٣٦م)، الجزء السادس (بركلي ١٩١٥ - ١٨م) ، الجزء السابع (بركلي ١٩٢٦ - ٢٩م) .

إبن إياس : بدائع الزهور، تحقيق محمد مصطفى، خمسة أجزاء (القاهرة ١١٩٦١- ١٩٧٤م) .

(١٦) رمضان بن موسى العطيفي (توفى ١٠٩٥هـ) : رحلة من دمشق الشام إلى طرابلس الشام - تحقيق اسفان فيلد نشر المعهد الألماني للأبحاث الشرقية - العدد ٢١ (بيروت ١٩٧٩م) ١٤ .

(١٧) اسطفان الدويهي : تاريخ الأزمنة ، تحقيق بطرس فهد ، طبعة ثانية (بيروت ١٩٨٣م) ٤٥٦ ، ٤٨٨ ، ٨٩ .

(١٨) عبد الغني النابلسي : حلة الذهب الابريز في رحلة بعلبك والبقاع العزيز - تحقيق صلاح الدين المنجد . نشر المعهد الألماني للأبحاث الشرقية العدد ٢١ (بيروت ١٩٧٩م)٨٦ .

(١٩) المصدر السابق : صفحة ٨٦ .

(٢٠) المصدر السابق : صفحة ٨٨ .

(٢١) المصدر السابق : صفحة ٧٦ ، ٧٨ .

(22) Nina Jidejian : Baalbek : Heliopolis " City of the Sun " (Beirut 1975) 35.

(٢٣) إبن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، الجزء الثاني - تحقيق بوبر (جامعة بركلي ١٩٠٩ -١٢م) ١٩٨ .

(24) EI : Vol . I (Leiden 1960) 971 .

يرجح أن يكون هذا هو نفس الزلزال الذي أشار إليه ميخائيل ألوف ووضعه في عام ٥٥٢هـ/ ١١٥٨م .

(ميخائيل ألوف : تاريخ بعلبك ، الطبعة الرابعة (بيروت ١٩٢٦م) ٧٩) .

(٢٥) ميخائيل ألوف : تاريخ بعلبك ، الطبعة الرابعة (بيروت ١٩٢٦م) ٨٤ .

لعله هو الزلزال الذي وضعه عبد الغني النابلسي في شعبان ٥٩٧هـ/ مايو١٢٠١م مشيرا فيه إلى تهدم قلعة بعلبك مع عظم حجارتها ووثيق عمارتها .

(النابلسي : حلة الذهب - تحقيق اسطفان فيلد (بيروت ١٩٧٩م) ٨٥ - ٨٦) .

(٢٦) محمد علي مكي : لبنان : ٦٣٥ - ١٥١٦ ، طبعة ثانية (دار النهار - بيروت ١٩٧٣م) ٢٤٩ .

(٢٧) اسطفان الدويهي : تاريخ الأزمنة ، تحقيق بطرس فهد ، طبعة ثانية (بيروت ١٩٨٣م) ٥٢١ .

(٣١) ميخائيل ألوف : تاريخ بعلبك ، الطبعة الرابعة (بيروت ١٩٢٦م) ٩٥ .

(٣٢) ميخائيل ألوف : تاريخ بعلبك ، الطبعة الرابعة (بيروت ١٩٢٦م) ٩٧ .

(٣٣) ميخائيل ألوف : تاريخ بعلبك ، الطبعة الرابعة (بيروت ١٩٢٦م) ٨٤ - ٨٥ .

(٣٤) يعطي إبن حبيب والذي عاش في نفس الفترة التي حدث بها السيل عام ٧١٠هـ/ ١٣١٠م بدلا من ٧١٧هـ/ ١٣١٧م ويشير إلى غرق عدد كبير وهدم ابراج سور القلعة وهدم البيوت والحوانيت . (إبن حبيب : تذكرة النبيه ، الجزء الثاني (القاهرة ١٩٨٢م) ٨٠)

(٣٧) محمد علي مكي : لبنان من الفتح العربي إلى الفتح العثماني ، الطبعة الثانية (دار النهار - بيروت ١٩٧٩م) ١٩٩ .

(٣٨) ميخائيل ألوف : تاريخ بعلبك ، الطبعة الرابعة (بيروت ١٩٢٦م) ٨٣ .

(٣٩) إبن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، تحقيق بوبر ، الجزء السادس (جامعة بركلي ١٩١٥ -١٨م) ٢٧١ .

(٤٠) إبن إياس : بدائع الزهور - تحقيق محمد مصطفى ، الجزء الخامس (القاهرة ١٩٧٤م) ٦٠٣ .

(*) عائلة حكمت خلال العصر العثماني حتى عام ١٨٦٦م . (El_2: III (USA 1971) 205 - 6)

(٤١) ميخائيل ألوف : تاريخ بعلبك ، الطبعة الرابعة (بيروت ١٩٢٦م) ٩٣ .

(٤٢) المصدر السابق صفحة ٩٦ ، ٩٧- ١٠٥ ، ١٠٧ .

(43) Michel Alouf : Geschichte von Baalbek , 4 th ed . (Beirut 1960) 23 .

(٤٤) ميخائيل ألوف : تاريخ بعلبك ، الطبعة الرابعة (بيروت ١٩٢٦م) ١٠٧ , ١٢ .

(45) Wiegand , Th .: Baalbek III (Berlin - Leipzig 1925) No.12 .

(٤٦) ميخائيل ألوف : تاريخ بعلبك ، الطبعة الرابعة (بيروت ١٩٢٦م) .

(47) Wiet : RCEA , Vol . XV (Le Caire 1944) , Nr . 4823 .

(٤٨) ميخائيل ألوف : تاريخ بعلبك ، الطبعة الرابعة (بيروت ١٩٢٦م) ١٢

Wiet : RCEA , Vol . XI , (Le Caire 1941) Nr. 4186.

(49) Wiet : RCEA , Vol . XII (Le Caire 1943) , Nr . 4748 .

(50) Abram , Edword : Ride through Syria : Damascus and Baalbec and Ascent of Mount Hermon (London 1887) 47

(٥١) المصدر السابق : صفحة ٤٧ .

Alouf , Michel : Geschichte Von Baalbek , 4 th ed . (Beirut 1960) 156 .

(52) Elisseeff, N .: Nur AD-Din, Vol. III, Institut Francais De Damas. (Damas 1967) 775.

(٥٣) أفاد كريزويل بأن نور الدين أقام مدارس في بعلبك .

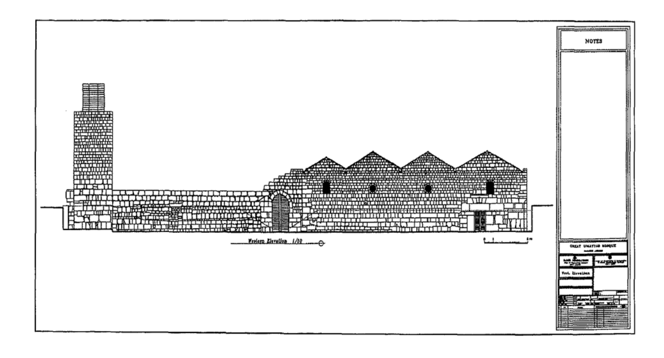
(٥٤) ميخائيل ألوف : تاريخ بعلبك ، طبعة رابعة (بيروت ١٩٢٦م) ١٥١ .

(**) تختلف المصادر في أصول الجامع وهل هو في الأصل كنيسة من العصر البيزنطي أم لا؟ حيث يشير

الدويهي إلى أن الكنيسة البيزنطية تحولت إلى كنيسة للموازنة تخربت خلال الحرب بين فخر الدين المعني وبني حرفوش في حوادث عام ١٠٣٣هـ/ ١٦٢٣م. وعلى هذا فإنه من الأرجح أن الجامع لم يشغل موقع أي كنيسة في السابق.

(اسطفان الدويهي : تاريخ الأزمنة - تحقيق بطرس فهد ، طبعة ثانية (بيروت ١٩٨٣م) ٤٨٨ - ٨٩).

(**) هذه الأعمدة هي دعامات مركبة ترجع إلى الفترة البيزنطية حيث شاع وجودها في كنائس تلك الفترة وكذلك في فترة عصر الرومانسك.



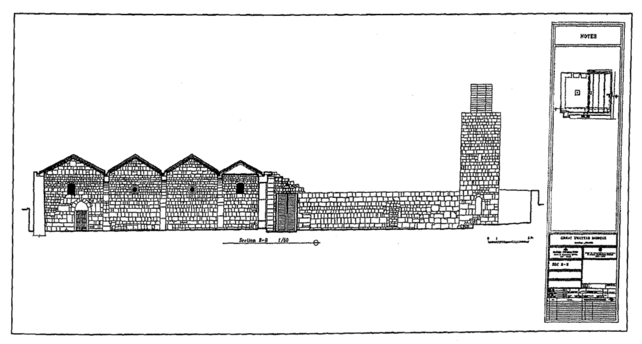
NOTES

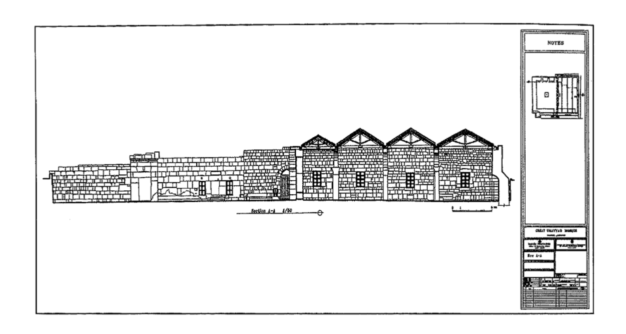
Eastern Elevation 1/50

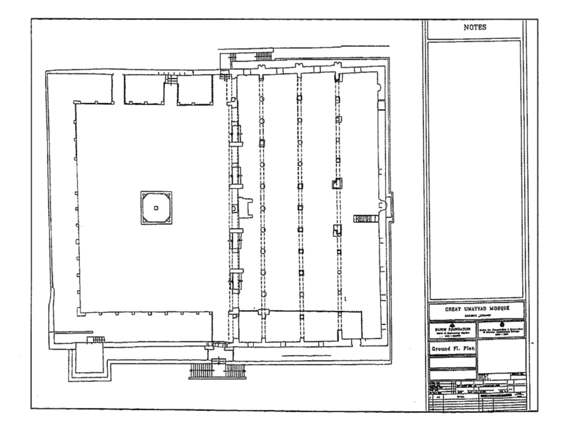
Southern Elevation 1/50

GREAT UMAYYAD MOSQUE

East.,West. Elev.




NOTES
Section A-A 1/50
GREAT UMAYYAD MOSQUE
Sec A-A


NOTES
GREAT UMAYYAD MOSQUE
HARIRI FOUNDATION
Ground Fl. Plan



ندوة
التراث المعماري الاسلامي في الألفية الثالثة
١٨ - ٢٠ مارس ٢٠٠١

مشروع صيانة وترميم
حوض السلطان قايتباي لشرب الدواب

شارع محمد عبده - الأزهر

الأستاذ الدكتور / صالح لمعي مصطفي
مدير مركز إحياء تراث العمارة الإسلامية
ممثل المجلس الدولي للآثارفي الشرق الأوسط وشمال إفريقيا
عميد كلية الهندسة- جامعة بيروت العربية الأسبق



حوض السلطان قايتباى لشرب الدواب - بشارع الشيخ محمد عبده - والذي يعتبر مثالا فريدا متكاملا لهذا النوع من المنشآت الأثرية ، تم اختياره للحصول على منحة للترميم والصيانة من بنك أمريكان إكسبريس وذلك من خلال الصندوق الدولي لتمويل الآثار وهى هيئة تهدف إلى المحافظة على التراث الثقافي العالمي .

١- البيانـــات الأســاسية :

١/ ١- اسم الأثر : حوض السلطان قايتباى لشرب الدواب   ١/ ٢- رقم الأثر : ٧٤

١/ ٣- موقع الأثر : شارع محمد عبده - خلف الجامع الأزهر

١/ ٤-حدود الأثر : الحد الشمالي الشرقي : شارع محمد عبده -الحد الجنوبي الشرقي : مبنى سكني(القهوة)
الحد الجنوبي الغربي : مباني سكنيه (منطقة عشوائية)- الحد الشمالي الغربي : شارع البيطار

١/ ٥- منشئ الأثر : السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباي .

١/ ٦- تاريخ الإنشاء : رمضان ٨٨٢ هـ/ ٧ ديسمبر ١٤٧٧ - ٦ يناير ١٤٧٨م .

١/ ٧- العصر التاريخي الذي أنشأ فيه : العصر المملوكي الجركسي .

١/ ٨- الوظيفة الأساسية للأثر : سبيل لشرب الدواب - الوظيفة الحالية للأثر : مخزن مؤجر للأهالي

٢- الوصــف المعمـــاري :

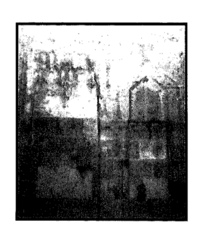


٢/ ١- المسقط :

يقع هذا الحوض بحي الباطلية بالجهة الجنوبية الغربية من الجامع الأزهر الشريف فى مواجهة باب الصعايدة ، ويتكون من مسقط مستطيل أبعاده ٨,٣٠ متر × ٥,٣٠ متر ويبلغ إرتفاعه ٧,٨٠ مترا .

- **الفراغ الداخلي :**

الحوائط الداخلية غنية بزخارفها ، بالحائط الجنوبي الغربي منها خمس دخلات . ثلاثة منها معقودة بعقود منكسرة ، واثنتان يتوجها ثلاثة حطات من المقرنصات ، وعلى جانبي كل دخلة من هذه الدخلات عمودان مدمجان ، وتنتهي جميع الدخلات من أسفل بشطف، ويوجد بالدخلة الأولى (الغربية) رنك كتابي لم يبق منه سوى الشطب والقسم الأسفل من بقايا الرنك به " عز لمولانا السلطان الملك عزنصره " ؟ والدخلة الثالثة تشبه الدخلة الأولى ولم يبقى من رنكها سوى الشطب والقسم الأسفل أيضا به "عز لمولانا الملك السلطان الأشرف عز



نصره" . ويوجد بالحائط الغربي من الضلع الجنوبي الغربي دخلة متوجة بعقد مفصص يرتكز على عمودين مدمجين، وعلى جانبي العقد رنكين باسم السلطان قايتباي، ويتوسط الدخلة دخلة أخرى تؤدي الى ممر مقبى كان يوصل الى بئر الماء المعين والساقية الخاصة بالحوض، وتوجد بالحائط الجنوبي من الضلع الجنوبي الشرقي دخلة أخرى

تشبه الدخلة السابقة المقابلة لها إلا أنها مسدودة، هذا ويجرى أعلى الدخلات شريط كتابي بخط الثلث المملوكي البارز يتضمن اسم السلطان قايتباي وألقابه المتعددة . أما الحائط الشرقي فتوجد به دخلة تنتهي بهيئة مسطحة وهى مسدودة حاليا يقابلها مثلها في الركن الشمالي ولكن يغلق عليها حجاب خشبي. أما الحائط الشمالي الشرقي فيوجد به دخلتان تنتهي كل منهما بهيئة مسطحة، وبينهما دعامة وسطى تنتهي من أعلى بصفين من المقرنصات ، ويغلق واجهة كل دخلة حجاب خشبي.

٢/٢- الملامـح المعمـارية :

الواجهـات:



يتوج واجهات الحوض الشمالية الشرقية والشمالية الغربية رفرف خشبي مائل إلي أسفل، هذا ويبرز عن الواجهة الشمالية الغربية حجرة صغيرة بجانبها الشمالي الشرقي دخلة معقودة بعقد منكسر ذي زخارف مشعة تنطلق من عقد منكسر مسدود ينتهي بصف من المقرنصات تشكل الهيئة الكلية للعقد ويرتكز العقد على عمودين مدمجين ، ويتوسط الدخلة دخلة أخرى معقودة بعقد مفصص شغلت كوشتيه بزخارف الأرابسك ، ويتوسط الدخلة شباك ، هذا ويحدد الهيئة الكلية للدخلة جفت لاعب ذو ميمات مستديرة.

ويوجد بالجانب الشمالي الغربي دخلة أخرى تشبه الدخلة السابقة في التكوين وبالناحية الشمالية يوجد عمود مدمج ذو تاج وقاعدة ناقوسيه (مستجدة) ويعلو هذه الحجرة حجرة أخرى بكل من جانبيها الشمالي الشرقي والشمالي الغربي دخلة متوجة بصدر مقرنص ، ويتوسط الدخلة شباك يطل على الطريق. وقد كان للحوض في الأصل زلاقة حجرا وساقية وبئر ماء معين مثل الحوض الكائن بقرافة صحراء المماليك ، (غير موجود حاليا) ، وقد أعده الواقف للانتفاع به في استقرار الماء الذي ينقل إليه من البئر بحيث يكون مملوء بالماء من أول النهار إلي آخره، وذلك لشرب دواب المارين والمترددين اليه، وغير ذلك من سائر الانتفاعات الشرعية انتفاعا عاما على العادة في ذلك .

٢/٣- التكوين الإنشائي :

٢/ ٣/ ١- الأساسات : سطحية من أحجار غير منتظمة من الحجر الجيري عمق التأسيس طبقا للجسات ٢,٦٠م٠

٢/ ٣/ ٢- الحوائط : حوائط حاملة من الحجر الجيري المشهر مع حشوة داخلية ٠

٢/ ٣/ ٣- الفتحات : الواجهات ذات أعتاب خشبية ٠ المدخل المؤدي إلى فراغ الصهريج ذو عتب حجري وكذا شبابيك الصهريج المطلة على الطريق والتي تحتوي على شبابيك ذات سنابل من النحاس .

٢/ ٣/ ٤- الأسقف : يسقف فراغ الحوض سقف خشبي من براطيم خشبية تحصر بينها مناطق مربعة ومستطيلة ويرتكز هذا السقف على إزار لا توجد به الحنايا الركنية ذات الذيل الهابط ولا الحنايا الوسطية التي تنتهي بنهاية الإزار كما هي العادة في معظم الأسقف من هذا النوع في أغلب الأحيان .

٣-أعمال لجنة حفظ الآثار العربية :

٣/ ١- عام ١٨٨٧ - ١٨٨٨م :

ورد ذكر الحوض في محاضر اللجنة لعام ١٨٨٧م حيث أشار المحضر [١] إلى التقدم بمشروع بخصوص عمل بناء فوق حوض قايتباي ورفض هذا المشروع باتحاد الآراء وطلب عدم إجراء بناء على هذا الأثر مع نزع ملكية الدور الثاني من مالكه عن طريق ديوان عموم الأوقاف صاحب الملك وبالاتفاق مع اللجنة لصرف القيمة من ميزانية اللجنة أو من ميزانية الديوان وإذا لم يتم الاتفاق بالطرق الودية يجرى نزع الملكية قانونيا ٠ وقد أشير إلى [٢] أنه قد صدر أمر من محافظة مصر بهدم الدكان الملاصق لواجهة الحوض الشمالية الغربية بهدف حماية الأثر والحفاظ عليه وقد رأى القومسيون الثاني عندما توجه إلى المحل وجوب هدم الحائط الملاصق لواجهة الحوض الغبية مع الاعتناء في الهدم تحت ملاحظة أحد مهندسي قلم الهندسة وعلى نفقة اللجنة مع توجهه مرة أخرى لمحل العمل للمعاينة وإعطاءه التنبيهات اللازمة للحفاظ على الأثر ٠ وقد تم صرف مبلغ ١٩,٢٤ جنيه للأشغال التي تم إجراؤها للحوض [٣] عام ١٨٨٧-٨٨م وفي عام ١٨٨٩م تم صرف مبلغ ٢,٥٦ جنيه حتى ٣١ ديسمبر (١٨٨٩م) [٤].

٣/ ٢- عام ١٨٩٠م:

أفادت محاضر اللجنة [٥] بأنه قد تم هدم ناحية حوض قايتباي بالأزهر بمعرفة وبأمر النيابة التي طلبت دفع تكاليف الهدم من الأوقاف وقد كان غير مقتضى هدم ناحية هذا الأثر بدون إقرار لجنة حفظ الآثار العربية لهذا بين سعادة رئيس اللجنة تفصيلات هذا الهدم وطلب البحث عمن تسبب في إجراء هذا المشروع المخالف حيث تبين عدم إخبار القومسيون الثاني بأنه غير مقتضى هدم هذا الجزء من الأثر الهام جدا وأعتذر عن ذلك وكلف باشمهندس اللجنة بسرعة تستيف المهمات المتخلفة من الهدم وتحرير مقايسة عن ترميم الناحية المهدومة [٦]. وقد استشار ديوان عموم الأوقاف اللجنة في الموافقة على تأجير حوض السلطان قايتباي [٧] حيث أستحسن

القومسيون الثاني التصريح بهذا التأجير بشرط إلا يرخص للمستأجر بإجراء أي عمل كان قبل حصوله على تصريح بذلك وهذا التصريح لا يعطي له إ لا بإقرار من اللجنة .

٣/ ٣- عام ١٨٩١ م :

أفادت المحاضر أن اللجنة قامت بعمل مقايسة لتجديد مزملة حوض قايتباي بلغت قيمتها ٥٥ جنيه مصريا[٨] حيث كان قد طلبها القومسيون الثاني وأراد من اللجنة التصديق عليها وإجراء العملية على حساب ميزانيتها، ثم بعد ذلك اعتمد التقرير الخاص بالمقايسة[٩] .

٣/ ٤- عام ١٨٩٢ م :

أفادت محاضر اللجنة أن المالك للركوب فوق حوض مزملة السلطان قايتباي بالأزهر يرفض بيع ملكه وإنما ينقاد إلى الرسم الهندسي الذي يعطى له [١٠] للإنشاء البسيط والخفيف فوعد سعادة فرانس باشا بفحص المسألة . وتم التقدم بطلب للبناء بأعلى مزملة وحوض السلطان قايتباي بالأزهر حيث أشار القومسيون الثاني إلى قرار اللجنة بعدم إقامة أي بناء بأعلى الحوض حيث أن المزملة مرتبطة بالحوض فلابد أن تكون كذلك فرفض إعطاء الرخصة المطلوبة[١١] . وقد أخبر القومسيون الثاني اللجنة أن الأعمال التي تم تحديدها مسبقا لتجديد حوض قايتباي بالأزهر قد تم نهوها بقيمة إجمالية ٥٥ جنيها مصريا [١٢] مع توضيحه لمفردات المصروفات المقررة والمدفوعة .

٣/ ٥- عام ١٨٩٣ م:

أمرت اللجنة بالموافقة على التصميم المقدم من سعادة فرانس باشا بشأن التعديلات اللازم إحداثها للرسم القديم المعمول عن الركوب الذي فوق حوض قايتباي بالأزهر، مع إلزام عمله بمعرفة قلم الهندسة باللجنة مع الإنقياد للملحوظات التي ذكرت بالتقرير المرفق مع التصميم [١٣] والتعديلات اللازمة لبناء الركوب المذكور وتشمل استعواض نجارة الواجهة بحواجز من بغدادلي وبياض وفي أعلى الأودة - التي هي الركوب المقول عنه - يلزم عمل كورنيش بسيط حفاظا لرونق الواجهة من خشب يكون متوجا بشرفة من خشب مشغول حسب الوضع الذي كان مستعملا في زمن قايتباي وذلك تحت ملاحظة مهندس الأوقاف أو لجنة حفظ الآثار .

٣/ ٦- عام ١٨٩٤م:

أفادت المحاضر أن القومسيون أخبر اللجنة بإن الأعمال المصرح بها قد صار الانتهاء منها وهي بناء دور بأعلى حوض السلطان قايتباي بالأزهر [١٤] .

٣/ ٧- عام ١٨٩٥ م :

أفادت المحاضر أن ديوان الأوقاف حول على القومسيون الثاني طلبا مقدما من أحد الأهالي لإستئجار حوض السلطان قايتباي لجعله دكانا لبيع أصناف البقالة [١٥] فلم يرى القومسيون مانعا من ذلك على أن يأخذ ديوان الأوقاف على المستأجر الشروط التي قررتها اللجنة ضمن موافقتها السابقة على ذلك[١٦] .

٣/ ٨- عام ١٩٤٠م :

ورد في تقارير اللجنة إن الهيئة عاينت حوض قايتباي بالأزهر، وأشار سعادة الرئيس إلى ضرورة النظر في الجلسة المقبلة في أمر هذا الحوض من حيث إذا كان هناك محل لإتخاذ شيء جديد في شأنه أم إبقاء الحالة كما هي (١٧) وقد تحددت أهميه الحوض في سقفه والزخارف والكتابات على جدرانه من الداخل، ورأت الإدارة تكليف المستأجر بوضع الدواليب بعيدة عن هذه الجدران حتى يتم إخلاؤه من قبل وزارة الأوقاف .

فقررت الهيئة إبقاء حالة الحوض كما هي على أن ينظر مستقبلا ومتى كان ممكنا في إعادة الحوض إلى حالته الأصلية

٤- البيانات والدراسات العلمية :

٤/ ١- البيانات البيئية للأثر :

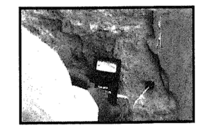
نظرا لأن هذه البيانات لها تأثيرها المباشر على الأحجار والأخشاب وبالتالي أسلوب المعالجة فيتم تسجيل هذه البيانات خلال فترة بداية إعداد المشروع لتسجيلها خلال فترات متفاوتة لتحديد أسلوب المعالجة الفوري وعلي المدى البعيد عند الترميم الشامل وتشمل هذه البيانات :

٤/ ١/ ١- متوسط درجات الحرارة و الرطوبة النسبية والرطوبة داخل فراغي المبنى .

٤/ ١/ ٢- متوسط درجة الحرارة للحوائط (على سطح الأحجار) .

٤/ ١/ ٣- متوسط درجة الحرارة التكثف Dew Point Temperature .

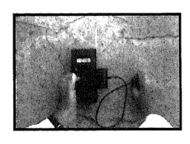
٤/ ١/ ٤- متوسط درجة الحرارة للحوائط (سطحيا وداخل الحوائط) .



قياس الرطوبة بالحوائط



قياس درجة حرارة الفراغ



قياس درجة حرارة الحائط

٤/ ٢/ ١- دراسات اختبارات المواد :

وتهدف إلى تحديد خصائص الأحجار والمون والدهانات والأصباغ المستخدمة في المبنى بغرض تحديد المواد اللازمة لعملية التقوية والحفاظ على المبنى وتضم هذه الاختبارات الآتي :-

- تحديد الخصائص الفيزيائية للأحجار .

- تحديد الخصائص الميكانيكية للأحجار .

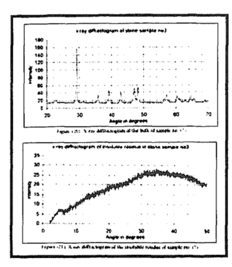
- التحليل الكيميائي الكامل للمواد والمون المستخدمة .

- تحديد المكونات الأساسية ونسبها .

- التحليل باستخدام حيود الأشعة السينية .

- تحديد التدرج الحبيبي للمون .

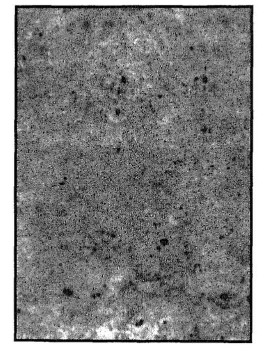
- تحليل عينة من أصباغ زخارف السقف .



التحليل باستخدام حيود الأشعة السينية .

- دراسة ميدانية للأحجار:

بالإضافة إلى اختبارات المعمل وتحليل الأحجار فقد أجريت اختبارات إضافية لاحجار وذلك للمساعدة في التعرف على حالة الأحجار وإظهار التشققات، تبلور الأملاح، الكشف عن وإظهار الأملاح، ووجود المسام وذلك باستخدام كاميرا Nikon مزودة بمسطح خاص للتكبير (عدسة Lens Dermaphot) استخدمت لعمل مجموعة لقطات مختلفة للأحجار . وتستخدم لتوثيق وتسجيل التصدعات الدقيقة جد وإظهار التفاصيل الصغيرة لكل أنواع مواد الواجهة .



حجر جيري مكبر
باستخدام Lens Dermaphot

-إزالة الألوان من سطح الأحجار:

بناءً على التجربة التي أجريت على الكتابات اللونية بالواجهات فقد أستخدم خليط من المذيبات الأتية :

Alcohol Exthoxylate, Glycol Ethers and Esters
N-Methyl Pyrrolidone, Dimethy Sulfoxide,
Terpenes, Potassium Hydroxide.

وقد أثبتت المادة نجاحها إلى حد كبير .

٢/٢/٤- دراسات اتزان المبنى والدراسات الإنشائية:

وتهدف إلى تحديد مدى اتزان المبنى إنشائيا وتأثره بالرياح والزلازل وإعداد الدراسات الإنشائية اللازمة للعناصر الإنشائية المختلفة وإعداد الأساليب المقترحة لمعالجة الأساسات والحوائط والأسقف إذا لزم الأمر .

٣/٢/٤- دراسات التربة والأساسات :

وتشمل عمل حفر كشف عن الأساسات (أربعة حفر داخل وخارج المبنى) للكشف عن منسوب الأساسات وأبعادها وعمق وحاله ونوع التأسيس والمونة الرابطة ، بالإضافة لعمل جسة ميكانيكية باستخدام القاسون لمعرفة طبقات التربة وخصائصها الفيزيقية والكيميائية ومنسوب المياه الجوفية - إن وجدت - حول المبنى وتحديد المنسوب المناسب للتأسيس .



٤/٢/٤- دراسات الأعمال الكهربائية :

وتشمل أعمال الإضاءة الداخلية للأثر طبقا للأصول الأثرية وأعمال الإضاءة الجمالية للواجهات الخارجية للأثر .

٥-التسجيل العلمي والتوثيق :

يتم التسجيل العلمي للمبنى من خلال مجموعة من الدراسات والمراحل تتمثل في الآتي :

١/٥-دراسة أثرية تاريخية معمارية وثائقية :

" التسجيل الأثري التاريخي الوثائقي " ويتم إعدادها من خلال المصادر والمخطوطات والوثائق التاريخية بهدف تحديد العناصر المعمارية طبقا للعصور التاريخية المختلفة وحتى وقتنا الحاضر .

٢/٥- التسجيل الفوتوغرافى للوضع الراهن :

ويشمل تسجيل العناصر المعمارية للمبنى فوتوغرافيا تسجيلا شاملا لتوضيح حالة المبنى الحالية والتفاصيل والزخارف المختلفة مع توضيح الأضرار المختلفة مع استخدام أسلوب الفهرسة و تسجيل أرقام وأماكن الصور واتجاهاتها على لوحة المسقط الأفقي للمبنى أو الموقع العام التي ترفق بتقرير

التسجيل الفوتوغرافي ويتم إضافة البيانات الأساسية الخاصة بكل صورة والأضرار الموجودة للاسترشاد بها في عملية الترميم فيما بعد .

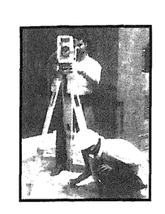
٣/٥- التسجيل والرفع المساحي:

يتم ذلك عن طريق استخدام أجهزه الرفع المساحي الحديثة لتحقيق أبعاد معمارية دقيقة للمساقط والواجهات والقطاعات والتفاصيل والزخارف لإعداد الرسومات التنفيذية للمشروع ويتم ذلك عن طريق :

٥/ ٣/ ١- التسجيل باستخدام محطة الرصد المتكامل Total Station

٥/ ٣/ ٢- التسجيل باستخدام التصوير الهندسي Photogrammetry

٥/ ٣/ ٣- التسجيل باستخدام التيودوليت وأجهزة القياس المختلفة .



٤/٥- التسجيل المعماري :

ويتم من خلاله إعداد الرسومات المعمارية الضرورية عن المبنى كنتيجة للتسجيل الفوتوغرافي والتسجيل والرفع المساحي وتتمثل في :

٥/٤/١- المسا قط الأفقية :

ويتم إعداد لوحات بمقياس رسم مناسب (١ - ٥٠ أو ١-٢٠) تحوي الآتي :

- مسقط أفقي يوضح الأبعاد والمناسيب المختلفة على شبكة من المحاور .
- مسقط يوضح عليها أسلوب وضع الأرضيات إن وجد .
- مسقط يوضح عليه الأسلوب الإنشائي للأسقف (ناظرا لأعلى) .
- مسقط أفقي للسطح ٠

٥/٤/٢- الواجهات/ تفاصيل الواجهات:

ويتم إعداد لوحات بمقياس رسم مناسب (١ - ٥٠ أو ١-٢٠) تحوى الآتي :

- لوحات للواجهات الخارجية موضحا عليها الوضع الراهن والأضرار الموجودة بها .
- تفاصيل لجميع العناصر المعمارية للواجهات الخارجية .

٥/٤/٣- القطاعات / تفاصيل القطاعات:

ويتم إعداد عدد مناسب من القطاعات بحيث توضح جميع الواجهات الداخلية بمقياس رسم مناسب(١ - ٥٠ أو ١-٢٠) تحوى الآتي :

- قطاعات توضح الواجهات الداخلية والمناسيب والارتفاعات .
- تفاصيل القطاعات مع توضيح كافة الأضرار المختلفة والوضع الراهن على لوحات الرفع المعماري .

٦-الرسومات التنفيذية :

تم إعداد من ٦ - ٨ لوحات توضح الرسومات التنفيذية وتفاصيل المعالجات المختلفة للأضرار كالتالي :

- أسلوب معالجة الأساسات - معالجة الرشح - الرطوبة .
- أساليب معالجة الحوائط تبعا لنوعية الأضرار الموجودة بها(فك كامل- تزرير- فك جزئي- تقوية) .

- أساليب معالجة الأخشاب بالفتحات – تفاصيل النجارة المقترحة .
- أساليب معالجة أخشاب الأسقف .

لوحات لأعمال الصلب والتدعيم للعناصر المعمارية والإنشائية عند الضرورة مع بيان كافة مواد وقطاعات الصلب . بالإضافة إلى إعداد دفتر الشروط والمواصفات الفنية والمقايسة التقديرية للكميات و المقايسة التثمينية .

٧- خطة الترميم :

إنقسمت خطة الترميم إلى جزئين ، خطة قصيرة الأجل للحفاظ على المنشأ ومنع زيادة التدهور ، وخطة الترميم الشاملة للمبنى والتي تمت بعد إعداد الرسومات التنفيذية ومستندات التنفيذ ويتم توضيحهما كالتالي :

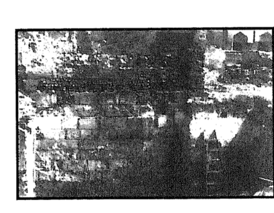
خطة قصيرة الأجل :

تم التركيز فيها على العناصر المعمارية التي تتطلب تدخلا عاجلا لإزالة الخطورة ووقف التدهور والحفاظ عليها درءا لتفاقم الضرر وتمت بالتوازي مع أعمال التسجيل المعماري والأثري للمبنى وإعداد مستندات المشروع الرئيسي لترميم المبنى وتضمنت البنود التالية :

المرحلة الأولى :

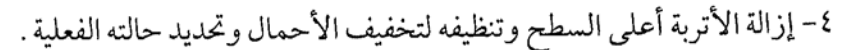
٧/ ١- إعداد الموقع وإجراءات الصيانة : Site preparation & preventive measures

١- تم إخلاء المبنى من شاغله بمساعدة المجلس الأعلى للآثار .



٢- إزالة دورة المياه الملاصقة للحوض والتي تتسبب في تسرب المياه الي الحائط الشرقي والجنوبي الملاصق للحوض ثم تم بناء دورة مياه جديدة وتم وصلها بنظام الصرف الرئيسي .

٣- إزالة ونقل صندوق الكهرباء ومضخة الحريق الملاصقان للأثر .

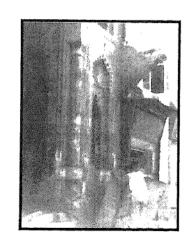


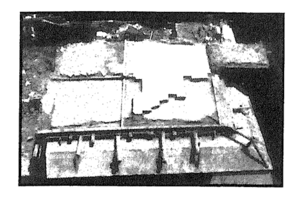
٤- إزالة الأتربة أعلى السطح وتنظيفه لتخفيف الأحمال وتحديد حالته الفعلية .

٥- إزالة المخلفات بفراغ الصهريج وتنظيفه وعمل غطاء من الحجر أو الرخام له .

٦- تغطية السقف بالمشمع للحماية من الأمطار .

٧- اكتشاف مخرج الصهريج الأصلي بعد إزالة صندوق الكهرباء الملاصق للأثر .



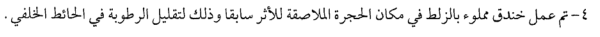


٧/ ٢- أعمال الصيانة : Preservation Works

١- إزالة الأملاح باستخدام الطرق اليدوية . تم استخدام عجينه الطين الرمل لإزالة الأملاح الشديدة من على سطح الأحجار .

٢- قامت إحدى المرممات الشابات بعملية تنظيف الأحجار بالأسلوب الجاف ثم الرطب لحوائط الحوض من الداخل باستخدام الماء المقطر أو المخلوط بالكحول الإثيلي .

٣- اللحامات الأسمنتية بالحوائط تم تنظيفها وإعادة ملئها بالمونة التقليدية .



٤- تم عمل خندق مملوء بالزلط في مكان الحجرة الملاصقة للأثر سابقا وذلك لتقليل الرطوبة في الحائط الخلفي .

٧/ ٣- أعمال المحافظة والترميم : Conservation Works

وبدأت بعد الانتهاء من إعداد الرسومات التنفيذية ودفتر الشروط والمواصفات ومقايسة الكميات والمقايسة التثمينية وتضمنت البنود التالية التي تم تنفيذ العاجل منها لدرء الخطر عن المبنى :

٣/١- الأساسات :



الأساسات طبقا للكشف عن الأساسات تحتاج إلى التدعيم في بعض الحوائط وخاصة الشرقية باستخدام المون التقليدية .

وقد تم تدعيم أساسات أكتاف المدخل والحائط الشرقي والحائط الجنوبي طبقا لتوصيات الدراسات المعمارية والإنشائية وذلك بعمل خرسانة عادية وكمرات خرسانة مسلحة يتم

ربطها معا بواسطة أسياخ من الحديد .

٢/٣- معالجة الحوائط :

٣/ ٢/ ١ - يوجد تلوث بيئي شديد وبالتالي فقد تم عمل ما يلي :

٣/ ٢/ ٢ - تنظيف الأحجار بالواجهات الداخلية باستخدام الماء المقطر والإسفنج .

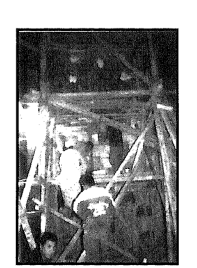
٣/ ٢/ ٣- كذلك تمت المعالجات الآتية :

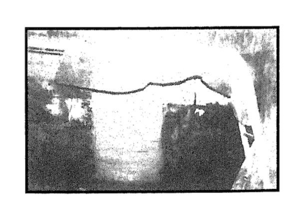
استخدام عجينة الطمي والرمل لإزالة الملوحة بالحوائط الداخلية.

استخدام عجينة الطمي والرمل لإزالة الملوحة بالحوائط الداخلية ، تم فك الحائط الشرقي جزئيا لإزالة الانبعاج الحادث به ثم إعادة بناء الحائط بنفس ناتج الفك وتغيير ومعالجة التالف منها وباستخدام المون التقليدية .

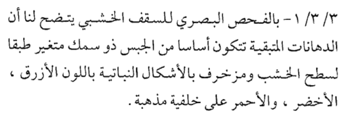
٣/ ٢/ ٤ - تم فك وإعادة بناء الحائط الجنوبي الغربي الداخلي نظرا لحالته الإنشائية السيئة ، تم استبدال الأحجار المتدهورة بأخرى جديدة في أضيق نطاق .

٣/ ٢/ ٥ - إزالة البياض التالف من الواجهة الخلفية وتم عمل بياض جديد مطابق لما كان عليه في الأصل ، وإعادة بناء الجزء المتدهور من الحائط .





٣/٣- الزخـارف :



٣/ ٣/ ١ - بالفحص البصري للسقف الخشبي يتضح لنا أن الدهانات المتبقية تتكون أساسا من الجبس ذو سمك متغير طبقا لسطح الخشب ومزخرف بالأشكال النباتية باللون الأزرق ، الأخضر ، والأحمر على خلفية مذهبة .

٣/ ٣/ ٢ - تعاني الزخارف الخشبية الملونة من التدهور بفعل الرطوبة . كذلك بالنسبة للتغطية الرصاص للسقف المائل فهي شديدة التدهور . سيتم معالجة السقف الخشبي ضد الفطريات والحشرات والنمل الأبيض .

٣/ ٣/ ٣ - تم تنظيف السقف طبقا للعينات المأخوذة ووفقا لأحدث الأساليب العلمية .

٣/ ٣/ ٤ - تم استخدام الجبس للتشكيل ولملء الشروخ في الهيكل الخشبي .

ب- تحليل الصبغات اللونية والوسط الرابط بينها :

تم أخذ أربعة عينات من أماكن مختلفة .تم تحليلها بواسطة حيود الأشعة السينية **XRD** والأشعة تحت الحمراء **Infra red** .

ج- تحليل تقني جيولوجي للصبغات المعدنية (عينات لبياض السقف) :

بتحليل العينة رقم -١- يتضح لنا ما يلي :

١ - نظرا لتواجد آثار واضحة من بقايا المواد العضوية الرابطة ، نوصى بعدم استخدام المذيبات العضوية في أغراض التنظيف .

٢- نظرا للطبيعة الكيميائية والفيزيائية لمركبات الحديد ، نوصى بعدم استخدام المذيبات الغير عضوية -وبصفة خاصة الأحماض المعدنية - في أغراض التنظيف .

٣- يمكن إجراء عملية التنظيف بالطريقة الجافة . وفى حالة الضرورة ، فإنه يفضل استعمال الماء المقطر - لتفادى ترسيب الأملاح بعد الجفاف - وفى أضيق الحدود .

٤- الطبقة الخارجية السوداء مكونة من سناج وأتربة ، ولا تمتد الى داخل العينة ، ويبدو أنها نتيجة للتلوث البيئي .

د- خطة التنظيف والتقوية المقترحة لدهانات الأسقف :

١- تنظيف الأتربة المتراكمة .

٢- تقوية الطبقة الملونة .

٣- بعد عملية التقوية ، بدأت عملية إزالة الأوساخ .

٤ - تمت عملية التقوية مرة أخرى بعد عملية التنظيف .

يجب تطبيق اختبار على منطقة صغيرة باستخدام التقنيات السابقة قبل البدء في التطبيق الشامل لعملية التنظيف .

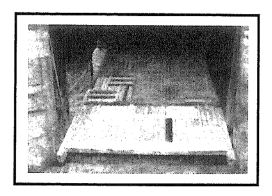
٤/٣ أعمال النجارة :

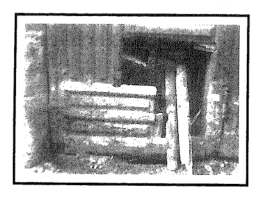
تعاني النجارة من التدهور بفعل التلوث البيئي والحشرات والقوارض .

٣/ ٤/ ١ - تم استكمال المفقود واستبدال التالف من أجزاء الباب الرئيسي للمدخل بالإضافة إلى المعالجة ضد التسوس والتآكل مع الترميم والدهانات بالمواد الواقية طبقا لعينة التنظيف والمعالجة ووفقا لأحدث الأساليب العلمية .

٣/ ٤/ ٢- تم تركيب دلف زجاج في فتحات النوافذ العلوية المفقودة .

٣/ ٤/ ٣- تم تركيب الأجزاء المفقودة مماثلة لمقاس وشكل الجزء الأصلي .





ب-الأسقف :

يوجد تدهور بأجزاء السقف الخشبي (تطبيق - براطيم - علب - ايزار) وتدهور بزخارف السقف بفعل الرطوبة والأتربة . بالإضافة إلى تدهور الطبقات العازلة بالسطح ، وتآكل الرصاص العازل للجزء المائل من السطح (عازل المظلة الخشبية) واستكمال الناقص مع تنظيف السقف طبقا لعينة التنظيف المنفذة وفقا لأحدث الأساليب العلمية .

٣/ ٤/ ١ - تم فك أرضية السطح المتدهورة .

٣/ ٤/ ٢ - عملت طبقات عازلة جديدة لحماية السقف الأصلي .

٣/ ٤/ ٣- إعادة تبليط السطح باستخدام ناتج الفك واستكمال الناقص بنفس المقاسات وباستخدام المون التقليدية .

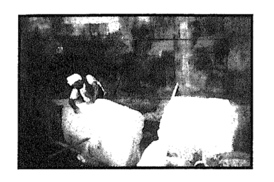
٣/٥- الأعمال المعدنية :

يوجد تآكل بالشبكات السلك خلف المصبعات المعدنية بالشبابيك ، كذلك تدهور المفصلات المعدنية بالأبواب :

٣/ ٥/ ١ - تم استبدال الشبكات السلك بأخرى جديدة .

٣/ ٥/ ٢ - تم عمل مفصلات نحاسية للأبواب على نفس النمط الأثرى بالموقع .

٣/٦- الأرضيات :



تعاني الأرضيات من هبوط في مناسيب الأرضية الحجرية الحالية والتدهوربفعل الرطوبة مع فقد الكثير من قطع الأرضية وخاصة الأرضية الأثرية أسفل الأرضية الحالية وتآكلها .

ولهذا تم فك الأرضية الحالية وكشف الأرضية الأثرية وعمل دكة وطبقات جديدة ثم إعادة تركيب وتغيير التالف واستكمال الناقص بنفس شكل ومقاسات الأحجار الأثرية وفقا للأصول الفنية والمواثيق الدولية .

المرحلة الثانية : الأعمال التي تم استكمالها :

١- تنفيذ خطة العمل الشاملة للمحافظة على السقف وتقويته وتنظيف الزخارف .

٢- وضع ظام إضاءة جديد لتسهيل استخدام الأثر ، صممت الشبكة الجديدة بحيث لا تشوه الفراغ الداخلي للأثر .

٣- عملية تنظيف كاملة للحوائط الداخلية والخارجية بعد انتهاء عملية الصيانة .

٤- تغيير الأحجار الغير صالحة وعلاج الأوجه المتدهورة نسبيا بالرش بمواد التقوية وفق أحدث الأساليب العلمية .

٥- تغطية السقف بطبقة من الرصاص الجديدة لإحلال الطبقة القديمة المتدهورة .

٦- إعادة طلاء الاحجبة الخشبية والسقف الخشبي المائل . معالجة الكوابيل الخشبية الحاملة للسقف المائل .

٧- تصميم سور معدني حول الأثر يتوافق مع الطابع المعماري الأثر للمحافظة عليه من الوسط المحيط .

٨- تسليم الأثر :

تم الانتهاء من أعمال الترميم وتسليم الأثر إلي هيئة الآثار لاستخدامه كمكتب لمفتشي الآثار ولخدمة الحركة السياحية بالمنطقة .

٩ - الهوامش :

١ - محضر لجنة حفظ الآثار العربية ٢٣ كراسة ٥- (١٨٨٧م) صـ ٣٦ .

٢ - محضر لجنة حفظ الآثار العربية ٤٦ كراسة ٥- (١٨٨٧م) صـ ٨٢ .

٣ - محضر لجنة حفظ الآثار العربية ٣٢ كراسة ٥- (١٨٨٧-٨٨م) صـ٤٢ .

٤ - محضر لجنة حفظ الآثار العربية ٤٢ كراسة ٧- (١٨٩٠م) صـ٩١ .

٥ - محضر لجنة حفظ الآثار العربية ٤٤ كراسة ٧- (١٨٩٠م) صـ٢٧ .

٦ - تقرير ٩٩ كراسة ٧- (١٨٩٠م) صـ١٠٧ .

٧ - تقرير ٨٨ كراسة ٨- (١٨٩٠م) صـ٧٣ .

٨ - تقرير ١١٨ كراسة ٨-(١٨٩١م) صـ٦٦ .

٩ - محضر لجنة حفظ الآثار العربية ٥١ كراسة ٨- (١٨٩١م) صـ٧٣ .

١٠- محضر لجنة حفظ الآثار العربية ٥٥ كراسة ٩- (١٨٩٢م) صـ٣١ .

١١- تقرير ١٣٤ كراسة ٩- (١٨٩٢م) صـ٥١ .

١٢- تقرير ١٣٤ كراسة ٩- (١٨٩٢م) صـ٦٣ .

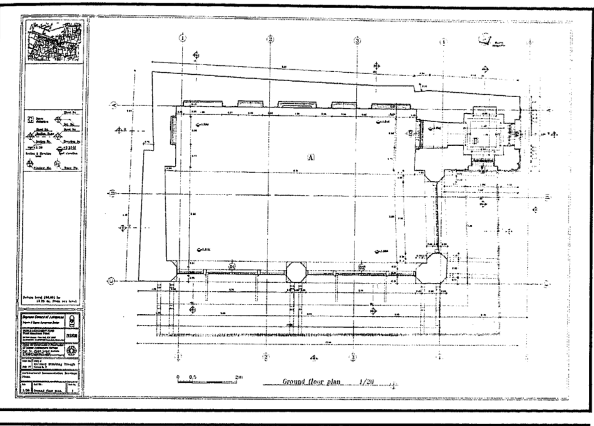
١٣- محضر لجنة حفظ الآثار العربية ٥٦ كراسة ١٠- (١٨٩٣م) صـ٦، ٥ .

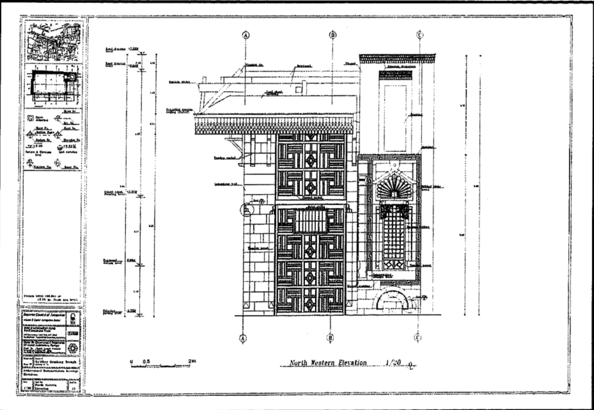
١٤- تقرير ١٦٣ كراسة ١١- (١٨٩٤م) صـ٣٣-٣٦ .

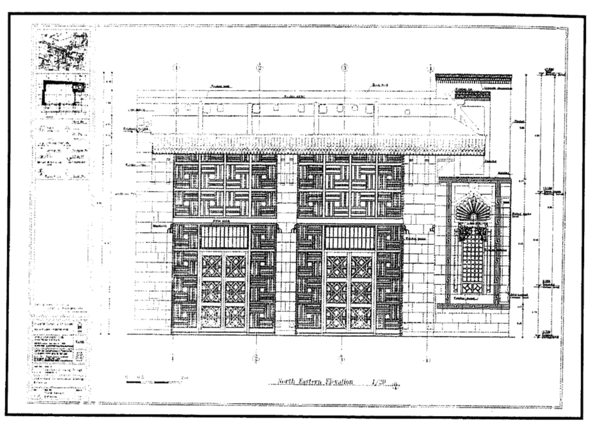
١٥- تقرير ١٩١ كراسة ١١- (١٨٩٥م) صـ٨٢ .

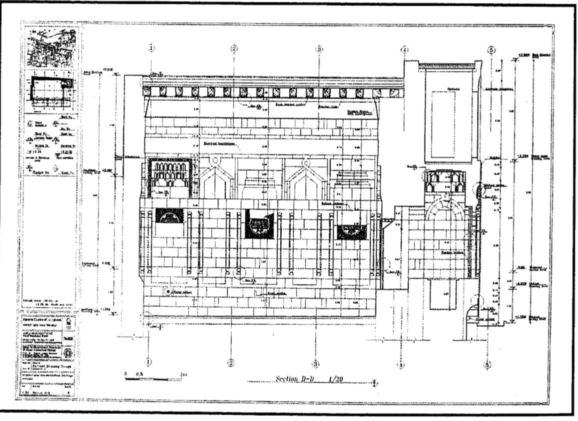
١٦- تقرير ٨٨ كراسة ٧- (١٨٩٠م) صـ٧٣ .

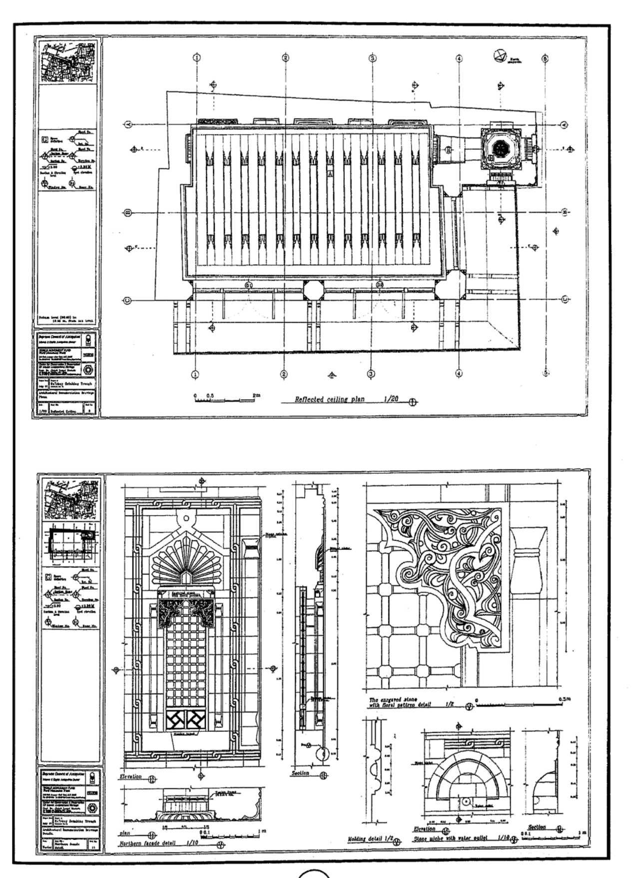
١٧- تقرير ٧٦٤ كراسة ٣٨- (١٩٤٠م) صـ٣١٨ .


0 0.5 2m
Ground floor plan 1/20


0 0.5 2m
North Western Elevation 1/20


North Eastern Elevation 1/20


Section D-D 1/20


Reflected ceiling plan 1/20
Elevation
Section
plan
Northern facade detail 1/10
The engraved stone
with floral pattern detail 1/2
Molding detail 1/2
Elevation
Section
Stone niche with water outlet 1/10



نـــدوة

التراث المعماري الاسلامي في الألفية الثالثة

١٨ - ٢٠ مـــارس ٢٠٠١

الاتجاهات التصميمية والتعبيرية لرواد العمارة الإسلامية المعاصرة بين المنهجية والتطبيق

أ. د. عبد الحميد أحمد البس

أستاذ العمارة بقسم العمارة الإسلامية

بكلية الهندسة والعمارة الإسلامية بجامعة أم القرى

ملخص البحث :

كان للتحولات الصناعية الهائلة التي حدثت في العالم الغربي والتقدم الهائل في أساليب الإنشاء ومواد البناء الجديدة التي فاقت كل خيال دور كبير في ظهور العمارة الحديثة التي غزت بعد ذلك العالم العربي والإسلامي بأجمعه فتأثر بها، وتتابع هذا التأثر مع زيادة النفوذ السياسي والعسكري والاقتصادي للغرب في بلاد المسلمين والتبعية المطلقة له وذلك بعد أن قدم لنا فلسفات واتجاهات لا تتفق مع ديننا ومبادئنا الإسلامية، ومع هذا الضياع وفقدان الهوية في مجال العمارة كانت هناك دعوات ومحاولات جادة في العالم الإسلامي تريد العودة إلى أصولها وجذورها الإسلامية المعمارية بعد أن فقدت العمارة في كثير من أقطار العالم الإسلامي هويتها وأصالتها نظراً للتقليد الأعمى لعمارة الغرب التي لا تتفق مطلقاً مع قيم ومفاهيم المجتمعات الإسلامية وأصبحت العمارة في العالم الإسلامي يتجاذبها عدة أتجاهات الأولى باسم (الأصالة) وحتمية العودة إلى العمارة الإسلامية بأصولها وقيمها وثوابتها ومحاولة الاستفادة منها وتطبيقها في أعمالنا المعمارية دون تغيير أو تبديل، والداعون إلى ذلك رومانسيون مشدودون إلى القديم بكل ما يحمله من روح التاريخ وأصالة الحضارة كموروث اجتماعي وتراث عمراني عريق من واجبهم المحافظة عليه لتوريثه للأجيال القادمة جيلاً بعد جيل.

واتجاه آخر يدعو إلى المعاصرة (الحداثة) والتحرر من القديم حيث استحالة العودة إلي الماضي وإرجاع عجلة الحياة إلى الوراء، والداعون إليه يحفزهم ما يرونه من تطور هائل على كافة المستويات والقفزات السريعة والمتلاحقة في عالم الإنشاء والتقنيات في عالم البناء التي تفوق كل تصور وخيال، ولهذا يرون تخطي الماضي وعدم الإلتفات إليه والسعي إلى تقديم إبداع جديد يناسب هذا التطور السريع ويناسب إنسان العصر والزمن الذي يعيش فيه.

واتجاه آخر يدعو إلي الجمع بينهما دون إفراط أو تفريط فهو اتجاه لايرفض الجديد ببريقه ولا يريد عودة القديم كما هو بأصالته وعراقته، ولكنه يسعى إلى إبداع عمارة إسلامية معاصرة ضمن حدود ومعطيات وإمكانيات العصر دون أغفال أو تجاهل للقديم، عمارة تربط الإنسان المعاصر بمجتمعه وتاريخه فلا يفقد ذاته ولا يخسر هويته وسط هذه الأمواج المتلاحقة من التطور ومحاولات الانسلاخ والتمرد على الماضي بكل ما فيه.

والبحث المقدم يوضح الاتجاهات التصميمية والتعبيرية لرواد العمارة الإسلامية المعاصرة وكيف تم تطبيقها في عالمنا الإسلامي لتقديم عمارة إسلامية معاصرة تناسب تطلعات الإنسان المعاصر دون إغفال الحضارة الأمس وعراقتها بكل ما تحمله من جذور حضارية تربط الإنسان المعاصر بحاضره الذي يعيش فيه وتتفق مع الحياة الإسلامية والنهج الإسلامي القديم.

مشكلة البحث وأهدافه :

كان للتغيرات والتحولات في مجال العمارة والتي حدثت في العالم أثرها على العمارة الإسلامية في الوطن

العربي حيث تدفقت الاتجاهات والفلسفات المعمارية إلى المنطقة وكان ذلك دافعاً لجيل من المعماريين بضرورة العودة إلى أصولهم وتراثهم المعماري العريق، وحاولوا التوفيق في أعمالهم بين أساليب العصر الحديثة وبين قيم وثوابت المجتمع وبذلك ظهرت إتجاهات وأفكار جديدة لتقديم عمارة إسلامية معاصرة، وتحمس لكل اتجاه من هذه الاتجاهات بعض من رواد العمارة الإسلامية، حيث قدموا أعمالاً تعبر عن أفكارهم وتوجهاتهم، ولهذا فإن الذي نتوخاه في هذا البحث هو التعرف على هذه الاتجاهات وكيف تم تطبيقها لتقديم عمارة إسلامية معاصرة تناسب تطلعات الإنسان المعاصر ضمن حدود وإمكانيات العصر وتتفق مع الحياة الإسلامية والمنهج الإسلامي القويم.

المنهج والأساليب ومصادر المعلومات :

سنعتمد في هذا البحث على منهج تحليلي للتعرف على مفهوم العمارة الإسلامية ومدى علاقتها بالحركة العالمية للعمارة وإلقاءالضوء على الاتجاهات التعبيرية والتصميمية لبعض رواد العمارة والإسلامية المعاصرة ودورهم في صياغة نمط معماري خاص بكل منطقة في العالم العربي من خلال التعرف على بعض المشروعات التي قدمها هؤلاء ضمن هذه التوجهات. أما مصادر المعلومات فسوف يتم الاعتماد على مجموعة من المراجع والكتب والأبحاث التي تناولت هذا الموضوع.

الفرضيات :

إن الالتزام بالمنهج العلمي في البحث يقتضي وضع الفرضيات العلمية إبتداءاً لأن الفرضيات هي التفسيرات المبدئية للظاهرة المدروسة، أما الافتراض الأساس في هذا البحث إن هناك دعوات ومحاولات جادة في العالم العربي تريد العودة إلى أصولها وجذورها الإسلامية المعمارية بعد أن فقدت العمارة في كثير من أقطار العالم العربي هويتها وأصالتها نظراً للتقليد الأعمى لعمارة الغربي والتي لا تتفق مع قيم ومبادئ المجتمع الإسلامي، فكانت هناك اتجاهات تبناها بعض رواد العمارة الإسلامية لتقديم عمارة إسلامية معاصرة.

ولهذا فإن مجال البحث سوف يقتصر في التعرف على هذه الاتجاهات لرواد العمارة الإسلامية المعاصرة وإثبات أو نفي مدى تطبيقها في عالمنا العربي والإسلامي لتقديم عمارة إسلامية معاصرة تناسب تطلعات الإنسان المعاصر دون إغفال لحضارة الأمس وعراقتها.

المقدمة :

لم تكن العمارة الإسلامية في الدول العربية في منأى عن التغيرات والتحولات التي حدثت للعمارة الحديثة التي غزت العالم العربي، فتدفقت الاتجاهات والفلسفات إلى المنطقة وأصبحت العمارة فيها نسخاً لما في أوروبا وأمريكا بعدما أصبحت المنطقة حقلاً للتجارب لهذه الفلسفات والاتجاهات التي لا تتفق مع قيم وتقاليد مجتمعاتها، وقد واكب ذلك ظهور جيل جديد من المعماريين فيالوطن العربي ممن حاولوا العودة إلى أصولهم وتراثهم المعماري العريق وذلك بمحاولة التوفيق في أعمالهم بين أساليب العصر الحديثة وبين قيم وثوابت

المجتمع الذي يعيشون فيه إضافة إلى واقعهم الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، وقد أثبت هؤلاء في كثير من الأحوال قدرتهم على تفهم أساليب واتجاهات العمارة ما بعد الحديثة وأفادتهم كثيراً التعددية التعبيرية لهذه العمارة في صياغة نمط معماري خاص بكل منطقة في العالم العربي وأثبتوا بذلك أن العمارة الإسلامية ليست حركة انعزالية عن ركب التطور العالمي بل هي إثراء لها ونبع صلف لنا وللأجيال القادمة بإذن اللّه.

أول هذه الاتجاهات هو الأصالة وحتمية العودة إلى الماضي وتطبيق عمارته بأصولها وثوابتها دون تغيير أو تبديل، يدفع أصحاب هذا الاتجاه حنين إلى الماضي بكل ما يحمله الماضي من روح التاريخ وأصالة الحضارة، فهو موروث اجتماعي وحضاري يجب توريثه للأجيال القادمة جيلاً بعد جيل ولا يجوز التفريط فيه بسهولة أو التخلي عنه جملة واحدة تحت دعوى التقدم أو المعاصرة، وإتجاه آخر يرى ضرورة العودة إلى الماضي والاستفاد منه وتطبيقه ضمن حدود ومعطيات وإمكانيات العصر، وهو في مفهومه المعماري دعوة إلى الاستفادة من العمارة المحلية أو التقليدية بكل قيمها ومبادئها وتطبيقها في عمارتنا الحديثة، أو بمعنى آخر محاولة صياغة التراث المعماري بشكله ومضمونه مع استخدام إمكانيات وتقنيه العصر دون المساس بالقيمو المبادئ المتعارف عليها وفق تعاليم وقيم الإسلام الحنيف. ولابد من التوضيح أن أصحاب هذا الاتجاه أو هذه (الدعوة) يؤكدون أن هذه الدعوة ليست دعوة إلى تقليد الماضي أو النقل الصريح لعمارته أو تبسيط عناصره، ولكنها دعوة إلى تأصيل روحه وفلسفته وهي لهذا تحتاج إلى دراسة متعمقة ليست فقط لعناصر ومفردات الشكل الخارجي للمباني التقليدية (أو ما يعرف بالشكل) ولكنها دراسة للمتطلبات الوظيفية والإنسانية والاجتماعية التي تقرها وتحددها التعاليم والقيم الإسلامية (أو ما يعرف بالمضمون)، حيث أن الشكل هو التعبير المتغير والذي يمكن تطويره باستخدام التقنيات الحديثة مع الاستعارة من مفردات الماضي لإعطاء هوية وشخصية المكان، ولهذا فهي دعوة إلى إبداع عمارة حديثة ذات أصالة (منتمية) ضمن معطيات واحتياجات العصر دون رفض للماضي لتقديم عمارة منتمية ومعاصرة. . عمارة لاتخسر سمات وملامح الأمس بكل ما يحمله من جذور حضارية وتربط الإنسان المعاصر بمجتمعه وتاريخه فتحفظ له هويته وأصالته.

أم الاتجاه الآخر الذي هو أكثرها تأثيراً ورواجاً (المعاصرة) أو الحداثة، وهي دعوة إلى التحرر من القديم أو الدعوة كما يسميها أصحابها إلى (الواقعية المعمارية) حيث استحالة العودة إلى الماضي وإيقاف عجلة الزمن، فأصحاب هذه الاتجاه يرون أنه لابد من تجاوز الماضي وتخطيه وعدم الإلتفات إليه، يدفعهم إلى ذلك ما يرونه من تقدم هائل في مجال العمارة عالمياً، فضلاً على التطور التقني السريع، وتلك القفزات السريعة والمتلاحقة في عالم الإنشاء والتي ساهمت في تقديم عمارة حديثة إنبهر بها الكثيرون خاصة أنها أسهمت في التغلب على كثير من المشاكل المعمارية والإنشائية التي عجزت عنها المواد التقليدية، لهذا فهي دعوة من أصحاب هذا الاتجاه إلى معماري اليوم أن يواكب هذا التقدم ويأخذ به وأن يتحمل مسئوليته من تقديم إبداع معماري يناسب إنسان العصر وتطلعاته نحو عمارة أفضل تفي إليه، ويجدر بنا أن نوضح أن بعض أصحاب اتجاه المعاصرة قد جنح في توجهه إلى ما يمكن تسميته «اللامعقول» وهو اتجاه استخدم فيه أسلوب الرمزية للتعبير عن أفكار ومبادئ في

العقل الباطن للمصمم وفي كثير من الأحيان يتطور إلى أسلوب يمثل نوع من الشطط سواء في الفكرة المعمارية أو شكل المبنى، حيث لا يتقيد المصمم بنظريات الوظيفية أو الانتفاعية، وإنما يلجأ إلى استعراض للشكل في تحدي للمألوف يساعده في ذلك مواد البناء الحديثة وإمكانياتها اللامحدودة في تقديم أشكال وتكوينات لم يكن يتصور أحد إمكانية إنشاءها في الماضي، وهذا الاتجاه يجده البعض في العالم العربي خاصة الذين أبدوا إعجابهم وإنبهارهم بالحضارة الغربية أنه الوسيلة (للتغريب) واتباع أسلوب ونمط الحياة الغربية والانفصال عن قيم ومثل المجتمع الذي يعيشون فيه!!.

وبين هؤلاء وهؤلاء محاولات أخرى تقترب تارة وتبتعد تارة أخرى، ولكنها في كل حالة تطلعات ومحاولات للحفاظ على تراث يضرب في عمق التاريخ لحضارة تبوأت هامة المجد لقرون طويلة، يجعل من الحفاظ عليها ضرورة ملحة وإحياؤها توثيق ورباط بين الأمس واليوم لايمكن أن تنفك عراه بإذن اللَّه.

وقد تبلورت هذه الاتجاهات والمحاولات في عدة نقاط أصبحت كمداخل تصميمية وتعبيرية للعمارة الإسلامية المعاصرة وهى:

- الاتجاه التقليدي «المحلية القديمة» وفي هذا الاتجاه يكون المبنى معبراص عن الأصالة باستمرار الطابع القديم.
- الاتجاه التقليدي المحسن «المحلية الجديدة» وذلك بتحسين مواد البناء مع الاستمرار في استخدام الطابع القديم.
- اتجاه الانتماء إلى طراز إسلامي في عصر من العصور الإسلامية (الطراز الإسلامي الحديث).
- اتجاه الجمع بين الحداثة والأصالة «الانتماء والمعاصرة» ويكون ذلك من خلال محورين أحدهما يميل نحو المحلية والآخر نحو التاريخية.
- الاتجاه نحو المعاصرة الكاملة وإغفال كل ما هو قديم من خلال تركيبات وتشكيلات جديدة.

هذا وقد تحمس لكل مدخل من هذه المداخل بعض من رواد العمارة الإسلامية المعاصرة الذين قدموا أعمالاً تعبر عن أفكارهم وتوجهاتهم، والبحث المقدم يوضح هذه الاتجاهات التصميمية والتعبيرية لرواد العمارة الإسلامية المعاصرة وكيف تم تطبيقها في العالم الإسلامي لتقديم عمارة تناسب تطلعات الإنسان المعاصر ضمن حدود ومعطيات وإمكانيات العصر دون رفض أو إغفال الأصالة وعراقة الأمس بكل ما يحمله من جذور تربط الإنسان المعاصر بحاضره الذي يعيش فيه وتتفق مع الحياة الإسلامية والمنهج الإسلامي القويم.

مفهوم العمارة الإسلامية:

هو اصطلاح معماري استعمل في داخل العالم الإسلامي وخارجه للدلالة على العمران في البلاد التي دخلها الإسلام وحكمها حكام المسلمون، ويشمل العمران والتخطيط والعمارة ومعالجة الفراغات الداخلية والخارجية، والجدير بالذكر أن العمارة الإسلامية ليست من إنتاج مكان محدد أو شعب معين ولكنها نتاج حدث تاريخي كبير وهو الفتوح الإسلامية لبلاد مختلفة. فقد كان انتشار الإسلام واتساع عالمه في الأراضي الشاسعة التي دخلها حدثاً فريداً لايكاد يكون له نظير في التاريخ من حيث السرعة التي التي تم بها والقدرة على

توحيد تلك المجتمعات واندماجها في دولة واحدة، وامتزاج شعوبها في حضارة جديدة استطاعت أن تحوي في ثناياها كل تراث الحضارات السابقة واسهمت فيها ملكات كل تلك الشعوب، ونتج عن ذلك اندماج منهج حياتي واحد مع طرز محلية في ظروف متعددة ومختلفة، فلم يكن للمسلمين الأوائل طراز معماري محدد لفرضه على تلك الشعوب كما حدث في الإمبراطورية الرومانية حيث فرض الرومان طرازهم المعماري في جميع أنحاء الإمبراطورية دون اعتبار لاختلاف البيئة أو المناخ، وذلك تأكيداً لسيادتهم على تلك الشعوب فكان الطراز الروماني في لبنان هو نفسه في ليبيا أو فرنسا، ولم يكن لهذه الشعوب أي إسهام أو مشاركة في تشكيل الكيان العمراني ولم يكن أمامهم إلا تنفيذ ما تفرضه الحضارة الرومانية عليهم وتجاهل الرومان ما كان لهذه الشعوب من حضارة قبل الغزو الروماني.

وبعكس ذلك أتاحت الفتوح الإسلامية لشعوبها إزاحة ستار القهر عنها وأصبحت حرة في اختيار ما يناسبها من وسائل الحياة في حدود الشريعة الإسلامية السمحة، حيث حكمها الإسلام بمنهج القرآن الروحي والحسي لتأخذ طريقها الصحيح واتجاهها السليم فاستطاعت الدولة الإسلامية أن تقدم للعالم مشروعاً حضارياً ليس له مثيل، وقد بدأ هذا المشروع الحضاري مع نشأة دولة الرسول ﷺ في المدينة المنورة، وبمرور الزمن أخذ هذا المشروع الحضاري ينمو ويقوي فاستوى على سوقه بعد ما يقرب من أربعة قرون بلغت خلالها حضارة المسلمين قمة المجد وذروة التقدم في ذلك الوقت، وغدا العالم الإسلامي بعد الاستقرار في مختلف الجوانب دعائم عمران هذه الأمة يضم العديد من مراكز الاشعاع الحضاري كالمدينة المنورة ومكة المكرمة والبصرة وبغداد والكوفة ودمشق والقاهرة وقرطبة وغرناطة والقيروان وتونس وفاس ومراكش وبخارى وسمرقند وغيرهم من الحواضر التي أنارت بضوئها الحضاري وعمرانها العالم كله، في وقت كان يغيب ذلك عن أوروبا التي كانت تعيش في ظلام وجهل وضلاله.

هذا وقد نشأت هذه المراكز الحضارية نتيجة لحرية الشعوب في البناء والتعمير كل على قدر الإمكانيات المتاحة ومنها مواد البناء المحلية، والمهارات الهندسية والحرفية للسكان، وتجارب هذه الشعوب السابقة في الإنشاء والتعمير، والعوامل المحلية من مناخ ومستوى معيشة للأفراد، والطابع البيئي لكل منطقة ثم الإنفعال الجمالي والزخرفي لدى هذه الشعوب، فقد انطلق الحرفي والفنان المسلم لإظهار مهاراته التعبيرية والجمالية في إبداع تشكيلات وكيانات أساسها عناصر الإنشاء من عقود وقباب، وتم استعمال الأسقف المسطحة والمائلة واستعملت النافورات والحدائق، وكان للزخارف اهتمام خاص فقد تطورت وتعددت أشكالها وتنوعت عناصرها على أساس المربع والمثمن والمسدس واستعملت في الستائر الخشبية والمشربيات لإعطاء الخصوصية والجمال لواجهات المباني الداخلية والخارجية.

ولقد تميزت العمارة الإسلامية في كثير من المدن الإسلامية القديمة بأنها كانت قادرة على الوفاء باحتياجات المجتمع، وبأنها كانت انعكاساً لمستوى الناس الاقتصادي والاجتماعي، كما أنها عمارة وظيفية تستخدم المواد المحلية المتوفرة، وأنها ليست جامدة كعمارة الطرز الرومانية والإغريقية، ولكنها عمارة ذات ابتكار وأصالة

ومتنوعة في نفس الوقت تعكس دائماً البساطة والجمال، وكان لمرور الزمن أثر واضح في تأكيد الشخصية المحلية للعمارة الإسلامية باسمها العام مع إضافة الصفة المحلية، فهناك العمارة الإسلامية في الأندلس أو في مراكش، وكان من الممكن إضفاء الصفة الزمنية على عمارة المكان الواحد، ففي مصر مثلاً هناك العمارة الإسلامية الطولونية والفاطمية والأيوبية والمملوكية والعثمانية، وقد أتاح هذا التنوع المكاني والزماني للعمارة الإسلامية إنتاجاً متنوعاً من الأشكال والعناصر المعمارية والزخارف مما يصعب حصره.

أما من ناحية التخطيط العمراني - فباستثناء أمثلة محددة من البلاد التي وضع لها تصميم هندسي مسبق مثل مدينة بغداد- فقد نمت المدن بعدذلك حول قصر الحكم نمواً تلقائياً مع المحافظة على المقياس الإنساني ومراعاة القيم الإسلامية في الحركة والجوار، ولهذا تميزت المدينة الإسلامية القديمة بأنها ذات عمران متجانس وكثافات سكانية مرتفعة ومبان قليلة الأدوار، تمثل الحديقة الداخلية أو الحوش السمة البارزة فيها، كما أن بيوتها جاءت متلاصقة وشوارعها ضيقة ومظللة طوال اليوم وهي مسدودة النهاية وكان ذلك تجاوباً مع الشريعة الإسلامية واحتياج المناخ، وكان لارتفاع دراوي المباني - تحقيقاً لمبدأ الخصوصية- دور في الإيحاء أن الشكل الخارجي للمسكن ذي الدور الواحد بأنه دوران.

لكن ما هو واقعنا الآن؟ وما هو واقع العمراني في مدننا العربية والإسلامية؟

إن الأمة الإسلامية عندما خرجت عن إطار مشروعها الحضاري فقدت حضارتها التي بهرت بها الدنيا وفسد عمرانها ولم يبق لها من المشروع الحضاري إلا المظهر، وفقدت المضمون فها هي مدننا العربية والإسلامية تعاني من اضطرابات عضوية تقعدها عن تأدية وظائفها الحضارية، فقد أصبحت المدينة عبارة عن كتل من المباني المتلاصقة التي هي نسخ لعمارة الغرب وتقليد محاكاة لنماذج من المدن الغربية وهي لهذا صورة مشوهة لمدن الحضارة الغربية، وهي كذلك إفراز طبيعي لمجتمعات مقلدة للغرب في كثير من جوانب حياتها ويأتي العمران في مقدمتها.

لقد شوهت مدننا العربية والإسلامية بما نقل إليها من عمارة غريبة عنها بعد أن عاشت لفترات طويلة محافظة على هويتها وتراثها المعماري الفريد، ولهذا كانت الدعوة أن نحافظ على تراثنا المعماري وأن نبتعد عن الفوضى المعمارية، وهذا هو التحدي الحقيقي بأن نقرأ الماضي لنستفيد منه ونأخذ من الحاضر لنواجه عصرنا الذي نعيش فيه ونعمل لمستقبل يريد منا الكثير، وبهذا نستطيع أن نوفر بيئة معمارية ترتبط بتراثنا العريق، ولكنها ليست دعوة إلى الاقتباس من المفردات التشكيلية التراثية مجردة من المضمون، أو مجرد تمسح بالماضي وتظاهر بالأصالة من أفراد يعيشون بفكر الغرب وفلسفاته في جميع جوانب حياتهم، ولكنها عودة إلى القيم والمبادئ والمفاهيم الإسلامية الرفيعة.

العمارة الإسلامية والحركة العالمية للعمارة:

أخذت العمارة الإسلامية في العالم العربي والإسلامي أثراً واضحاً في تأكيد الشخصية المحلية، حيث كانت

المحلية هي محصلة حركة المجتمع على مدى العمق الزماني لحل مشاكل الإيواء والبناء بمهارات وانفعالات ذاتية نتيجة ظروف بيئية ومناخية وإنسانية وإمكانيات محلية أدت إلى ظهور ملامح مميزة وطابع محلي خاص، وقد أتاح هذا التنوع المكاني والزماني للعمارة الإسلامية إنتاجاً متنوعاً من الأشكال والعناصر المعمارية التي تأثرت بطرق التشييد ومواد البناء فضلاً عن اختلاف الأمزجة والذوق المعماري والتفاوت الثقافي والانفعالات الجمالية المتباينة لدى هذه الشعوب.

وكانت الحياة الانعزالية نسبياً لبعض المجتمعات الإسلامية وتطورها ذاتياً بعيداً عن الحضارات الآخرى سبباً في تطور العمارة لكل منها بطريقة مختلفة مما أظهر تبايناً كبيراً في الشكل والتصميم والزخرفة، ولكن عدما بدأت أماكن كثيرة في العالم الإسلامي تتعرض للغزو الخارجي سواء كان عسكرياً أو ثقافياً أنعكس هذا على جوانب الحياة الاجتماعية والثقافية والعمرانية، ودخلت تبعاً لذلك الاتجاهات المعمارية الوافدة التي حملت معها أساليب جديدة في البناء وأنماطاً وفلسفات غريبة لا تتفق مع ثقافة وحضارة هذه الشعوب، وكان لهذا الغزو الخارجي أثره الواضح على ملامح العمارة حيث كان الانبهار بعمارة الغرب قد سيطر على أفكار المشتغلين بالعمارة في كثير من الدول العربية والإسلامية، وكانت الدراسة الأكادينية في كثير من الجامعات العربية قد أخذت على عاتقها محاربة ونبذ كل ما هو قديم والاتجاه إلى كل ما هو حديث، حيث المواد الجديدة ببريقها وتكنولوجيا البناء الحديثة وما أمكن أن يتحقق بالخرسانة المسلحة مما عجزت عنه المواد التقليدية وكذا المواد الأخرى، ولهذا أصبحت العمارة في كثير من دول العالم الإسلامي نسخاً لما في أوروبا وأمريكا وتحولت العمارة إلى خليط عجيب كادت معه أن تفقد هويتها وأصالتها في كثير من الأقطار، حيث وجدت أكثر المكاتب الاستشارية العالمية في كثير من الدول العربية حقلاً للتجارب فقدمت كثير من الأفكار والفلسفات المعمارية التي لا تتفق بأي حال من الأحوال مع ثقافة هذه الشعوب وقيمها ومبادئها، وكان الأمر الأكثر غرابة أن كثيراً من المكاتب المحلية سلكت نفس الطريق حيث كان أكثر العاملين فيها من الغرب الذين يغفلون عن عمد أو جهل قيم ومباديء وثقافات شعوب المنطقة الإسلامية وأصبح دور المعماري المسلم أحياناً دوراً هامشياً وكثيراً ما كان مقلداً دون وعي أو تفكير ففقدت بذلك العمارة في كثير من الأقطار الإسلامية هويتها وأصالتها.

ثم جاءت العمارة «ما بعد الحديثة» بإتجاهاتها المختلفة لتغزو العالم الإسلامي كما فعلت العمارة الحديثة ولتفتح كثير من البلاد العربية والإسلامية أبوابها لها دون قيد أو شرط، وقد تزامن هذا الحدث مع ظهور جيل جديد من المعماريين في المنطقة العربية ينادون بالعودة إلى أصولهم وتراثهم المعماري فاستطاعوا أن يتفهموا في أغلب الأحوال أساليب واتجاهات العمارة ما بعد الحديثة التعبيرية لهذه العمارة في صياغة نمط خاص لكل منطقة قائم على احترام وتأصيل القيم العمرانية والتراثية والإسلامية والأخذ بأسلوب العصر وتقنيات البناء الحديث، وذلك بعد أن تبين لهؤلاء المعماريين في المنطقة العربية ينادون بالعودة إلى أصولهم وتراثهم المعماري فاستطاعوا أن ينفهموا في أغلب الأحوال أساليب واتجاهات العمارة ما بعد الحديثة وأفادتهم التعددية التعبيرية لهذه العمارة في صياغة نمط خاص لكل منطقة قائم على احترام وتأصيل القيم العمرانية والتراثية والإسلامية

والأخذ بأسلوب العصر وتقنيات البناء الحديثة، وذلك بعد أن تبين لهؤلاء المعماريين أن العمارة تعيش مرحلة التعددية التعبيرية وأنه ليس هناك أسلوب واحد يمكن أن يفرض نفسه كما فرضت العمارة الدولية نفسها لفترة من الزمن لأن ذلك يستوجب السببية والعقلانية وهو ما أستقر عليه الأمر في فلك الاشتباك بينهما وبين المعماري، بعد أن كثر الجدال بين بعض المعماريين في المدخل الصحيح للتصميم المعماري وتعصب بعضهم لاتجاه دون الآخر وادعاء بعضهم أن طريقته هي الطريقة المثلى.

ولئن كان الغرب قد عاد إلى أصول الحضارتين اليونانية والرومانية فإن عودتنا إلى أصولنا الإسلامية أحق وأولى حيث أنها ليست عودة مزاجية ولكنها عودة إلى قيم الحياة الرفيعة، ومن هذا يتضح أن العمارة الإسلامية ليست حركة انعزالية عن ركب التطور العالمي بل هي إثراء لها ونبع صاف لنا وللأجيال القادمة بإذن اللّٰه.

العمارة الإسلامية والجانب الموضوعي والتعبيري:

كانت العمارة دائماً حلاً متوازناً بين الجانب الموضوعي «الإنشاء والانتفاع» والجانب التعبيري أو التشكيلي، فمن الناحية الموضوعية تهدف العمارة الإسلامية إلى تشكيل البيئة الإنسانية في تجمعات سكنية ومبان عامة وأسواق وساحات ومرافق بما يساعد الإنسان المسلم على الانطلاق في الحياة بما يتفق مع المنهج الإسلامي للحياة. ﴿**الذي جعل لكم الأرض مهداً وجعل لكم فيها سبلاً لعلكم تهتدون**﴾. الزخرف (١٠)

أما من الناحية التشكيلية فعندما دخل الإسلام المدن والأمصار والممالك دخل معمراً ولم يدخل مدمراً، وقد شجع الإسلام المسلمين على الأخذ بأسباب الحياة والحضارة مادامت لاتتعارض مع تعاليم الدين الإسلامي وتشريعاته الإلهية. ﴿**قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون**﴾. الأعراف (٣٢)

وبعد أن استبعد المسلمون كل الملامح المتعارضة مع الإسلام مثل التماثيل الآدمية والحيوانية إلى غير ذلك مما يخالف تعاليم الإسلام، استمر ركب الحضارة من وسائل البناء والتعمير وتمت وترعرعت العمارة على مدى السنوات والقرون في أقطار المسلمين من الهند إلى الأندلس وأصبح لها شخصية عامة مميزة وطابع محلي في كل بلد من البلدان الإسلامية مكوناً حصيلة هائلة من الإبداع المعماري، حيث وصل المسلمون إلى تعبير جمالي بالعقود والزخارف إلى مستوى إبداعي لا مثيل له في أي حضارة من الحضارات، وهذه الحصيلة الهائلة من الحضارة الإسلامية الرائدة هي أصول وجذور ترعرعت وازدهرت لقرون طويلة معبرة عن قمة الإبداع والجمال وصدق التعبير، وهي رصيد من الفهم والمعرفة لابد من استثماره كموروث حضاري لايمكن تجاهله أو الابتعاد عنه، وتعتبر كذلك مداخل تصميمية وتعبيرية لعمارة إسلامية معاصرة تواكب النهضة العمرانية العالمية والتقدم العلمي في جميع جوانب الحياة وفق تعاليم إسلامية يحكمها منهج رباني عظيم.

الاتجاهات التصميمية والتعبيرية لرواد العمارة الإسلامية المعاصرة:

رغم أن الهجمة المعمارية الشرسة التي تعرضت لها العمارة الإسلامية في جميع بلاد المسلمين قد أفسدت

العمران فيها وجعلت العمارة صورة مشوهة لعمارة الغرب، إلا أنها أيضاً ساهمت في إيجاد وعي معماري حيث تدارك المشتغلين بالعمارة خطورة ذلك على تراثهم المعماري الأصيل، وما يترتب على ذلك من ضياع لهذا التراث وفقدان للهوية، فكانت الدعوات في كثير من بلاد المسلمين تطالب بالعودة إلى قيم ومبادئ العمارة الإسلامية فتعددت الاتجاهات والمحاولات لتقديم عمارة إسلامية نابعة من أصولها وقيمها دون إغفال لما توصل إليه العلم من مواد وأساليب بناء جديدة فكانت هذه المداخل والاتجاهات التي تحمس لكل منها بعض رواد العمارة الإسلامية المعاصرة.

الاتجاه التقليدي «المحلية القديمة»:

مما لاشك فيه أن الداعون إلى هذه الاتجاه تغلب عليهم النوازع الرومانسية فهم مشدودون إلى القديم بكل ما يحمله من روح التاريخ وأصالة الحضارة كموروث إجتماعي وتراث عمراني عريق حيث يرون أن من واجبهم المحافظة عليه وتوريثه للأجيال القادمة جيلاً بعد جيل، والتصميم في هذا الاتجاه يكون بنفس الملامح والمواد وطرق الإنشاء والنهو الموروثة عن الأجداد ونقلتها تجارب الإنسان عبر القرون والأزمان، فمواد البناء المستخدمة هي «الطين والأحجار والأخشاب» وأساليب البناء «بالقبو والقباب والحوائط الحاملة» وهي لهذا تؤدي إلى إيجاد مبان منتمية ومكاملة مع البيئة المحلية مع إبراز الشخصية المحلية في البناء، كما أنها تحقق كل المتطلبات المعيشية للإنسان وظيفياً ومناخياً ولكن بالطرق التقليدية بعيداً عن وسائل العصر وما تفرضه التكنولوجيا المتطورة من مواد وطرق إنشاء حديثة، ولاشك أن أصحاب هذا الاتجاه يظهرون إعجابهم بما أمكن التوصل إليه من أساليب عملية وطرق مناسبة للتعامل مع مواد البناء المحلية التي توارثوها عن الأجداد وإمكانية الاستفادة من هذه الأساليب والتشكيلات المعمارية بما يناسب العصر الذي يعشون فيه وبما يحقق نسيجاً معمارياً ينسجم كلياً مع ما حوله من المباني القديمة من حيث المقياس الإنساني والشكل.

ومن أهم المعماريين المعروفين بإتجاههم في إحياء المحلية القديمة نذكر المعماري حسن فتحي الذي يعد أباً من رواد المحلية عالمياً والذي دافع لسنين طويلة عن رأيه حيث كانت هنك معارضة كبيرة له وهوجم في كثير من أعماله على أساس أن هنك مواد جديدة وأساليب تكنولوجية جديدة في البناء وليس هناك ضرورة إلى العودة إلى الماضي أو ما هو قديم، ولكنه صمد أمام كل هذا وظل ثابتاً على رأيه وقد نال تقديراً عالمياً حتى قلده الغرب كأفضل معماري في العالم قبل وفاته وأصبح بعد ذلك واحداً من رواد الاتجاه التقليدي في عمارة ما بعد الحديثة التي استوعبت الكثير من الاتجاهات واتسع المجال لكثير من الأفكار بعد أن كانت في إتجاه واحد (العمارة الدولية) ولفترة طويلة.

ومن أهم المشروعات في هذا الاتجاه قرية في صعيد مصر التي بناها المعماري حسن فتحي في الأربعينات من القرن العشرين بطرق بناء عمرها آلاف السنين وأعاد من جديد البناء بالطوب اللبن (غير المحروق) في تشكيلات جمالية من الأقبية والقبوات (شكل ١) والنتيجة عمارة محلية متميزة تختلف عما تقدمه عمارة الحديد والزجاج (العمارة الملساء).

ومن المشروعات أيضاً للمعماري حسن فتحي قرية باريز (مصر) التي تقع على بعد ٩٠كم من عاصمة الواحات الخارجية، وفي هذه القرية استخدم المصمم الطوب اللبن أيضاً في بناء الحوائط والقبوات والعقود وحقق بذلك تكوينات وكتل معمارية متناسقة ومنسجمة ذات قيم جمالية عالية (شكل ٢) ورغم أن القرية لم تكتمل حيث تم بناء بعض المباني السكنية ومبنى إداري وجزء من السوق التجاري إلا أن ما تم من القرية يبين بوضوح الاتجاه نحو المحلية القديمة.

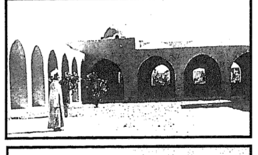
هذا بالإضافة إلى مجموعة أخرى من الأعمال التي قدمها حسن فتحي في هذا الاتجاه في مصر وخارجها خاصة في السعودية بمنطقة الدرعية والتي استخدم فيها الأحجار كمادة بناء بدلاً من الطين، وكذا بعض الأعمال في الولايات المتحدة الأمريكية بولاية نيومكسكو.

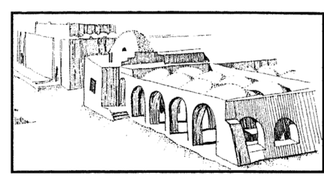
وعلى نفس الطريق تقريباً سار المعماريان «الأخوان المنياوي» في الجزائر في محاولتهما البحث عن عمارة إسلامية محلية فقد وضعا منهجاً للعمل في حل مشكلات المأوى يتلخص في استخدام مواد البناء البيئية وطرق الإنشاء المتوفرة وتحقيق الخصوصية للمسكن بتوفير الأفنية الداخلية أو باستخدام الشرفات التي تضمن الخصوصية عن طريق الاتجاه بها إلى الداخل أي إلى قلب الوحدة السكنية بدلاً من إمتداها إلى الخارج، إضافة إلى مراعاة القيم الاجتماعية والسلوكية التي يحض عليها الإسلام سواء في حركة الأسرة للوصول إلى الوحدات السكنية أو في الحفاظ على خصوصيتها أثناء هذه الحركة ويظهر ذلك في أحد مشروعات الإسكان في مسيله بالجزائر.

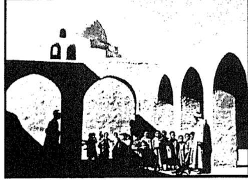
ويجب الإشارة إلى أن معظم المعماريين المهتمين والمتحمسين إلى إعادة إحياء المحلية القديمة ليسوا من مهندسي العمارة الحديثة أي ليسوا من الذين تمرسوا فيها وقدموا أعمالاً ذات أهمية، ومع ذلك فقد كان لهم تأثير كبير على مهندسي عمارة ما بعد الحديثة، (المعماري حسن فتحي وأثره على عبد الواحد الوكيل) ودفعوا تلك العمارة إلى مزيد من استخدام الأنماط التقليدية والأشكال التاريخية بحرفيتها وقدموا أعمالهم كمقياس أو كمعايير ذات قيمة يمكن على أساسها قياس الأعمال المبتكرة في هذا الاتجاه.

الاتجاه التقليدي المحسن (المحلية الجديدة):

يكون التصميم في هذا الاتجاه مثل سابقه ويختلف فقط بإدخال بعض التحسينات على مواد الإنشاء ومون البناء مثل الأسمنت دون الإخلال بجوهر المظهر المعماري والمقياس الأنساني، أو باستعمال الطوب المفرغ والمصنع بتكنولوجيا حديثة ومن قادة هذا الاتجاه المعماري عبد الواحد الوكيل الذي يعتبر من رواد هذا الاتجاه عالمياً فهو يربط التأصيل بالإلتزام بالتكوينات والمقومات المعمارية التقليدية، أي محاكاة الأشكال والعناصر المعمارية التقليدية الموروثة عن الماضي (أشكال المداخل، المآذن، القباب، المشربيات..) وهو بهذا قد اختار الطريق الأسهل في مخاطبة ذهن الإنسان العربي الذي ألف مشاهدة هذه العناصر والأشكال في بيئته العمرانية التقليدية مما يجعل هذا الأنسان - في رأيه - يشعر بالتواصل والانتماء التاريخي حين رؤيته لها. وأحياناً يلجأ

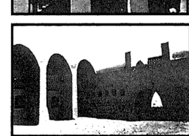




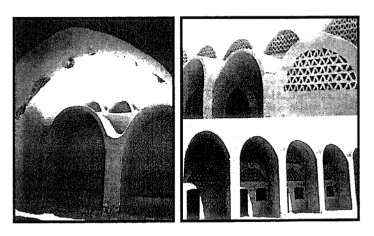


(شكل ١)

قرية القرنة (صعيد مصر) والتي بناها المعماري حسن فتحي بطرق بناء عمرها آلاف السنين، حيث أعاد من جديد البناء بالطوب اللبن «غير المحروق» في تشكيلات جمالية من الأبية والقبوات .







(شكل ٢)

قرية باريز (مصر) من أعمال المعماري حسن فتحي، الذي استطاع استخدام مادة الطين في عمل تكوينات وكتل معمارية متناسقة ومنسجمة مع البيئة المحيطة، حيث جاءت في أشكال هندسية ذات قيم جمالية عالية .

الوكيل إلى استخدام هذه العناصر بطريقة معاصرة فيستعملها ببساطة وتجديد كما أنه يستعمل طرق البناء والإنشاء التقليدية للتعبير عن الشخصية المحلية وإعطاء نوع من الاستمرارية الحضارية.

وقد بدأ الوكيل أول أعماله والتي نال بها شهرة عالمية ببناء «مسكن حلاوة» بالعجمي (الاسكندرية) ١٩٧٥م حيث نال على ذلك جائزة الأغاخان للعمارة عام ١٩٨٠م وقد ظهر في هذا المسكن تأثره الواضح بأستاذه حسن فتحي (شكل ٣) باستعمال القباب والقبوات وبنائها بالحجر وبالطرق التقليدية.

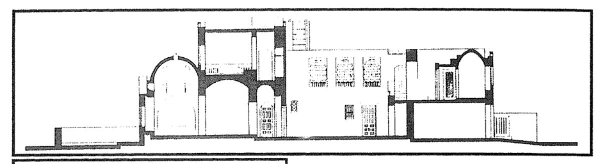
ثم قال الوكيل بتصميم فقصر السليمان بجدة بالمملكة العربية السعودية (شكل ٤) ولكنه تعرض فيه للنقد بسبب استخدامه في إنشاء القصر طرق ومواد البناء التقليدية التي طورها حسن فتحي عن العمارة المحلية في صعيد مصر والنوبة وطالب باستخدامها في عمارة الفقراء، وكان رده على هذا النقد أنه أراد أن يعطي المثل لعامة الشعب السعودي عن إمكانيات العمارة الإسلامية المحلية، حيث كانت القصور في الحضارة الإسلامية هي المثل الذي يحتذى، وهذا المفهوم يتفق مع ما يطالب به إتجاه إحياء العمارة التاريخية في عمارة ما بعد الحديثة، بإيجاد لغة تخاطب في شكل مفردات معمارية يفهمها الشعب وتذكرهم بالماضي، أما عن استخدام أسلوب بناء تقليدي محلي من (مصر) ونقله إلى السعودية، فكان رده بأن المحلية يمكن أن تتسع لتشمل الإقليمية (دول متجاورة) وأن هذا إثراء للعمارة المحلية السعودية وإعطاؤها قوة ديناميكية مؤثرة من عمارة أخرى مجاورة بدلاً من حالة الثبات (بتكرار نفس الأسلوب).

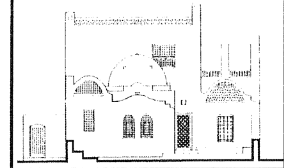
وقد ارتبط اسم الوكيل بتصميم وعمارة المساجد بالمملكة العربية السعودية خلال عقد الثمانينات ولايزال، ويرجع هذا الارتباط إلى نجاح الوكيل في استخدام عناصر ومفردات من الطرز الإسلامية الكلاسيكية في تكوين تركيبات وتشكيلات جمالية لمساجده واستخدامه طوب التراكوتا الأحمر (الطفلى) كمادة أصيلة مطورة تكنولوجيا وبأسلوب بناء تقليدي عمره مئات السنين.

وكانت أهم بدايات الوكيل في السعودية هي مسجد السليمان بجدة (حوالي ١٠٠٠ مصلى) حيث تم الانتهاء من بناءه عام ١٩٨٠م، وكانت أول تجربة في إعادة دمج التصميم والمواد التقليدية مع هندسة المساجد المعمارية المعاصرة، حيث تم بناء قباب المسجد من الطوب الطفلى بالطريقة التقليدية للبناء في «النوبة» وبدون استخدام فورم، مع استخدام الخرسانة المسلحة في الأعمدة والكمرات والبلاطات المسطحة للسقف.

وقد أنشئت مئذنة المسجد على الطراز المملوكي (السلطان قايتباي) مع تغيير في بعض الملامح وتبسيط في الزخارف، واستخدمت المقرنصات في تزيين بعض الملامح وتبسيط في الزخارف، واستخدمت المقرنصات في تزيين شرفاتها، وبهذا استطاع الوكيل أن يتجنب أسلوب «نقل الطراز» وإنما الاستفادة من المفردات في إعادة الصياغة والتشكيل.

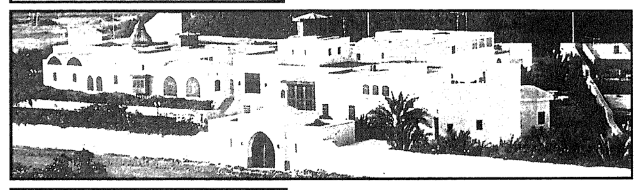
وقد اتبع الوكيل مسجد السليمان بعدة مساجد صغيرة على كورنيش جدة (مسجد الجزيرة، مسجد الكورنيش، مسجد الرويس) بنيت جميعها بالطرق التقليدية للحوائط الحاملة والقبة والقبو ومن طوب التراوتا الأحمر (الطفلى) القابل لتحمل الضغط، وقد روعي في تصميمها إيجاد تآلف مدروس بعناية بين الكتل

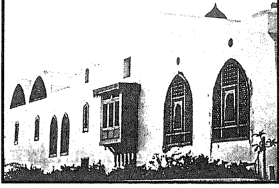




(شكل ٣)

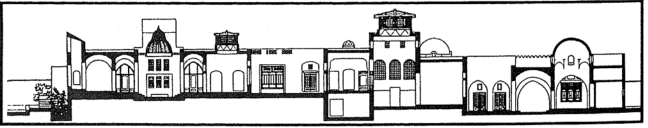
مسكن حلاوة بالعجمي (الاسكندرية) من أعمال المعماري عبد الواحد الوكيل أحد تلاميذ المعماري حسن فتحي، حيث استخدم في هذا المنزل طرق تقليدية في البناء ولكن بالحجر كما استخدم بعض الزخارف النوبية واستطاع أن يقدم عملا يتصف بالدقة والجمال.





(شكل ٤)

قصر السليمان بجدة، من أعمال المعماري عبد الواحد الوكيل والذي استخدم فيه طرق ومواد البناء التقليدية، كما دمج معها بعض ملامح وسمات العمارة المحلية في جدة، واستطاع بذلك أن يقدم عملاً معمارياً متميزاً.



والأحجام والضوء والظل والأشكال المرئية لتحقيق بساطة في الوسيلة والتعبير فجاءت جميعها وخاصة مسجد الكورنيش في صورة أشكال ومجسمات منحوتة، ساعدت على إضفاء صبغة جمالية للصورة العامة لمدينة جدة (شكل ٥).

أما المساجد الكبيرة، سعة ١٠٠٠ إلى ٢٠٠٠ مصلى مثل مسجد الجفالي ومسجد الحارثي ومسجد الملك سعود، فقد جاءت في تصميمات كلاسيكية للمسجد، وقد تبدو معقدة في مسقطها الأفقي وذلك نتيجة لمساحة الموقع وتوجيه المبنى إلى زاوية القبلة. وتحتوي هذه المساجد على عدد كبير من مفردات العناصر التقليدية وتركيبات من طرز وملامح إسلامية معروفة، مثل مشربيات وكالة الغوري، وملامح من مئذنة مسجد الأمير شيخو بشارع الصليبية بالقاهرة في مسجد الجفالي، وقبة محمد بك أبو الذهب والمآذن التركية في مسجد الحارثي، والمدخل المنحرف المشهور لجامع السلطان حسن، ومئذنته، وملامح من سبيل وكتاب الأمير عبد الرحمن كتخدا في مسجد الملك سعود.

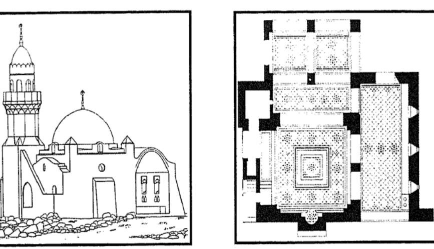
وقد توج الوكيل أعماله بمسجد القبلتين بالمدينة المنورة الذي استوحى شكله بمآذنه وقبابه «المسجد الكبيربصنعاء» في اليمن، كما استعار تغطية السقف بالأقبية وباكية المحراب بالقبة من جامع القرويين بمراكش، أما مسجد قباء بالمدينة المنورة والذي يسع ١٠٠٠٠ مصلى، أي أكبر بخمسة أضعاف المسجد القديم فقد حافظ فيه الوكيل على طابع المبنى القديم وخاصة المداخل والمآذن، وكذلك الفكرة الأصلية وهي وجود حوش سماوي، يمكن تغطيته بسقف خيمي متحرك ومحاط بأروقة من ثلاث جهات، وقد أضاف الوكيل إلى الصالة الرئيسية تغطية بتشكيلات من القباب بإرتفاعات مختلفة أعلاها قبة بائكة المحراب، وقد استعملت أيضاً الطرق التقليدية في إنشاء الحوائط الحاملة والقباب والمآذن وكلها من الطوب التراكوتا الأحمر، وقد أظهر الوكيل دقة وعناية تامة بالزخارف والنقوش وخاصة أرضية الفناء المبلطة بالرخام، والأسطح الداخلية للقباب، وأيضاً المحراب والمنبر.

ثم كان مسجد الميقات (آبار علي) بالمدينة المنورة والذي استوحى فيه الوكيل شكل مئذنة جامع سمراء بالعراق أو مسجد ابن طولون في مصر واستخدام زخارف على الدراوي مشابهة للزخارف المجودة في جامع الأزهر بمصر (شكل ٦).

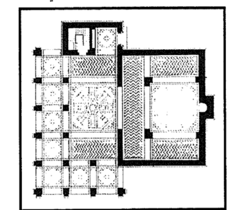
والخلاصة أن المعماري عبد الواحد الوكيل قد استطاع في تصميماته وعمارته للمساجد بالمملكة العربية السعودية أن ينقل بذكاء ومهارة مجموعة من مفردات الطرز الإسلامية ذات الأصول المملوكية والعثمانية (المصرية) وذلك في شكل تكوينات جمعت بحساسية ودقة فنية واستطاع أن يبنيها بمواد وطرق تقليدية أثارت الإبهار والدهشة في عصر تعتبر فيه الخرسانة المسلحة مادة البناء ذات الإمكانيات الجبار في التكوين والتشكيل، وفي وقت ظهرت فيه الدعوة الفنية والشعبية إلى إحياء الطرز والعمارة الإسلامية، ووجد الوكيل من الإمكانيات المادية والتشجيع الرسمي والشعبي والإعلامي ما ساعده على تحقيق أفكاره وتطلعاته في تجربة فريدة من النادر أن تتكرر.

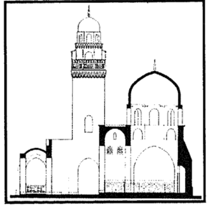
(شكل ٥)

بعض مساجد عبد الواحد الوكيل في جدة واستخدام أساليب تقليدية في البناء مع استخدام طوب التراكوتا المصنع تكنولوجياً. إضافة إلى استعارة بعض مفردات العمارة الإسلامية.

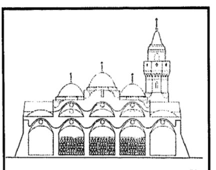


مسقط أفقي وواجهة لمسجد الكورنيش بجده





مسقط أفقي وقطاع لمسجد الجزيرة

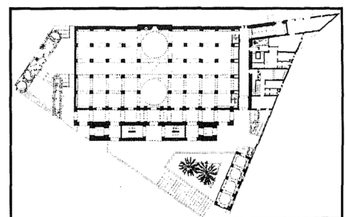


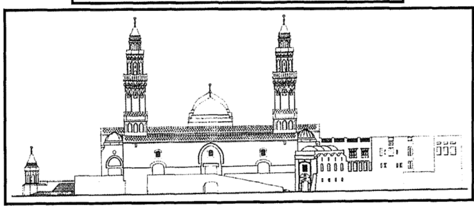
مسقط أفقي وواجهة لمسجد الرويس



(شكل ٦)

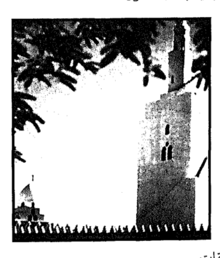
بعض مساجد عبد الواحد الوكيل في المدينة المنورة والدمج بين أساليب البناء التقليدية مع مواد البناء الحديثة مع استعارة أشكال ومفردات من العمارة الإسلامية.





مسقط أفقي وواجهة لمسجد القبلتين بالمدينة المنورة





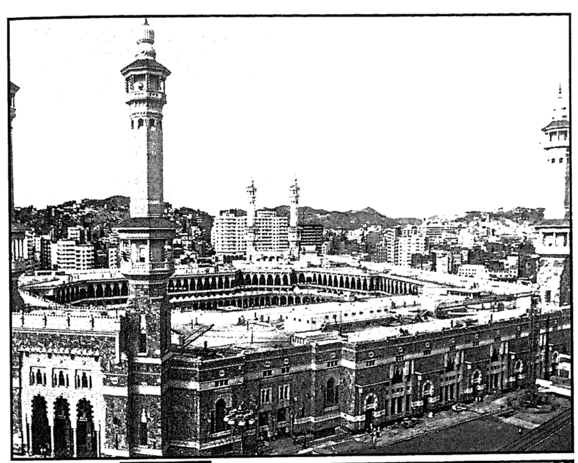
مسجد الميقات

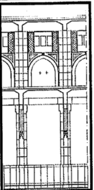
٣- اتجاه الطراز الإسلامي الحديث :

هذا الاتجاه مماثل لما سبق أن تم في عصر النهضة من قيام طراز عصر النهضة على أساس الطراز الروماني القديم، وبالنسبة لمنطقتنا العربية فقد تم استحداث طراز إسلامي حديث نابع ومرتكز على الطراز الإسلامي المملوكي المعروف، وقد تم ذلك بعد محاولات أهمها على يد المعماري مصطفى فهمي باشا ومهندسي مصلحة المباني الأميرية وشركة مصر الجديدة حيث استخدم معماريو هذا الاتجاه عناصر ومفردات وزخارف إسلامية كلاسيكية مثل العقود والأعمدة والبانوهات والجفوت والمقرنصات والشرفات.. الخ، مع عدم تخليهم عن مواد وطرق الإنشاء الحديثة، مما يعطي مرونة ويسر في تناول مباني ذات مقياس واستعمالات مختلفة ومن أمثلة ذلك مباني المعرض الصناعي الزراعي بالجزيرة ومبنى دار الحكمة (نقابة الأطباء) ومبنى نقابة المهندسين بالقاهرة، وكانت أهم أعمال مصطفى فهمي باشا بالسعودية تصميم التوسعة السعودية الأولى للحرم المكي الشريف والتي بدأ العمل فيها عام ١٩٥٥م إبان فترة حكم الملك سعود - حيث أضاف إلى آخر توسعة قام بها الأتراك عام ١٩٢٦م مجموعة أروقة على دورين استعملت فيها عقود مخموسة (ذات مركزين) بالدور الأرضي، ومدببة (ذات المركز الواحد) بالدور الأول (شكل ٧) وقد بلغت مساحة التوسعة ١٦١٠٠٠ متراً مربعاً وذلك بمسقط أفقي على شكل مربع مشطور عند المسعى، كما تم تغطية المسعى بين الصفا والمروة وجعل من دورين وضم إلى جسم المسجد الحرام، وقد استعمل المصمم عناصر ومفردات وزخارف إسلامية كلاسيكية، وجاء تصميم المداخل الرئيسية (باب الملك عبد العزيز، باب العمرة، باب السلام الكبير - الفتح -) في غاية التناسق والجمال، كما جاءت المآذن على جانبي المداخل بنسب رشيقة، وقد كانت نتيجة ذلك كله عمارة ذات نسب جميلة متنوعة لا تثير الملل، توافقت تماماً في إتزانها وثباتها وهيبتها مع قدسية وهيبة المكان، وبدرجة أن التوسعة الحالية التي يجري تنفيذها بأمر وتحت رعاية خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز قد جاءت على نفس الطراز بعد أن ثبت نجاحه.

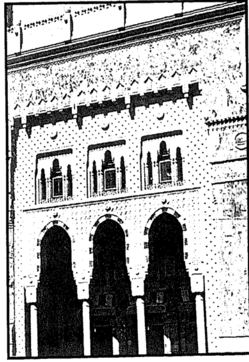
والجدير بالذكر هنا أنه يمكن تصنيف هذا الاتجاه كمثال للاتجاه التاريخي في عمارة ما بعد الحديثة رغم أنه قد أنشأ قبل ٤٥ عاماً، فالمعروف أن المهندس مصطفى باشا فهمي من مواليد ١٨٨٠م وقد نشأ مع البدايات الأولى لعمارة القرن العشرين وعاصر أحداثها والتقلبات الحادة التي مرت بها، ولكنه لم يتأثر بها مثلما كان الحال مع زملائه المعاصرين (وكان معظمهم من الأجانب) وكان المعماري المصري المتميز الذي جاء بعده والده المعماري (محمود باشا فهمي) ليضع ملامح لطراز معماري جديد سماه «عمارة عصر النهضة الإسلامي» معتزاً بملامح وسمات التراث المعماري الإسلامي وقيمه العظيمة.

وقياساً على اعتبار المهندس حسن فتحي رائداً من رواد العمارة المحلية الجديدة في عمارة ما بعد الحديثة - بالرغم من أن أشهر أعماله قد تمت في الأربعينات والخمسينات - فإنه يمكن تقييم أعمال المهندس مصطفى باشا فهمي والتي تتوجها مشروع توسعة الحرم المكي الشريف، على أنها البدايات الرائدة في «الاتجاه التاريخي وإحياء الطراز الإسلامي» في عمارة ما بعد الحديثة في العالم العربي، وليقف على قدم المساواة مع المعماري





جزء من قطاع في المسعى بين الصفا والمروة



(شكل ٧)

المسجد الحرام بمكة المكرمة (التوسعة السعودية الأولى) من أعمال المعماري مصطفى فهمي باشا، واستخدام عناصر ومفردات وزخارف إسلامية على أساس أحد الطرز الإسلامية.

الأمريكي فيليب جونسون الذي تمرد على «العمارة الحديثة» وأعاد إحياء الطرز التاريخية في عمارة الغرب، حين أعلن إنتهاء «عمارة الحديد والزجاج» في عام ١٩٥٨م.

والمعماري مصطفى باشا فهمي لم يكن من مهندسي «العمارة الحديثة» كما ذكرنا ولم تظهر له أية فعاليات ولم يقدم أعمالاً يمكن تصنيفها على أنها من العلامات الهامة في العمارة الحديثة، ولكنه التزم بمنهج إحياء التراث للعمارة والطرز الإسلامية وكان له تأثير كبير على مهندس «عمارة ما بعد الحديثة» الذين ارتبطوا بهذا الاتجاه حيث اتخذت أعماله كمقياس (أو معايير) يمكن على أساسها قياس الأعمال المبتكرة التي تقدموا بها.

هذا ويمكن اعتبار المعماري عبد الواحد الوكيل من رواد هذا الاتجاه حيث أنه لجأ إلى استخدام عناصر ومفردات وزخارف إسلامية كلاسيكية من الطرز الإسلامية رغم تقيده باستخدام أساليب إنشائية قديمة ولهذا فقد صنف أيضاً عالمياً من رواد إحياء العمارة التاريخية في عمارة ما بعد الحديثة.

ويجدر الإشارة إلى أن العمارة تحولت أحياناً من خلال هذا الاتجاه إلى نوع من التظاهر والخداع وأظهرت زيفاً واضحاً وإضافة لا قيمة لها سواء من الناحية المعمارية أو الجمالية عندما استخدمت بعض العناصر الوظيفية في غير موضعها وبدون مبرر وظيفي ولكن لمجرد المحافظة على المظهر الخارجي للواجهات، ويظهر ذلك في بعض العمارات السكنية في مصر الجديدة التي وضع في أركانها مآذن وأبراج بطريقة استعراضية لا معنى لها، وهو في هذه الحالة رجوع إلى الماضي على أساس خاطئ، وهو كذلك استخدام للقديم بالمعنى السطحي له، وهو تحويل للأشكال المعمارية إلى أشكال زائفة ينقصها المعنى.

٤- اتجاه المعاصرة والانتماء:

من الأهمية بمكان إيضاح معنى المعاصرة والانتماء قبل الحديث عن هذا المدخل، إن كلمة معاصر تعني متواجد أو حادث دون أن تحمل هذه الصفة أي تطرق إلى تقييم أو رفض أو قبول، أما كلمة الانتماء فمعناها انتماء الجزء إلى الكل أو الشيء إلى الأشياء بحيث يحتمل هذا الجزء مميزات تختص بمواصفات الكل.

والانتماء في العمارة معناه انتماء عمل معماري يحمل جميع المقومات التي تجعل منه عملاً ينتمي إلى طابع سائد لعصر من العصور أو بيئة من البيئات التي أنشيء فيها. وترتبط سهولة الوصول إلى درجة الانتماء للعمل المعماري إلى حجم البيئة أو المجتمع الموجود فيه هذا العمل بحيث تكون مقومات الانتماء واضح وهي في مفهوم العمارة عبارة عن أساليب البناء والمواد المستخدمة والارتفاعات وعناصر وملامح المباني، ولهذا كانت سهولة الانتماء في المجتمعات القديمة البسيطة أيسر منها في المجتمعات الحديثة حيث أصبح الانتماء المعماري أو التجانس المعماري فيها أمراً صعباً بسبب زيادة وتنوع أساليب ومواد البناء المستخدمة فضلاً عن اختلاف الأمزجة والتذوق المعماري. عموماً في هذا المدخل يمكن للإنسان أن يجمع بن أصوله وجذوره بما فيها من قيم ومفاهيم وبين حاضره وما فيه من تقدم تكنولوجي في أساليب البناء ومواد بناء جديدة لم يكن لها مثيل في الماضي، وهنا تظهر مهارة المعماري ومقدرته على الدمج بن ماضيه وحاضره دون إفراط أو تفريط، فلا يتوقف عند الماضي ولا

يجد بديلاً عنه، ولا يتركه أو يتغافل عنه أو لا يلتفت إليه ولكنه يتعامل مع المعطيات الجديدة وإمكانيات العصر دون رفض أغفال لأصالة وعراقة الأمس بكل ما يحمله من جذور حضارية تربط الإنسان المعاصر بحاضره الذي يعيش فيه وتتفق مع الحياة الإسلامية والمنهج الإسلامي القويم، فإن من عوامل نجاح العمارة أن تكون مقامة بأحسن الوسائل المتوفرة في العصر الذي تكون فيه، وبأفضل المواد الموجودة، وأن يقوم بها معماريون على وعي وإدراك بظروف البيئة التي يعيشون فيها وفهم واضح لقيم ومبادئ المجتمع، وإذا خرجت العمارة عن ذلك المفهوم فلن تكون إنعكاساً لحياة المجتمع ومبادئه وكذا التقدم التكنولوجي المتاح، عموماً فإن المداخل المعاصر والانتماء يمكن أن تتم بهذه الوسائل:

- تجريد الأشكال التراثية أو الصيغ التاريخية والمحلية القديمة ومثال ذلك تجريد القبة إلى ضلوع والتفريغ بين هذه الضلوع وملئها بالزجاج بدلاً من الطوب والخرسانة.
- التفريغ في المنشأ بما يؤكد المعاصرة.
- استعمال عناصر إنشائية حديثة توحي للرائي بتشكيلات قديمة كما في استعمال الإنشاء القشري المشابه للقبو القديم والذي يرتكز على أطرافه كمنشأ خرساني أو حديدي معاصر.
- استعمال منشآت تراثية بمقياس جديد ومواد جديدة.

وكما ذكرنا فإن مدخل المعاصرة والانتماء يأتي في محورين هما المعاصرة مع الانتماء محلياً والمعاصرة مع الانتماء تاريخياً، وفي هذا المدخل إما أن تغلب المعاصرة وتكون لمسة الانتماء أو الأصالة محدودة، أو بالعكس تكون الأصالة هي الغالبة مع الحرص على إظهار المعاصرة.

المعاصرة مع الانتماء محلياً:

يعني هذا المدخل بإيجاد تعبير معماري حديث يفي بمتطلبات الحياة العصرية على أن يتم المحافظة على التراث الحضاري للبيئة المحلية، ويكون ذلك باستلهام سمات وملامح العمارة المحلية في المنطقة على أن يتم البناء والتشييد بأحدث المواد والأساليب المعاصرة، ولهذا فهي دعوة إلى عمارة لا تخسر ملامح وسمات الأمس بكل ما تحمله من أصالة وتكسب مزايا التطوير والتحديث في المواد والأساليب، وتربط الإنسان المعاصر بمجتمعه وتاريخه فلا يفقد ذاته ولا يخسر هويته وسط الأمواج المتلاحقة من التطور ومحاولات الانسلاخ والتمرد على الماضي وعراقته.

المعاصرة مع الانتماء تاريخياً:

يعني هذا المدخل أيضاً بإيجاد تعبير معماري حديث يفي بمتطلبات الحياة لعصرية ويكون ذلك باستلهام بعض السمات والملامح التاريخية وأحياناً بشكل تجريدي، على أن يتم البناء والتشييد بأحدث المواد والأساليب المعاصرة، فالانتماء يأتي باستخدام بعض الملامح التاريخية الإسلامية والمحافظة على القيم المعمارية للعمارة الإسلامية.

ومن المعماريين الذين تأثروا بهذا الاتجاه المعماري راسم بدران حيث صبغت أفكاره بالعمارة الإسلامية ويظهر ذلك في استخدامه للمداخل الضية الملتوية والأفنية الداخلية والتصميم المغلق من الخارج والمفتوح على الداخل بالإضافة إلى مراعاته للتقاليد الإسلامية العربية المتمثلة في الخصوصية، فضلاً على حصره من الاستفادة من مواد البناء المحلية والبيئية والمحيطة كوسيلة لإعطاء طابع خاص لمبانيه، وفي أحد أعماله حاول أن يعكس العلاقة الوثيقة بين مقر الحاكم أو الخليفة ودور العبادة (المسجد) وعلاقتها بالمدرسة التي كانت جزءاً من عمران المسجد تلك العلاقة التي نشأت بين مراكز الحكم ومنابر العبادة والعلم والتي شكلت حجر الأساس الذي شيدت على أساسه المدن الإسلامية.

ولهذا كان إتجاهه واضحاً في البحث عن أدوات الانتماء التي تأخذ من الماضي الإسلامي العربي قيمه ليحدد بها مسار الحاضر المتطورة ولهذا جاءت بين موروثات الماضي العريق ومعطيات الحاضر المتطورة فقد جاءت أعماله لتؤكد ذلك فهي عمارة معاصرة لم تفقد حيويتها وإنتمائها للتراث المعماري الإسلامي العريق.

ومن المشروعات التي قدمها المعماري راسم بدران والتي تعبر عن إتجاهه نحو هذا المدخل مشروع تطوير منطقة قصر الحكم مشاركة مع مكتب البيئة السعودي أحد أشهر المكاتب السعودية التي تبنت هذا الاتجاه في العمارة.

تطوير منطقة قصر الحكم - الرياض:

يشغل الموقع معظم مساحة قلب الرياض القديمة وتبلغ مساحته حوالي ٤٥ هكتار، والمشروع المقدم يهدف إلى تطوير هذه المنطقة عن طريق إزالة المباني القديمة القائمة مع الاحتفاظ بمبنى المصمك التاريخي، ومواقع المباني الهامة والمميزة، ثم إعادة بناء المنطقة بمباني ظهر فيه ابوضوح إتجاه المحافظة على ملامح التراث العمراني التقليدي لمدينة الرياض القديمة.

والمشروع يحتوي على العناصر التالية: المسجد الجامع، المركز الثقافي، مباني إدارية (قصر الحكم مباني الإدارة والشرطة والأمانة (البلدية)، ومباني سكنية بخدماتها الدينية والاجتماعية والتسويقية، بالإضافة إلى مباني المكابت، الأسواق العامة وأيضاً الساحات المكشوفة، والحدائق ومواقف السيارات (شكل ٨).

وفكرة المشروع تتلخص في الاحتفاظ بمبنى حصن المصمك التاريخي، ومواقع المباني التاريخية الهامة مثل (المسجد الجامع وقصر الحكم) وأيضاً بعض المباني الحديثة والتي لا تتعارض في موقعها وشكلها مع خطة التطوير (مثل مجمع المحاكم، ومبنى بنك الرياض) ومواقع المشاريع تحت التنفيذ (المركز التجاري)، وإعتبار هذه العناصر ثوابت قائمة يتم وضع التخطيط العام والتصميم في وجودها.

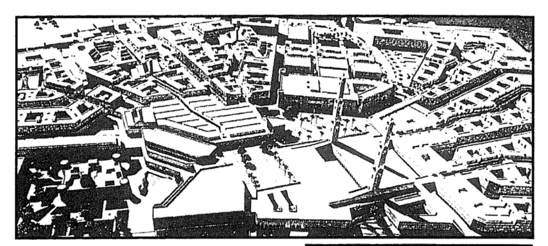
وقد صيغت الفكرة بإعتبار المسجد الجامع، وقصر الحكم والمركز الثقافي والمصمك نواة المنطقة وربط بينها بمجموعة من الساحات (ساحة العدل، ساحة الجامع، ساحة المصمك)، ثم صممت باقي المنطقة حول النواج بنمط إشعاعي من المركز إلى حدود المشروع، وقد فصل التصميم بن ممرات المشاة، بالدور الرئيسي للمشروع،

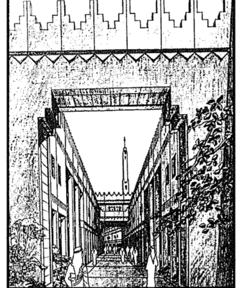
وحركة السيارات التي خصص لها الدورين السفلين الأرضي والذي يليه، كماأن التصميم نجح في تأكيد التتابع الفراغي بتقسم الساحات والوصل بينها وتحديد وظائفها، ثم إشعاع ممرات المشاة منها(كفراغ طولي) تتفرج في بعض المناطق بشكل فسحات (ساحات صغيرة)، والطابع العمراني للمنطقة يظهر به بوضوح استعمال ملامح التراث المعماري لمنطقة الرياض شكلاً ومضموناً، مما أعطى للمنطقة هوية متجانسة في الشكل الخارجي والتكوين واللون، فظهر الإنسجام في أشكال المباني وتكويناتها، وأبتعد عن التنافر بينها، كما أن التخطيط يرتكز على مفاهيم في العمارة الإسلامية (الكلاسيكية) مثل التأكيد علي المسجد الجامع وقصر الحكم والربط بينهما بساحة العدل، وهي مثال معروف في صورة المدينة الإسلامية القديمة (جامع الأزهر وقصور الفاطمين في القاهرة الفاطمية، المسجد والقصر في المدينة الدائرية بغداد)، أيضاً وجود ساحة الجامع أمام المسجد وإمكانية استعمالها للصلاة في المناسبات (الجمعة والعيدين)، بالإضافة إلى إشعاعية طرق المشاة من نواة المنطقة وأهم مبنى فيها وهو المسجد الجامع الذي تأكدت صورته أيضاً بإرتفاع مئذنتيه، كذلك تجميع المحلات التجارية على طول ممرات المشاة الرئيسية (الأسواق الطولية) المؤدية إلى نواة المنطقة وهو ترتيب تقليدي قديم يعطي حيوية وديناميكية للمنطقة في طريق الذهاب والعودة للصلوات الخمس، أما المحلات التجارية الكبيرة فوضعت في نهاية المجموعة بمداخل علي الطرق الفرعية والثانوية وقد حددت مناطق تجارية متخصصة كالذهب والسجاد والملابس.. فيما يسمى القيصريات وهو نمط تجاري قديم في المدينة الإسلامية، أيضاً تم تخصيص سوق مفتوح للخضار في نفس المكان التقليدي (للرياض القديمة) والمعروف «بالمقبرة».

وقد حافظ التصميم العمراني للمنطقة على المواقع الأصلية للمسجد الجامع وقصر الحكم لما لهما من إرتباط تاريخي بالموقع وعلاقتهما ببعض، وقد روعي المحافظة على الطابع الأصلي في تصميم الجامع عند تحديد العناصر المكونة له وذلك بإعادة استخدام العناصر التقليدية والطرز والملامح التي شكلت عمارة المساجد (التقليدية) لمنطقة نجد.

وكان الاحتفاظ بحصن المصمك التاريخي والاهتمام به وترميمه أهمية خاصة في تصميم منطقة المركزالثقافي حيث يعتبر أهم معلم تاريخي لازال باقياً من الرياض القديمة وقد صممت المباني الثقافية والترفيهية بشكل يتكامل مع مبنى المصمك وفي نفس الوقت تأكد له بوضعه في فلب المنطقة يتجه إليه النظر من كافة المباني والعناصر المطلة عليه، وتعكس معالجة الفتحات والدراوي والحوائط والمداخل الطابع المعماري التقليدي لعمارة الرياض، فتبعث روح الماضي وتتلائم مع طابع المصمك.

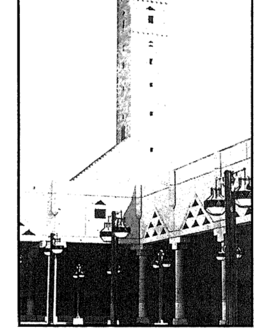
والمشروع بصفة عامة يعتبر تجربة رائدة في أسلوب المحافظة على التراث العمراني والإسلامي وتأكيد وإبراز المباني التاريخية الهامة، وأيضاً تأصيل لهذا التراث باستخدام مفاهيمه ومفرداته بأسلوب معاصر وأحياناً تقليدي حافظ على هوية المنطقة عمرانياً وفي نفس الوقت قام بتوظيف عناصر قديمة في صورة المدينة الإسلامية بشكل ديناميكي متمشياً مع روح العصر، وقد ساهم المعماري راسم بدران في عمارة المساجد من خلال بعض مشروعاته أحدهما في مدينة الرياض (جامع الإمام تركي بن عبد اللّه) ضمن تطوير منطقة قصر الحكم، وجامع

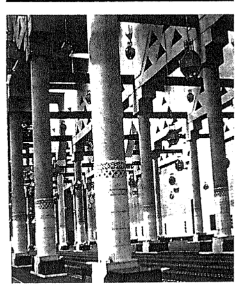




(شكل ٨)

تطوير منطقة قصر الحكم بالرياض من أعـمال المعماري راسم بدران ومحاولة استلهام بع سمات وملامح العمارة المحلية في منطقة الرياض إضافة إلى الارتكاز على مفاهيم إسلامية .





(شكل ٩)

جامع الإمام تركي بن عبد اللّٰه بالرياض من أعمال المعماري راسم بدران واستلهام سمات ملامح العمارة النجدية .

الملك عبد العزيز بمدينة الخرج وكلاهما كان تأكيداً لاتجاهه نحو مدخل الانتماء والمعاصرة.

جامع الإمام تركي بن عبد الله :

يعتبر جامع الإمام تركي بن عبد الله بمدينة الرياض من أقدم الجوامع فيها، فقد أعيد بناؤه عدة مرات كان آخرها في نفس موقعه على أرض مساحتها ١٦٨٠٠م٢ وذلك ضمن تطوير منطقة قصر الحكم الذي تقوم علهي الهيئة العليا لتطوير منطقة الرياض وذلك بهدف إنعاش وسط مدينة الرياض وإعادة الحيوية والنشاط إليها وتأهيله لأداء دوره الأساسي كمركز سياسي ورداري وتجاري رئيسي للمدينة.

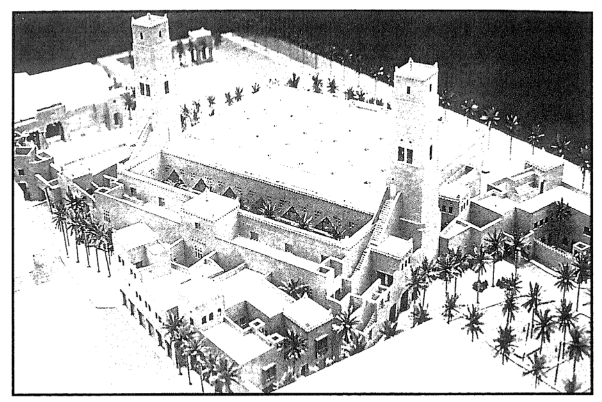
يتسع الجامع نحو ١٧ ألف مصل، وأقيم على جانبيه منارتان بارتفاع ٥٠م وهما مربعتا الشكل استلهم من تصميمهما روح العمارة النجدية، ويقع بجوار الجامع سكن للإمام والمؤذن إضافة إلى بع المكاتب الحكومية ذات الصلة، ويقع تحتها بعض المحلات التجارية، ويتصل الجامع بقصر بجسرين على مستوى الدور الأول عبر ساحة الصفاة الواقعة بينهما تأكيداً لمنهج الدولة وارتباط الحكم بالشرع الإسلامي الحنيف.

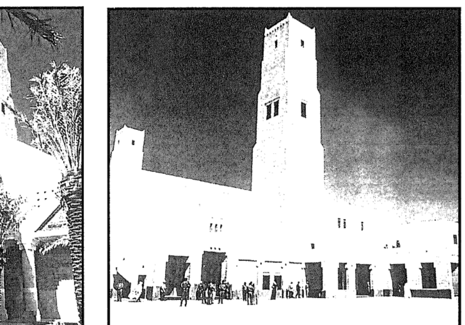
ومن الناحية الإنشائية فقد بني الجامع من وحدات خرسانية سابقة الصب كما كسيت جدرانه الخارجية والأجزاء العلوية من الحوائط الداخلية بحجر الرياض تأكيداً للانتماء لبيئة المشروع بينما غطى الجزء الأسفل من الحوائط الداخلية والأعمدة بالرخام الأبيض، أما السقف فقد غطى ببلاطات خرسانية تشبه المرابيع الخشبية التي كانت تغطى سقف الجامع القديم في محاولة لتأكيد الانتماء، والمشروع يعد محاولة ناجحة في إظهار سمات وملامح العمارة النجدية حيث تميزت الواجهات ببساطة التعبير حيث الفتحات الضيقة ذات الاستطالة إضافة إلى مجموعة من الفتحات الصغيرة المثلثة الشكل وكذلك الأروقة ذات العقود. والملاحظ في هذا الجامع أن لمسة الأصالة والانتماء هي الغالبة والمعاصرة تأتي في أسلوب الإنشاء والمواد المستخدمة (شكل ٩).

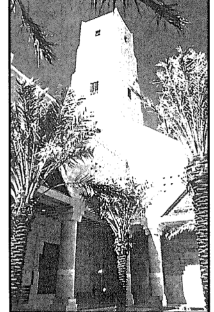
جامع الملك عبد العزيز بالخرج :

يقع جامع الملك عبد العزيز في مدينة الخرج على مقربة من مدينة الرياض حيث يقع الجامع في مدخل المدينة وضمن منطقة حيوية بها، وجاءت فكرة بناء الجامع لتطوير هذه المنطقة بعد إزالة الجامع القديم وبعض المباني من حوله بمساحة ٣٤٥م٢ بحيث يكون هذا الموقع مدخلاً مميزاً للمدينة، ويتكون الجامع من مصلى للرجال وآخر للنساءبسعة ٣٨٠٠ مصل إلى جانب الخدمات والمرافق الخاصة بالجامع، وللجامع مئذنتان ذات قاعدة مربعة تقل تدريجياً كلما ارتفعت ويبلغ ارتفاعها ٣٨م وهما يعكسان روح العمارة النجدية إلى حد كبير، ويعتمد الأسلوب الإنشائي على استخدام عناصر سابقة الصنع أما باقي أجزاء المشروع فهي من الخرسانة المصبوبة في الموقع، كما تم استخدام حجر الرياض في أعمال التكسية الخارجية والداخلية.

وتأتي واجهات الجامع والمباني المحيطة بسيطة، حيث احتوت على بعض التفاصيل الزخرفية من العمارة التقليدية للمنطقة وبشكل مدروس ومتقن مثل الفتحات المثلثة والأفاريز الموجودة على دراوي المباني والتشاريف الموجودة في أركان المباني إضافة إلى العقود المثلثة وكذا الزخارف الموجودة في نهاية المئذنتين.







(شكل ١٠)

جامع الملك عبد العزيز بمدينة الخرج واستلهام ملامح العمارة النجدية لتقديم عمارة إسلامية معاصرة ومنتمية مع البيئة المحيطة.

والجامع يعكس بوضوح الكثير من سمات وملامح العمارة النجدية من حيث الشكل ولون المباني وكذلك التكوين المتضام الذي تميزت به منطقة نجد التاريخية، وفي هذا الجامع تأتي الأصالة هي المسيطرة والمعاصرة في أسلوب الإنشاء والمواد المستخدمة (شكل ١٠).

وقد سار على نفس الطريق وضمن هذه الاتجاه المعماريان الحصيني والشعيبي من المملكة العربية السعودية من خلال مكتبيهما (البيئة) الذي أوضح أفكاره وتوجهاته المعمارية التي يؤمن بها ضمن الكتاب الذي نشره المكتب عام ١٤١٠هـ (بعنوان البيئة - التجربة المعمارية) وهي أن: «العمارة التقليدية تظل في معظم الأقاليم ولدى معظم الشعوب مركز افتخار وصمدر استلهام وعنصر إنتماء وأهميتها تنبع من أنها نتجت من التقويم الجماعي المستمر للإبداعات الفردية في تشكيل البيئة مع تحقيق المواءمة بين المتطلبات والظروف الروحية والمادية، «وأن الطابع والأشكال المحلية المألوفة تمثل عناصر أساسية في تأكيد الإحساس بالمكان للمقيم والزائر، يحقق استلهامها في الأعمال الجديدة راحة نفسية نتيجة لربطها بين الماضي والحاضر»، ومن المفاهيم التي يؤمن بها المكتب «أن المشاريع تعكس مدى أصالة قيم وثقافة وفن وإمكانات المجتمع الذي أنجزها لأفراده وزواره والأجيال القادمة، لذلك فإن الإبداع والمهارات الفنية يجب أن تركز على تشكيل عناصر المبنى والمحيط كحل شامل يستجيب للعوامل الثقافية والاجتماعية والنفسية والاقتصادية والبيئية ضمن حدود المقدرة البشرية والتقنية والمصادر الطبيعية لذلك المجتمع»، ومن المشروعات التي قدمتها البيئة لتوضيح مدى ملاءمتها لتلك التوجهات: تطوير منطقة حي السفارات بالرياض، وتطوير منطقة قصر الحكم، وقرية التراث الشعبي بالرياض إلى غير ذلك من المشروعات التي أوضح توجه المكتب في التأكيد على المتطلبات الوظيفية والإنسانية واستخدام التقنيات الحديثة مع الاستعارة من مفردات الماضي لإعطاء هوية وشخصية للمكان دون تكلف أو مبالغة.

ولا يمكن هنا تجاهل المعماري زهير فايز من السعودية بمشروعاته في هذا الاتجاه مثل مبنى الهيئة الملكية للجبيل وينبع، مبنى معرض شركة أرامكو، مبنى الرئاسة العامة لرعاية الشباب بالطائف وأبها، رغم ميل زهير فايز إلى المعاصرة في كثير من مشروعاته بشكل واضح.

وكذلك د. أحمد فريد مصطفى من السعودية أيضاً الذي أوضح توجهاته من خلال أبحاثه وكتبه المنشورة ومحاضراته في جامعات المملكة والتي يقول فيها «إن علينا أن نوضح عناصر وأشكال العمران الذي أنتجته الحضارة الإسلامية في كثير من البلاد الإسلامية، وتوضيح ظروف ومزايا وعيوب العمران المعاصر، وتبيان إمكانية الإفادة من قيم ومبادئ العمران الإسلامي في مدننا الجديدة وعمراننا الحديث وبالذات في مناطقنا السكنية بهدف إقناع المتخصصينوالمسئولين لإنشاء مجتمعات متوازنة، فعالة فاضلة واقتصادية في الدول الإسلامية كحل بديل للمارسات العشوائية أو الحلول المستوردة المنقولة أو تلك التي تستجيب للضغوط المادية والتجارية البحتة التي تمليها الحاجة اليومية الملحة»، ويقول أيضاً «وسنظل نوضح أسس ومظاهر العمران الإسلامي ونبينه على شكل محاضرات وندوات وأبحاث مركزة، إضافة رلى البحث التطبيقي المنشور الذي قمنا بعمله باسم (الجارودية) حتى تنتشر الفكرة وتتفاعل ويتم مناقشتها وبلورتها بين العامة والخاصة عل حد

سواء، ويتم الإفادة منها بإذن اللّه تعالى في عمراننا الجديد وبكليات العمارة والتخطيط وأقسام العمارة والأقسام ذات الصلة»، وفي موضع آخر يقول «إن مقومات ومبادئ المدينة الإسلامية هي مقومات حية إيجابية يمكن - بالتأكيد - الإفادة منها في التصميم العمراني المعاصر بمدننا الإسلامية ولا يجب بأي حال التغاضي عنها وإعتبارها من التراث الذي يتغنى بجماله، بل إن الدروس والعبر التي يمكن الإفادة منهافي تصميمنا المعاصر نقاط بدء أساسية في عمران سليم»، ومن مشروعاته التي توضح هذا التوجه «حي الربوة الشمالي بالمدينةالمنورة والذي يعد محاولة ناجحة في تحقيق مفاهيم وقيم المدينة الإسلامية في الأحياء السكنية الجديدة، كما أنه وسيلة في المزج بين القيم والمبادئ المتعارف عليها ووسائل العصر المتوفرة دون الإخلال بأي منها.

اتجاه المعاصرة:

هذا الاتجاه لا يمكن تجاهله حيث أن تراثنا الحاضر هو إبداع الماضي وإبداع الحاضر هو تراث المستقبل، ويجب ألا يؤخذ على هذا الاتجاه عدم توفيق بعض المعماريين في تصميم وإخراج المباني في الثوب المناسب، حيث أن تراث الماضي هو إنتقاء قليل من المباني من آلاف أخرى لا يلقى إليها بال وأن مسئولية الجيل الحاضر في إبداع مباني تفرض نفسها على الإنسان المعاصر من حيث الإبداع والتشكيل المعماري تكون واضحة وجلية.

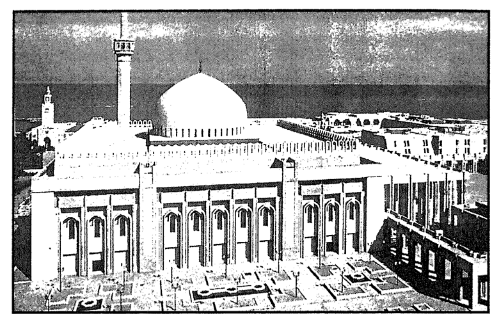
الواضح أن معماريي هذا الاتجاه استعملوا كل وسائل التقنية الحديثة من مواد وأساليب إنشاء حديثة وبذلك كانت أعمالهم مطابقة تماماً للعمارة الحديثة وتحولت بذلك العمارة في كثير من الأقطار الإسلامية إلى صورة مشوهة لعمارة الغرب وتقليداً ومحاكاة للعمارة الغربية، وهذا ما لجأ إليه بع من رفضوا استخدام أشكال منقولة عن الماضي وتجنبوا كل ملامح وتراث الماضي إنبهاراً بالمعاصرة وشعوراً بعدم جدوى العودة يدفعهم إلى ذلك ما يرونه من تقدم هائل في مجال العمارة عالمياً فضلاً عن التطور التقني السريع.

وتحت مظلة العمارة الإسلامية المعاصرة حاول بعض رواد العمارة الإسلامية أمثال د. محمد مكية الذي يدورفكره حول وجوب إحتواء العمارة على القيم الإنسانية وخصوصية البيئة الجغرافية والمناخية، إضافة إلى أن العمارة في وجهة نظره يجب أن تشتمل على البعد الزمني (البعد التراثي) حيث يرى أن الهدف من معرفة التراث هو إعادة إحيائه من جديد لخدمة متطلبات العصر والبيئة وبأفكار جديدة ضمن هذا المطلب، فأخذ مفردات العمارة التراثية وقام بتبسيطها وتوظيفها بتشكيلات حديثة وأساليب متطورة تظهر نوعاً من الإبتكار والتجديد بمعنى أنها عمارة معاصرة حاول المعماري جعلها إمتداد للتراث المعماري الإسلامي ولكن من خلال استخدام المفردات المعمارية التقليدية وصياغتها في تركيبات جديدة معاصرة.

ومن أعماله التي عبر فيها عن هذا الاتجاه مسجد الدولة الكبير بالكويت، حيث كان لاستخدام طرق التصنيع والتجميع الخاصة بالخرسانة سابقة التجهيز أثرها في تواجد أفكار جديدة لعناصر ومفردات التصميم المختارة، مما ساعده على أن يميز بين العناصر التي لها تكامل وترابط إنشائي وبين العناصر الحجمية التي لها صفة تكوين الفراغ.

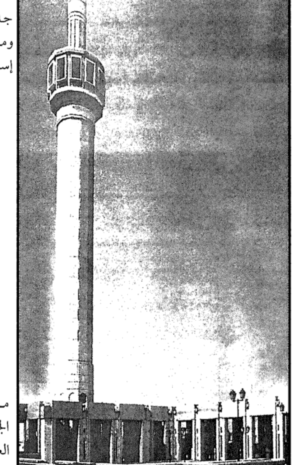
وقد ابتكر د. مكية في هذا المسجد وحده حائط باثكية متكررة تتكون واجهتها من عقد مدبب محاط بعقد مسطح حر، وقد شيد كل هذا من بانوهات خرسانية سابقة التجهيز مع استعمال كسوة من الحجر الطبيعي، وقد أعطي عنصر (وحدة الحائط الباكية) إحساس بتجدد وإحياء فكرة الحنية التقليدية (المحراب) ولكن بطريقة جديدة ومبتكرة فضلاً على أن استخدام هذا العنصر يتيح للمصمم أن يخفف (أو بزيل) عن الحوائط الخارجية والعقود وظيفتها الإنشائية المعتادة (شكل ١١)، إلى جانب ذلك فد حاول مكية إعادة استنباط لغة جديدة للزخرفة دون اقتباس حرفي لها وذلك باستخدام زخارف هندسية وأشرطة من كتابات كوفية وأخرى موضوعة في بلاطات زرقاء وخضراء والتي ظهرت ممتدة حول حوائط الفراغات الداخلية وقاعدة القبة وحول المحراب والمنبر، وقد صمم كل هذا بأفكار جديدة وبأساليب متطورة ومبتكرة معاصرة.

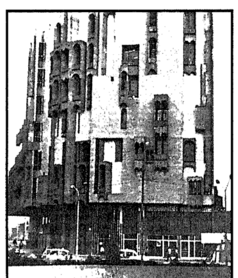
وكان المعماري رفعت الجادرجي أحد من عمل تحت مظلة المعاصرة كإتجاه من اتجاهات العمارة الإسلامية المعاصرة ولكنه تبنى اتجاهاً خاصاً به يتصف بأن الشكل الخارجي للمنشأ ليس مهمته عكس مضمون فعاليات المبنى ووظيفته بقدر إقرار مسبق للتأكيد على الفصل والانفصام فتتصف مشاريعه بتضادها الواضح في معالجات الواجهات الغير عادية التعقيد، وبين وضوح وبساطة المخططات الواقعة خلفها، فهو يهتم إهتماماً كبيراً برسم الواجهات، حتى إنها ترقى بتفاصيلها ووحداتها إلى مستوى طبيعة اللوحات التشكيلية التجريدية وقد استخدم في الواجهات مفردات التراث المعماري العربي والإسلامي بمغالات شكلية وتكوينات فنية. فكان الناتج عن هذا الاتجاه رموز مستنسخة آلياً من الأبنية التراثية وزرعها في صميم معالجات واجهات المباني وأصبحت المباني المصممة تبعاً لهذا المنهج لايظهر فيها الاهتمام بمضمون المبنى وتوزيع فراغاته ومدى ما يعكسه الناتج المعماري الحديث بشكله وعناصره من تطلعات معاصريه وآمالهم بقدر الاهتمام برسم الواجهات فايتسم هذا الاتجاه باستعمال وصفات شكلية وإنتقاء لمفردات العمارة التراثية واستخدامها في تكوينات حديثة تجريدية ومعاصرة كاملة، ويظهر ذلك في مبنى إتحاد الصناعات في بغداد (شكل ١٢).



(شكل ١١)

جامع الدولة في الكويت من أعمال المعماري محمد مكية، ومحاولة ابتكار تشكيلات وتكوينات حديثة لتقديم عمارة إسلامية معاصرة.





(شكل ١٢)

مبنى إتحاد الصناعات ببغداد من أعمال المعماري رفعت الجادرجي ومحاولة استخدام وصفات شكلية وانتقاء لمفردات العمارة التراثية واستخدامها في تكوينات حديثة لتقديم عمارة إسلامية معاصرة.

الخلاصــة:

لقد استعرض البحث مفهوم العمارة الإسلامية، وبين أن العمارة الإسلامية اصطلاح معماري استعمل داخل العالم الإسلامي وخارجه للدلالة على العمران في البلاد التي دخلها الإسلام، ويشمل العمران والتخطيط والعمارة، كما بين البحث أن العمارة الإسلامية ليست من إنتاج مكان محدد أو شعب معين ولكنها نتاج حدث تاريخي كبير هو الفتوح الإسلامية لبلاد مختلفة نتج عنه اندماج منهج حياتي واحد مع طرز محلية في ظروف متعددة ومختلفة، وبين أن مقدرات التشكيل المعماري الإسلامي وأسسه تختلف باختلاف المكان والزمان، وأن الملامح التقليدية تظهر فيما أفرزته فترات الحكم الإسلامي من تشكيلات وعناصر معمارية مثل العقود والأفنية والقباب والزخارف بأنواعها، وما عبرت عنه مواد البناء المحلية من تشكيلات فنية وخارجية وداخلية ومع اختلاف منابع هذه الإفرازات واختلاف حرفة البناء وثقافات الشعوب على مر العصور والتأثير المتبادل بين حضارة العالم الإسلامي والحضارات الأخرى ومع مرور العصور الحضارية لكل مكان فقد نتج عن ذلك حصيلة إبداعية زاخرة من العمارة الإسلامية المعبرة عن المكان والزمان، كما بين البحث أنه عندما بدأت أماكن كثيرة في العالم الإسلامي تتعرض للغزو الخارجي ثقافياً أو عسكرياً انعكس هذا الغزو على جوانب الحياة الاجتماعية والثقافية والعمرانية ودخلت تبعاً لذلك الاتجاهات المعمارية الوافدة التي حملت معها أساليب جديدة في البناء وأنماطاً وفلسفات غريبة لا تتفق مع ثقافة وحضارة هذه الشعوب، وتحولت تبعاً لذلك العمارة في كثير من بلاد العالم الإسلامي إلى نسخ لما في أوروبا وأمريكا وفقدت العمارة هويتها في كثير من الأقطار، وذلك عندما وجدت كثير من المكاتب الاستشارية الأجنبية في الدول العربية والإسلامية حقلاً للتجارب وفتحت كثير من الأقطار أبوابها دون قيد أو شرط لها.

وأوضح البحث أن الاتجاه إلى العمارة ما بعد الحديثة تزامن مع ظهور جيل جديد من المعماريين يريد العودة إلى أصوله وتراثه المعماري الإسلامي، فاستطاعوا أن يتفهموا في أغلب الأحوال أساليب واتجاهات العمارة ما بعد الحديثة وأفادتهم التعددية التعبيرية لهذه العمارة في صياغة نمط خاص لكل منطقة قائم على احترام وتأصيل القيم العمرانية والتراثية مع الأخذ بأسلوب العصر.

وأوضح البحث أن العمارة في الوطن العربي أصبح يتجاذبها عدة اتجاهات أولها باسم «الأصالة» وضرورة العودة إلى القيم والمبادئ الموروثة ومحاولة الاستفادة منها وتطبيقها في أعمالنا المعمارية دون تغيير أو تبديل، وفريق آخريدعو إلى «الحداثة» والتحرر من القديم وعدم الالتفات إلى الماضي والسعي إلى تقديم إبداع جديد يناسب التطور السريع ويناسب تطلعات إنسان العصر، واتجاه آخر يدعو إلى الجمع بينهما فهو اتجاه لا يرفض الجديد ويريد الاستفادة من القديم فهو يسعى إلى إبداع عمارة معاصرة ومنتمية ضمن حدود وإمكانيات العصر، بالإضافة إلى اتجاه آخر يرى في إعادة الطرز الإسلامية إعادة لتراث يضرب في عمق التاريخ لحضارة تبوأت هامة المجد لقرون طويلة، وقد تبلورت هذه الاتجاهات بمرور الوقت لتشكل اتجاهات للعمارة الإسلامية المعاصرة، وتحمس لكل اتجاه من هذه المداخل بعض رواد العمارة الإسلامية الذين قدموا أعمالاً تعبر عن أفكارهم

وتوجهاتهم، وقد أوضح البحث ذلك بالتفصيل بالشرح والتحليل، وقد تبين لنا من هذا الاستعراض أن الاتجاه نحو المحلية القديمة الذي كان رائده المعماري حسن فتحي قد لا يتفق مطلقاً مع طابع الحياة الذي نعيش فيه الآن وقد يكون استخدام هذا الاتجاه محدوداً جداً فمواد البناء المستخدمة هي الطين والأحجار والأخشاب وأساليب البناء بالقبو والقباب والحوائط الحاملة، وهي لهذا تؤدي إلى مبان منتمية إلى البيئة المحليةكما أنها تحقق متطلبات المعيشة للإنسان في هذه البيئة وظيفياً ومناخياً ولكنها لا تناسب مع متطلبات الحياة العصرية، وربما يكون اتجاه المحلية الجديدة والتي كان أحد روادها المعماري عبد الواحد الوكيل والذي أمكن من خلاله إدخال تحسينات على بعض مواد البناء عوضاً لهؤلاء المنادون بالمحلية القديمة وإرضاء لنوازعهم الرومانسية وحنينهم إلى الماضي ورغبتهم العودة إليه دون تغيير أو تبديل.

كما أوضح البحث أن الداعون إلى اتجاه الطراز الإسلامي الحديث علي أساس أحد الصيغ التاريخية الإسلامية والذي كان رائده الأول مصطفى فهمي باشا استخدموا عناصر ومفردات وزخارف إسلامية كلاسيكية مثل العقود والأعمدة والبانوهات والجفوت والمقرنصات والشرفات ولكنهم لم يتخلوا عن مواد وطرق البناء الحديثة وقدموا مما لا شك فيه أعمالاً جديرة بالاحترام والتقدير، ولكن العمارة تحولت أحياناً في هذا الاتجاه إلى نوع من التظاهر والخداع وأظهرت زيفاً واضحاً وإضافة لا قيمة لها عندما استخدمت بعض العناصر في غير موضعها ودون مبرر وظيفي، وهو في هذه الحلة رجوع إلى الماضي على أساس خاطئ، وهو كذلك استخدام للقديم بالمعنى السطحي له وهو تحويل للأشكال المعمارية إلى أشكال زائفة ينقصها المعنى. كما أظهر البحث أن الاتجاه نحو المعاصرة والانتماء سواء كان محلياً أو تاريخياً والذي كان من رواده المعماري راسم بدران، يساعد المعماري أن يجمع بين أصوله وجذوره بما فيها من قيم ومبادئ وبين حاضره وما فيه من تقدم وازدهار وهنا تظهر مهارة المعماري ومقدرته على الدمج بين ماضيه وحاضره دون إفراط أو تفريط، وبين البحث أن لهذا المدخل عدة وسائل وهي الاتجاه إلى تجريد الأشكال التراثية والصيغ التاريخية والمحلية القديمة، التفريغ في المنشأ بما يؤكد المعاصرة، استعمال عناصر إنشائية حديثة توحي للرائي بتشكيلات قديمة، أو استعمال منشآت تراثية بمقياس جديد ومواد جديدة، ومما تم استعراضه من المشروعات يتضح لنا أن معالم هذا الأسلوب ليس فقط في تقليل الماضي أو النقل الصريح لعمارته أو تبسيط عناصره بطريقة أو بأخرى، ولكنه في الواقع تأصيل لروحه وفلسفته، وهذا يجعل من الضرورة أن يكون هناك دراسة متعمقة ليس فقط لعناصر ومفردات وملامح الصورة الخارجية للمباني التقليدية القديمة (أي شكل المبنى) ولكن بصورة أكثر تركيزاً على المتطلبات الوظيفية والإنسانية والاجتماعية التي تحددها قيم وتعاليم الإسلام الحنيف (أو ما يسمى بالمضمون)، فالشكل- وهو التعبير المتغير - يمكن تطويره باستخدام تقنيات وأساليب العصر والاستعارة من مفرداته لإعطاء هوية وشخصية المكان، أما المضمون فهو التعبير الثابت للقيم الحضارية للمجتمع الإسلامي الذي لايمكن أن يختلف باختلاف الزمان أو المكان.

ثم بين البحث أن أحد الاتجاهات التي لايمكن إغفالها هي المعاصرة ومن روادها د. محمد مكية والمعماري

رفعت الجادرجي حيث أن تراث الحاضر هو إبداع الماضي وإبداع الحاضر وهو تراث المستقبل، ويجب ألا يؤخذ على هذا الاتجاه عدم توفيق بعض المعماريين في تصميم وإخراج المباني في الثوب المناسب حينما لجأ بعضهم إلى استعمال وصفات شكلية وتركيبات غريبة بهدف تجاهل الماضي وعدم الأخذ من التراث، إلا أنه لا يمنع أن هنك في هذا الاتجاه إبداعات وتشكيلات معمارية واضحة وجلية فرضت نفسها بجمالها المعماري وانسجامها مع ما حولها ومن بينها أعمال د. محمد مكية إلى حد كبير، وتبقى مسئولية الجيل الحاضر في إبداع مبان تفرض نفسها على الإنسان المعاصر من حيث الإبداع والتشكيل دون تجاهل للماضي بما فيه من قيم ومبادئ ومفاهيم أو أغفال للتقدم التكنولوجي الذي نعيش فيه بحيث يربط الإنسان المعاصر بحاضره الذي يعيش وبما يتفق مع الحياة الإسلامية والمنهج الإسلامي القويم.

المراجــع:

اولاً: المراجــع العربيـــة:

١- القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

٢- البس. د. عبد الحميد أحمد، اتجاهات العمارة بعد الحديثة وأثرها في الحركة المعمارية في مصر، المؤتمر العلمي الدولي الثالث بكلية الهندسة - جامعة الأزهر، ديسمبر ١٩٩٣م.

٣- الفرماوي. د. فؤاد أحمد، البس. د. عبد الحميد أحمد، نحو عمارة منتمية محلياً وتاريخياً. الناشر المؤلفان، ديسمبر ١٩٩٤م، القاهرة، جمهورية مصر العربية.

٤- الفرماوي. د. فؤاد أحمد، البس د. عبد الحميد أحمد، نحو عمارة أفضل. الناشر المؤلفان، ديسمبر ١٩٩٤م. القاهرة. جمهورية مصر العربية.

٥- أبا الخيل، إبراهيم وعبد العزيز، مجلة البناء السعودية، الأعداد ٢٣، ٢٤ يونيو وسبتمبر (١٩٨٥)، العدد ٢٥ أكتوبر ونوفمبر (١٩٨٥)، العدد ٢٦ ديسمبر ويناير (١٩٨٦)، العدد ٤٠ مارس وإبريل (١٩٨٨)، العدد ٤٣ سبتمبر وأكتوبر (١٩٨٨)، العدد ٤٩ أغسطس (١٩٨٩)، العدد ٥٨ فبراير ومارس (١٩٩١)، العدد ٨٣ (١٩٩٥)، العدد ٩٣ سبتمبر وأكتوبر (١٩٩٦م)، العدد ١٠٧ يناير وفبراير (١٩٩٩م).

٦- الحصيني والشعيبي (تضامنية)، «مجموعة البيئة الاستشارية» البيئة التجربة المعمارية، كتيب بأعمال مجموعة البيئة، مطابع الوفاء، الدمام، المملكة العربية السعودية ١٩٨٩م.

٧- البس. د. عبد الحميد أحمد، سراج. د. محمد السيد، التجربة السعودية في تأصيل التراث المعماري والمحافظة عليه، المؤتمر العلمي الدولي الثاني بجامعة الأزهر، ديسمبر ١٩٨٩م.

٨- البس. د. عبد الحميد أحمد، سراج. د. محمد السيد، اتجاهات العمارة بعد الحديثة وأثرها في الحركة المعمارية بالمملكة العربية السعودية، المؤتمر العلمي الدولي الثاني بجامعة الأزهر، ديسمبر ١٩٩١م.

٩- عالم البناء المصرية، مجلة معمارية متخصصة تصدرها جمعية إحياء التراث التخطيطي والمعماري بمركز الدراسات التخطيطية والمعمارية بالقاهرة، الأعداد ٤١ (١٩٨٤)، ٨٦ (١٩٨٧)، ٩٠ (١٩٨٨)، ٩٥ (١٩٨٨)، ٩٨ (١٩٨٩)، ١٠٤ (١٩٨٩).

١٠- مصطفى. د. أحمد فريد، القيم الإسلامية في العمران المعاصر، المملكة العربية السعودية، ١٤٠٦هـ.

ثانياً: المراجع الأجنبية:

1 - An introduction to 20th century Architecture, Lucy pell, Bowell, Alexander Garrett, London, 1989.

2 - Architecture Today, Charles Jencks, William chaitken, 1982.

3 - Architecture for the Poor, Hassan Fathy, The University of Chicago Press, New York 1973.

4 - The Language of post Modern Architecture, charles Jencks, Great Britain, 1973.



ندوة

التراث المعماري الاسلامي في الألفية الثالثة

١٨ - ٢٠ مارس ٢٠٠١

"التراث بين القطيعة والاستمرارية"

فرحات خورشيد الطاشكندي

عضو هيئة التدريس بقسم العمارة وعلوم البناء،

كلية العمارة والتخطيط، جامعة الملك سعود،

الرياض - المملكة العربية السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وآله وسلم

١ - مقدمة

التراث واستمرارية التراث والقطيعة مع التراث والمعاصرة في مجال العمارة من الأمور التي تهم كل المشتغلين في شئون العمران وما لم يكن عند المعماري خلفية تاريخية ومعرفة بمعنى التراث وروح الحضارة الإسلامية ويعيش وقته قد لا يستطيع مزاولة النقد وفهم الإنتاج المعماري المتأثر بالبيئة. ولا يمكن لأي إنسان أن ينتقد العمارة في دولة أو حضارة هو غريب عنها؟ أن النقد بدون معرفة المسببات والمؤثرات يكون غالبا سطحيا وساذجا كالذي أوكل إليه شراء سيارة للغير فبدل أن يعرف مواصفاتها أو الغرض من شرائها يختار سيارة لمظهرها البراق واللماع فقط.

أن معرفة الثوابت والمتغيرات قد تساعد على فهم موضوع الاستمرارية للتراث العمراني المتهم بأنه توقف منذ من مده طويلة وربما يفسر لنا الفجوة الكبيرة التي حدثت في شكل وتطور الطرز وربما يقودنا إلى التأني في إطلاق الأحكام على الجديد والحديث والطرز غير المألوفة أو المذاهب المعمارية في هذه المرحلة التي نمر بها والذي يقال لها بالمعاصرة.

ففي بداية الأمور لابد من الاتفاق على المصطلحات ومعرفة الألفاظ الصحيحة والمسميات وتعريفاتها وإلا فان النقاش يدور في حلقة مفرغة كل يدعى الصحة لعدم وضوح المرجع للحكم عند الاختلاف، فتوضيح الأمور من البدايات تبين لنا الطريق والاتجاهات وان المنطق السليم يدعو إلى ذلك وليس في ذلك سفسطة كما يدعي بعض المثقفين أو انه تلاعب بالألفاظ، فلتقريب هذا المفهوم بدليل من القرآن نجد أن الله عز وجل وصف قتال المسلمين في سبيل الله بالجهاد ووصف قتال الكفار بالحرب، فالآلات والأدوات المستخدمة في كلا الفريقين تكاد تكون واحدة ومتشابهة ومع ذلك فرق في تسمية العمل، فالفرق أذن في النية والهدف وكذلك الطعام الذي تصدق به على بريره سمي صدقه ولم يأكل منها رسول الله صلى الله ليه وسلم وعندما أهدتها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سمي هديه فأكل منها والطعام نفسه لم يتغير ولكن النية تغيرت فتغيرت التسمية. ولقد عد هيجل التاريخ بأنه " جزء من الفلسفة لأنه ليس مجرد دراسة وصفيه بل هو أقرب إلى التحليل وبيان الأسباب ".

فالسؤال الذي يطرح نفسه هل يوظف التراث في العمارة المعاصرة؟ أم يهمل؟، هل التراث شيء مقدس يجب تقليده؟ أم أن التراث شيء قد مضى وانتهى ينبغي قطع الصلة معه. أو انه كنز يرجع إليه أو بعض وقت الحاجة؟ أو أن نستمر في الإضافة إلى التراث عن طريق ما يتركه السلف للخلف؟

فللإجابة على ذلك ينبغي تعريف التراث ومعرفة الثوابت والمتغيرات في العمارة والعوامل التي تؤثر عليها.

٢ - تعريف التـراث

فتعريف التراث كما جاء في لسان العرب لابن منظور هو الورث والإرث والميراث وأصل التاء في التراث "واو" وهو قول الجوهري ، ويقول ابن سيده الورث والإرث والتراث والميراث : ما ورث.

وفي القرآن الكريم : ﴿وورث سليمان داود﴾ [النمل، ١٦] ، ﴿يرثني ويرث من آل يعقوب﴾ [مريم، ٦] ، ﴿إن الأرض يرثها عبادي الصالحون﴾ [الأنبياء، ١٠٥] ، ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا﴾ [فاطر، ٣٢] ، ﴿تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقياً﴾ [مريم، ١٣].

وروى النسائي في المناسك عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه بعث مربع الأنصاري إلى أهل عرفه في الحج فقال : ﴿اثبتوا على مشاعركم فأنكم على ارث من ارث أبيكم إبراهيم﴾. وفي حديث أبي هريرة المشهور أن ارث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوزع في المسجد. وروى البخاري واحمد والدارمي ، قوله صلى الله عليه وآله وسلم "لا يرث الكافر المؤمن المسلم ولا المؤمن المسلم الكافر" وروى الدارمي في الفرائض "يرث من جانب الذي يصلح ولا يرث من جانب الذي لا يصلح".

فأستقري من هذا أن التراث هو كل ما تركه السلف من المباحات الشرعية وهو نقيض الرجس. فكل عمل من فعل الأنبياء أو آثارهم أو عمل الصالحين فهو تراث يجب المحافظة عليه. [الطاشكندي]

وتعريف الرجس : كل عمل من فعل الشيطان أو من آثاره يجب تجنبه ، يقول الله عزل وجل ﴿إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان﴾ [المائدة، ٩٠] ، ﴿إلا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً أو لحم خنزير فإنه رجس﴾ [الأنعام، ١٤٥] ، ﴿فأعرضوا عنهم إنهم رجس﴾ [التوبة، ٩٥] ، ﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان﴾ [الحج، ٣٠].

ومن الأحاديث النبوية : "فقال أن هذا الطاعون رجس" (البخاري، أنبياء : ٥٤) ، "عن لحوم الحمر الأهلية فإنها رجس" (البخاري، ذبائح : ٢٨) ، "لا يحل شرب بول الناس لشدة تنزل لأنه رجس" (البخاري، اشربه : ١٥)، "والقي الروثه وقال هي رجس" (ابن ماجة، طهارة : ١٦) ، وفي مسند احمد بن حنبل رضي الله عنه أن أبا طلحه سأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن أيتام ورثوا خمراً فقال أهرقها قال أفلا نجعلها خلاً قال لا (احمد : ٣/ ١١٩).

فإذا استطعنا أن نقسم التركة إلى قسمين : تراث ورجس واعتبرنا أن جميع أنواع التركة الذي يصلح ويتفق مع الشرع هو التراث والذي لا يصلح ولا يتفق مع الشرع هو الرجس. عندها يكون التراث بكل أنواعه صالحاً للأخذ منه والإقتداء به وتقليده. [الطاشكندي]

الآن تأتي مسألة حرجة جدا وهي هل يمكن الأخذ من تراث الغير أي من المباحات الشرعية الموجودة عند غير المسلمين مما سخره الله؟ للجواب على هذا السؤال واضح جدا عبر التاريخ فالمسلمون اخذوا ما ينفعهم ودينهم وصلاح أمرهم من أنظمة بناء ومواد وتقنية من غيرهم بالإضافة إلى ما عندهم ولم تكن لديهم الحساسية

المفرطة كالتي عند البعض في وقتنا هذا. فإذا ارتأوا أن يسقفوا مسجدهم بنظام إنشائي كالقبة مثلا كالتي اخترعها البيزنطيون أو كالتي اخترعها الرومان ، فإنهم لا يجدون حرجا في استعمالها وبمجرد استعمالهم لها تصبح من عمارتهم ومن ثم تصبح من تراثهم لاحقا والشواهد على ذلك كثيرة في حياتنا اليومية في أي عملية قياس أو تقويم أو نقد نحتاج إلى أصول وجذور نرجع أليها ونطلق منها أي لابد أن تكون هناك نقطة بداية ولابد أن يكون هناك مرجع يمكن الرجوع إليه للحكم بشأن الأمور النسبية كالأحسن والأفضل والأجمل ... الخ. فالمعروف أن أي حركة معمارية هي تجسيم مادي للفكر أو الأيدلوجية للمجتمع (إذا استثنينا فترة الحداثة والذي اعتقد المعماري فيها انه يقود الحضارة ويغيرها بعمله). ودور المعماري هو إيصال هذه الرسالة إلى أفراد المجتمع عن طريق أعماله والتاريخ شاهد على ذلك فلا جدال فيه .

فالمسلمون وضعوا مصفاة وهي الشريعة للحكم على الأمور المستحدثة والمستوردة فما يتعارض خرج من مسمى التراث والذي لم يتعارض مع المصفاة أصبح من التراث لاحقاً .

وفي رأيي أن عدم الوضوح في المسيرة العمرانية ما هو إلا نتيجة استيراد الأفكار والمفاهيم المتناقضة مع الإسلام لا أقول المواد أو التقنية مما سبب نوعا من الازدواجية وظهر جليا على العمارة وأصبح المسلم في العالم الإسلامي مقلدا لجيرانه ومستعمريه السابقين تحت ظروف الهيمنة الاقتصادية للشعوب المصنعة والتي تبنت المفهوم المادي وبشكل ملح بعد فصل الدين عن الدولة فأصبح الفلك الذي يدور فيه العالم الغربي ما هو إلا تعزيزا للجانب المادي فقط وإهمال الجوانب الأخرى وساعد على ذلك ظهور مفكرين وفلاسفة وضعوا مفاهيم واضحة للفكر المادي وتطويره وبالتالي أثر ذلك على مجالات الحياة المختلفة من أدب وفن وموسيقى وفلسفه حتى وصلت أخيراً للعمارة والتي جسدت تلك الأفكار .

٣ - القطيعة مع التراث : أسبابها ونشوئها وموقف الإسلام منها

٣ - ١ تسلط الكنيسة على مجريات الحياة :

نتيجة للسلطة المطلقة التي أتيحت للكنيسة - في العصور الوسطى - فقد رأت أن أي مصدر من مصادر العلوم والمعرفة، لابد أن يكون صادراً عنها ، وأن أي رأي يخالف رأيها فهو باطل يجب مقاومته ، بكل ما يستطاع .

لهذا فقد أخذت تراقب المطبوعات " وحتم على كل مؤلف وكل طابع أن يعرض مؤلفه أو ما يريد طبعه على القسيس أو المجلس الذي عين للمراقبة ، وصدرت أحكام المجمع المقدس ، بحرمان من يطبع شيئاً لم يعرض على المراقب أو ينشر شيئاً لم يأذن المراقب بنشره ، وأوعز إلى هذا المراقب ، أن يدقق النظر حتى لا ينشر ما فيه شيء يؤمىء إلى مخلفة العقيدة الكاثوليكية " . [محمد رفعت]

ولقد احتجزت الكنيسة لنفسها حق فهم وتفسير الكتاب المقدس ، وحظرت على أي عقل - خارج جهازها الكهنوتي - أن يحاول فهمه أو تفسيره أو مناقشة أي مسألة فيه .

ولم يقتصر الأمر على ذلك ، فقد أدخلت الكنيسة آراء ونظريات جغرافية ، وتاريخية ، وفلكية ، وغيرها من العلوم الطبيعية ، في الكتب المقدسة ، وصبغتها بصبغة دينية ، لا يجوز لأحد معارضتها أو مناقشتها .

عاش رجال الكنيسة ، والبابوات الذين يعتبرون أنفسهم خلفاء القديس "بطرس" ونواب المسيح - عليه السلام - وان سلطانهم مستمد من المسيح مباشرة بطريقة مخالفة لتعليم المسيح ولو انهم كانوا أسوة حسنة ، واستخدموا سلطانهم الهائل في تهذيب الأخلاق ، وإصلاح الفساد ، لما قام الصراع المرير بينهم وبين رجال حركة الإصلاح .

كما نظر رجال الدين إلى بعض المكتشفات العلمية ، نظرة القانع بأنها من الأشياء البائرة التي يجب تركها وعدم الأخذ بها ، حتى ولو كانت تلك المكتشفات تعود بالنفع على الإنسان ! . ومن ذلك مقاومتهم لمعالجة المرأة بالتخدير أثناء ولادتها "حيث لاقى اكتشاف التخدير مقاومة شديدة من قبل رجال الدين" . [محمد عبده]

ومن ذلك أيضاً نظرتهم لعلم الفلك ، حيث اعتبروه من الأشياء التي لا تستحق الاهتمام أو النظر ، اعتماداً على حكمة ظاهرة بشرت بها التوراة مؤداها أن الأرض لا بد أن تزول سريعاً وأنه سوف تكون سموات جديدة وأرض جديدة . [الإصحاح ٥٦ - إشعياء]

كما لاقت نظرية "كوبر نيكوس" محاربة شديدة من قبل رجال الكنيسة ، لأن فيها - على زعمهم - مخالفة لما جاء في كتبهم المقدسة ، ومن ذلك ما كتبه اللاهوتي "فروماندوس" في مقالته التي سماها "ارسطارخس" حيث بدأ أول صفحة منها بلعنة "كوبرنيكوس" ثم أعلن "أن التنزيل يقاوم - كوبرنيكوس - وأنصاره" . [إسماعيل مظهر] ، ومن أجل أن يبرهن على فساد نظرية "كوبر نيكوس" وأنها ضرب من ضروب الكفر والإلحاد ، رجع إلى النصوص المقدسة التي تتحدث عن شروق الشمس وغروبها وثبات الأرض ، حيث استند إلى نص من التوراة جاء فيه ، أن الأرض ثابتة إلى الأبد ، ومن ذلك ما ورد في الإصحاح الأول من سفر الجامعة : "ما الفائدة للإنسان من كل تعبه الذي يتعبه تحت الشمس ، دور يمضي ودور يجيء ، والأرض قائمة إلى الأبد والشمس تشرق والشمس تغرب وتسرع إلى موضعها حيث تشرق" . [إسماعيل مظهر] ، ومن أجل أن يظهر فساد نظرية "كوبرنيكوس" من جهة العقل ، تراه يقول : "لو كانت صحيحة فلا بد من أن يستمر الهواء هابأ من جهة الشرق على الدوام ، وان البنايات المشيدة فوق الأرض بل الأرض نفسها كان ينبغي أن تطير هائمة في الفضاء بقوة اندفاع عظيمة تستلزم أن يتهيأ الناس بمخالب كمخالب القطط حتى يستطيعوا أن يبقوا فوق ظهرها بأن يثبتوا مخالبهم فيما تصل إليه من الأجسام!" [إسماعيل مظهر] .

لذلك لم يستطيع "الجغرافيون" أن يظهروا الحقائق العلمية التي اتضحت لهم ويبنوا خطأ ما ورد في النصوص المقدسة خوفاً من رجال الكنيسة لأن مصيرهم سيكون كمصير من قال بكروية الأرض ، وأنها تدور حول الشمس ، ومصير من قال : أن القمر يستمد نوره من الشمس ... الخ .

ولـم يقتصر الأمر على محاربة كل نظرية أو حقيقة علمية تعارض النصوص المقدسة عندهم، بل وصل الأمر إلى محاربة كل علم لم يذكر له سند في كتبهم المقدسة ، ومثال ذلك فكرة وجود أناس يسكنون في الجهة المقابلة من الأرض ، فقد لاقت هذه الفكرة حرباً عنيفة من قبل رجال الكنيسة ، وذلك لأن التوراة لم تذكر وجود بشر يعيشون في تلك البقاع ! ومن الذين أنكروا ذلك ، القديس اوغسطين فإنه على الرغم من انه اظهر بعض الميل إلى الاعتقاد بكروية الأرض ، إلا انه حارب فكرة وجود أناس على الجانب الآخر ، مستنداً إلى القول : "بأن التوراة لا تذكر من أبناء آدم سلالة كهذه" . [إسماعيل مظهر]

وهكذا يتضح ، كيف أن النصوص المقدسة عندهم التي تطرقت إلى الكون والمخلوقات ، والظواهر الجغرافية ، وعلم الفلك ، وغير ذلك من العلوم ، كانت بمثابة العقبة الرئيسية أمام سير الحركة العلمية في أوروبا ، وكيف أن الحقائق العلمية لاقت حرباً شعواء ، من قبل رجال الكنيسة ، لأنها – على حد زعمهم – تخالف ما جاءت به الكتب المقدسة والتي كانت القشة التي قصمت ظهر البعير .

وفي سنة ١٣٢٧م طرد – سيكودا سكولي – وكان فلكياً ذا شهرة وعلم، من أستاذية جامعة – كولونيا – واحرق حياً في – فلورنسا – لأنه خالف رجال الكنيسة وتكلم بعلوم تتعارض مع ما جاء في الكتب المقدسة .

كما قامت حملة عنيفة ضد "جاليليو" لأنه أكتشف بمنظاره ، أن هناك سيارات أخرى تزيد عن السبعة التي ذكرتها النصوص المقدسة ، حيث جاء في سفر "رؤيا يوحنا اللاهوتي" في الإصحاح الأول ما نصه (فاكتب ما رأيت ، وما هو كائن، وما هو عتيد أن يكون بعد هذا ، سر السبعة الكواكب التي رأيت على يميني والسبع المنابر الذهبية ، السبعة الكواكب هي ملائكة السبع الكنائس . . .) [إسماعيل مظهر] ، لأجل هذا فقد قامت قيامة الكنيسة ، وأعلنوا أن هذا القول كفر والحاد، ومخالف لما جاء في الكتب المقدسة ، وقالوا : "لا يمكن أن يوجد اكثر من سيارات سبع ، وبرهاننا على ذلك وجود تلك المنابر السبع التي ذكرت في سفر رؤيا – يوحنا – اللاهوتي" . [إسماعيل مظهر]

وانه كان نتيجة لتسلط وسيطرة رجال الكنيسة على المناهج التعليمية ومحاكمة أي عالم يصرح أو يكتب آراء تخالف ظاهر النصوص المقدسة ، نشأ الوضع الذي جعل رجال الكنيسة يناصبون العلماء العداء ، وبالمقابل أخذ العلماء يشككون في صحة هذه الكتب ، وطبعوا العلم بطابع الإلحاد واللادينية ، مما أدى إلى ظهور "العلمانية" والتي هي نتيجة طبيعية للقطيعة مع الماضي (الدين والوحي والرسل) .

أن الكنيسة تطورت حتى أصبحت بمثابة الدولة ، التي أخذت تتدخل في شئون العامة والخاصة ، تحكمت في الشئون الدنيوية ، فضلاً على شئونها الدينية ، حتى اصبح لها سلطان ضخم ممثل في رجال الدين ، وعلى رأسهم "البابا" الذي كان يطاع كطاعة الإنسان لربه ، فكلامه كان بمثابة النصوص المقدسة ، وكل ما ينطق به يجب أن يطاع .

وفي الوقت الذي تحكمت فيه الكنيسة ، في الشئون السياسية ، نجد أنها بسطت نفوذها وسيطرتها ، لتشمل

جمع الأموال، فأخذت تفرض على الناس ، أن يدفعوا عشر أموالهم ، وتجبي الضرائب ، وتبيع صكوك الغفرن ، وغير ذلك من الأمور ، حتى اجتمعت لديها أموال وفيرة واصبح رجالها غارقين في البذخ والترف وكانت الكهنة أعلى الطبقات ، ولهم وحدهم من الأملاك الوسيعة ما يقرب من ربع أرض فرنسا فضلاً عما كانوا يضربونه من المال على الحاصلات مما يسمونه العشر ، ومقداره مائة وخمسة وعشرون مليوناً في السنة" . [زكي نجيب]

ولقد احتجزت الكنيسة لنفسها حق فهم وتفسير كتاب المقدس ، وحظرت على أي عقل خارج جهازها الكهنوتي تفسير أو مناقشة النصوص المقدسة لديهم ولم يقتصر الأمر على الكتاب المقدس ، بل فرضت على الناس قبول بعض الآراء والأفكار والنظريات – التي تتعلق بالجغرافيا والفلك وغير ذلك من العلوم العقلية – وجعلتها بمثابة النصوص المقدسة التي لا يجوز مخالفتها أو تصحيحها ! وأن أي قول بخلافها يعتبر في نظرها كفراً وإلحاداً ! . [عبد الله المشوخي]

والبحث عن الحقيقة ، ومعرفة النتائج – في ذلك العصر – فكانت كما تقول الدكتورة "زيغريد هونكه" عن طريق الكتاب المقدس حيث تقول : "والضلال هو البحث عن الحقيقة في غير الكتاب المقدس" . [فاروق بيضون]

في علم الجغرافيا وضع أحد الرهبان ، واسمه "قوزماس إنديكوبليوستيس" نظاماً كاملاً عن الكون ، ونجح في أن يلزم الكنيسة بآرائه ، ومما قاله عن الأرض : بأنها عبارة عن معين منبسط تحيط به أربعة بحار ! ، ولم يقتصر الأمر على ذلك بل حدد مساحة الأرض فقال : "ويبلغ – معين الأرض – أربعمائة يوم سفراً طولاً ، ومائتي يوم عرضاً!" . [مظهر]

واعتبر "قوزماس" آراءه هذه بمثابة النصوص المقدسة ! التي لا يجوز مخالفتها ، وان كل من لم يؤمن بها فإن غضب الله – عز وجل – سينزل عليه ! وقبلت آراء قوزماس في العالم المسيحي على أنها وحي مقدس انزل على قلبه! ، بل أن كثيراً من رجال الكنيسة توسعوا في شرح نظرياته وظل الاعتقاد بها سارياً حتى نهاية القرون الوسطى.

أما بالنسبة لطبيعة الرياح ، وكيفية هبوبها فقد ظهرت رموزها على الخرائط الجغرافية في صورة أدمغه عظيمة الحجم منتفخة الوجنات ترسلها في اتجاه أورشليم. [مظهر]

وفي علم الأحياء "البيولوجيا" وفي القرن السابع للميلاد ظهر قديس اسمه "ايزيدور الأشبيلي" اهتم بقضية الخلق ، وسجل أفكاره – والتي استعان فيها بآراء القديس "باسيل" و "أوغسطين" – في مؤلفه الذي سماه : "الأنسيكلو بيذى الكبير" تعرض فيه لنشأة بعض الحيوانات وكيف تخلق ، ومما قاله عن بعض المخلوقات : "أن النحل إنما يحدث من لحم الثور المنحل ، والخنافس من لحم الحصان ، والجراد من البغال ، والعقارب من السراطين" . [مظهر]

والعجيب أن هذا الكتاب ظل المرجع الأساسي لطلاب العلم في حقيقة الطبيعة ، وخصائص الحيوانات لأجيال طويلة ، ولم يقتصر الأمر على ذلك ، بل تطرق رجال الكنيسة إلى وصف بعض المخلوقات ، وما تقوم به من أفعال ، فهذا "نيدر" عضو محكمة التفتيش يصف في كتابه المسمى "تل النمل" خصائص بعض المخلوقات ، ومما قاله عن نمل "أثيوبيا" : "أن له قروناً ، وانه ينمو حتى يصير في حجم الكلب !" . [مظهر]

وفي علم الطب : حيث كان الطب في أوربا - في ذلك الوقت - في غاية البساطة والسذاجة ، وكان قسم من الرهبان يمارسون تلك المهنة بطرق بدائية ممتزجة بالتعاويذ الدينية . وعلاوة على ذلك ، فقد كانت - الكنيسة - تقوم بعزل المرضى عن بقية البشر بصورة وحشية ، وعلى سبيل المثال ، فقد كان المريض بداء الجذام ، يمنح قداساً من قبل الكنيسة ، ذلك القداس ، كما تقول الدكتورة "هونكة" : يذهب بموجبه المريض إلى حفرة في فسحة الكنيسة ، ويقذفه الكاهن بالتراب ثلاث مرات ، ثم ينفى إلى بقاع نائية مخصصة لمرض البرص ، كما علل أحد أساتذة جامعة "مونبيليه" سنة ١٣٤٨ م أسباب انتشار مرض الطاعون - حيث انتشر في تلك السنة انتشاراً فاحشاً - بأنه ناتج عن نظر المريض!

"ولهذا فقد نصح الطبيب أو الكاهن ، أن يطلبا من المريض إغماض عينيه أو وضع خرقة عليها قبل أن يعمد إلى معاينته!" . بهذه الأفكار والنظريات ، يستطيع الإنسان أن يتوصل إلى معرفة مستوى الطب في أوربا خلال تلك العصور ، وكيف أنه كان في غاية الانحطاط والتأخر والسذاجة . [عبد الله المشوخي]

أما علم الكيمياء ، فقد كانت الكنيسة تقوم بحملة عنيفة على بعض الذين أوتوا نصيباً من العلم فيها ، فهذا "لينيوس" واجه حملة عنيفة من قبل الكنيسة ، لأنه استطاع بتحليله أن يتوصل لمعرفة سبب احمرار المياه ، ومما قاله : "أن احمرار المياه راجع إلى تكاثر نوع من الجوينيات فيه" . [مظهر] ، ولما علم رجال الكنيسة بتعليله جاهروه بالعداء ، وأولوا هذه الظاهرة بأنها خارقة من الخوارق الربانية! تحدث عند غضب الله ونتيجة لحملة العداء التي قامت بها الكنيسة اضطر "لينيوس" إلى التراجع عن رأيه ، وذكر لأحد الذين كاتبوه "انه من الصعب أن يصارح بشيء إزاء هذا الأمر" . [مظهر]

ولم يقتصر الأمر على تدخل رجال الكنيسة في الأمور العقلية ، وتبني بعض الأفكار والآراء التي لا تتفق - في أغلبها - مع معطيات العلم ، فضلاً عن عدم تقبل العقل السوي لها ، بل وصل الأمر إلى محاكمة وتعذيب كل من يتبنى آراء أو أفكاراً تخالف آراءهم أو أفكارهم ! . لذلك ظهر في أوربا بعض العلماء الذين أوتوا نصيباً من العلم والمعرفة استطاعوا نتيجة أبحاثهم ، واكتشافاتهم - أن يبينوا بطلان آراء الكنيسة في كثير من العلوم ، خصوصاً تلك النظريات الجغرافية والفلكية التي تبنتها الكنيسة . فقامت قيامة الكنيسة لذلك ، وقام رجالها بهجمة وحشية عليهم ، وكفروهم ، واستحلوا دماءهم ، وأنشئوا محاكم التفتيش لمحاكمتهم . وعلى سبيل المثال ، فقد حكمت محكمة التفتيش في مدة لا تزيد على ثمانية عشر عاماً "من سنة ١٤٨١ - ١٤٩٩ على عشرة آلاف ومائتين وعشرين شخصاً بأن يحرقوا وهم أحياء فأحرقوا ، وعلى ستة آلاف وثمانمائة وستين بالشنق ، فشنقوا ، وعلى سبعة وتسعين ألفاً وثلاثة وعشرين شخصاً بعقوبات مختلفة ، فنفذت . [محمد عبده]

وفي ذلك يقوم المؤرخ "لورنتي" الذي أتيح له البحث بمطلق الحرية في أرشيفات محكمة التفتيش في أسبانيا - فيما ينقله عنه الدكتور "توفيق الطويل" : "أن المحكمة وحدها قد قدمت إلى النار أكثر من واحد وثلاثين ألف نفس، وأصلت أكثر من مائتين وتسعين ألفاً عقوبات أخرى تلي الإعدام في صرامتها ، وهذا الرقم لا يشمل الذين أودت بحياتهم فروع هذه المحكمة - الأسبانية - في مكسيكو وليما - بأمريكا الجنوبية ، وقرطاجنة ، وجزر الهند الغربية ، وصقلية ، وسردينيا ، وأوران ومالطة!" .

وسوف نقدم بعض المفكرين الذين تمت محاكمتهم على أيدي رجال الكنيسة والتي أدت إلى زعزعة الناس بالدين والكنيسة :

أ - غاليليــو :

فقد كان له آراء ونظريات خصوصاً في علم الفلك - توصل إليها عن طريق البحث والتجربة - تخالف آراء الكنيسة، ومنها أن الأرض تدور حول الشمس ، وأن هناك سيارات أخرى تزيد عن السبعة التي ذكرت في الكتب المقدسة، . وغير ذلك من الآراء التي كانت في نظر الكنيسة بمثابة الكفر والإلحاد! لمعارضتها الصريحة لما ورد في الكتاب المقدس! .

لهذا فقد عوقب هذا العالم سنة ١٦١٥م ووقف أمام محكمة التفتيش في "روما" وصدر الحكم بسجنه وهناك عذب عذاباً شديداً ، مما اضطره إلى التراجع عن آرائه، وأقصر أخيراً على أن يعلن وهو جاث على ركبتيه أمام البابا اربان الثامن الاعتراف الآتي : "أنا غاليليو ، وفي السبعين من عمري ، سجين جاث على ركبتي ، وبحضور فخامتك ، وأمامي الكتاب المقدس، الذي المسه الآن بيدي أعلن أني لا أشايع ، بل ألعن وأحتقر خطأ القول وهرطقة الاعتقاد بأن الأرض تدور!" . [عبد الله المشوخي]

ب - كوبرنيكوس :

أما كوبرنيكوس فلم يفلت من قبضة الكنيسة إلا بتدارك الموت له ، وعلى الرغم من ذلك فقد كانت اللعنة تلاحقه وهو في القبر! وصودرت كتبه ، وأحرقت ، وحرم على أتباع الكنيسة الإطلاع عليها لانه خالف نظرية الكنيسة وقال أن الشمس لا تدور من حول الأرض بل أن الأرض وبقية السيارات هي اللاتي يدرن حول الشمس.

جـ - وفي القرن الخامس عشر ظهر رجل اشتغل بالتاريخ الطبيعي اسمه "بافون" وكان له آراء وأبحاث تتعلق بالطبيعة، تخالف آراء الكنيسة ، لهذا فقد واجه حملة عنيفة من قبل الكنيسة اضطر أمامها أن يتراجع عنها ، وأن يعتذر علناً وان ينشر اعتذاره على الناس ومما جاء في اعتذاره : "أعلن اقتلاعي عن كل ما جاء في كتابي خاصاً بتكوين الأرض ، وجملة عن كل ما جاء به مخالفاً لقصة موسى" .

د - أما "نيوتن" والذي تبنى القول بقانون الجاذبية ، فقد عوقب من قبل الكنيسة ، لأن هذا القول معناه - من وجهة نظر الكنيسة - انتزاع قوة التأثير من - الله عز وجل - إلى قوى مادية ! .

هـ - كما طاردت الكنيسة "جيور دانو برونو" لتقريره بعض الحقائق العلمية ، المخالفة لنظريات الكنيسة وقبض عليه في مدينة "البندقية" وألقي في سجون محاكم التفتيش في روما لمدة ستة أعوام ، ولم تكتف الكنيسة بهذا العذاب ، بل قامت بعمل بربري حيث أحرقته حياً ، وذريت بقاياه الترابية مع الرياح ! .

مع أن التعذيب الذي كانت تقوم به الكنيسة ، كان في غاية القسوة والهمجية ، فقد جرت العادة بأن يحرق - من حكم عليه بذلك - بنار بطيئة ، وكان رجال الكنيسة يبررون ذلك بأنه يتيح للمتهم فسحة من الوقت ، يستطيع أن يعلن فيها توبته ! .

ونتيجة لهذه الأحكام التعسفية والأعمال البربرية التي كانت تقوم بها الكنيسة ، إزاء العلماء ، اختفى كثير من الحقائق العلمية ، وبقيت في صدور أصحابها لعجزهم عن التفوه بها ، لأن ذلك معناه الموت أو الحرق أو السجن مدى الحياة ، وذلك أضعف الأحكام ! . [عبد الله المشوخي]

"آبيان" والذي كان معلماً في علم الفلك ، وكان يدرس في جامعة "أنجلوستاد" لم يستطع أن يؤيد آراء "كوبر نيكوس" على الرغم من اعتقاده بصحتها ، وبقي صامتاً أمام هذه الحقائق . وهذا "رينولد" فعلى الرغم من اقتناعه بصحة آراء كوبر نيكوس إلا أنه كان يدافع عن أراء الكنيسة الفاسدة ويلقنها للطلاب . وكذلك "ريتيكوس" والذي كان أستاذاً في "ويتنبرج" فعلى الرغم من اقتناعه ببعض الحقائق العلمية ، إلا أنه لم يستطع التصريح أو التفوه بها خشية الاصطدام مع رجال الكنيسة . وكذلك "ديكارت" الذي تبنى المنهج التجريبي من أجل الوصول إلى المعرفة ، كان يلغز أفكاره لغزاً ، بل ترك أكثرها جاثلاً في ثنايا نفسه من غير أن يجرؤ على المصارحة بها خوفاً من بطش الكنيسة . ولم تكتف الكنيسة بمحاكمة ومطاردة العلماء في أجسامهم بل أخذت تطارد أفكارهم ونظرياتهم وكتبهم ، فكانت تصادر بعض الكتب وتحرق البعض الآخر وتحرم على أتباعها الإطلاع على ما تبقى منها ، وعلى سبيل المثال فقد أحرق الكردينال أكسيمنيس في غرناطة ثمانية آلاف كتاب بخط القلم فيها كثير من ترجمة الكتب المعول عليها عند علماء أوربا لذلك العهد . [محمد عبده]

كما صدر سنة ١٦١٦م بلاغ من "مجمع الفهرست" تحت تأثير البابا "بولص الخامس" جاء فيه : "أن القول بدوران الأرض حول نفسها ، ومن حول الشمس ، قول فاسد ، فضلاً عن مخالفتها لنصوص الكتاب المقدس وان هذا القول محظور تلقينه للناس أو الدفاع عنه ، وفي نفس البلاغ حرمت ولعنت كل كتابات كوبرنيكوس وكل كتاب يؤيد قوله ، كما حرم على الناس قراءة كتاب كوبر نيكوس" .

وعلى هذا فقد أصبحت قراءة أي كتاب يتحدث عن دوران الأرض ، أثم لا يوازيه من عقاب سوى اللعنة والكفر من قبل رجال الكنيسة ، ولم يقتصر الأمر على ذلك ، بل غالباً ما تدخل رجال الكنيسة في أبحاث العلماء ، ليطلعوا عما إذا كانت تخالف مذهبهم . وعلاوة على ذلك كله فقد صدرت أوامر لأعضاء محكمة التفتيش بأن لا يسمحوا بإعادة طباعة كتب غاليليو وغيره من العلماء الذين تبنوا آراء مخالفة للكنيسة ، كما طلبت الكنيسة من أتباعها بأن يدحضوا آراء هؤلاء العلماء ، ويبينوا بطلانها ومناقضتها للنصوص المقدسة بالعلم

واللسان، ومن بين الكتب التي ظهرت لدحض آراء غاليليو كتاب كتبه "سيبيو شيار مونتى" ، ومن بين البراهين التي أقامها ضد القول بدوران الأرض قوله : "للحيوانات التي تتحرك أطراف وعضلات ... أما الأرض فليس لها أطراف ولا عضلات ... فهي على ذلك لا تتحرك !" . [مظهر]

وكان رجال الكنيسة يضيقون ذراعاً بأية معرفة عدا معرفتهم ، وأي رأي أو نظرية تخالف آراءهم ، وبالإضافة إلى ذلك فقد كانوا يناصبون العداء كل من يقول بسوى القول الذي تبنوه! . فآراءهم ونظرياتهم كانت - حسب اعتقادهم - المصدر الأوحد لأساس العلوم والمعرفة ، وكل قول بسواها كان في نظرهم كفر وإلحاد يجب معاقبة صاحبه! . نتيجة للصراع بين رجال الكنيسة والعلماء أدى إلى ظهور الحركة المخالفة لخط الكنيسة ومن ثم فصل الدين عن الدولة . [المشوخي]

٣ - ٢ ظهور الحركة المخالفة لخط الكنيسة :

احتفظت الكنيسة لنفسها بحق فهم وتفسير الكتاب المقدس، وحرمت على أتباعها مناقشة أو تفسير النصوص المقدسة بخلال ما تراه ، لذلك أخذت تحجب عن الناس نور المعرفة والهداية ، فحرقت وصادرت الكتب المخالفة لمذهبها وحثت الناس على تحريم قراءة ما تبقى منها ، كما قامت بقتل وتعذيب العلماء الذين خالفوها .

ولم يقتصر الأمر على ذلك ، بل أخذت تفرض على الناس آراء وأفكاراً لا يمكن للعقل السوي أن يستسيغها وبالإضافة إلى ذلك فقد كان سلوك رجال الكنيسة الشخصي في غاية الانحطاط والرذيلة وعلاوة على ذلك فقد كانوا يتمتعون بسلطة عظيمة ، ونفوذ قوي ، استخدموها في فرض ما يروق لهم ، وسحق من يخالفهم الرأي ، سواء ما كان يتعلق بالأمور الدينية أم ما يتعلق بالأمور الدنيوية ، ولعل المنشور الذي صدر من قبل الكنيسة سنة ١٨٦٤م يوضح مدى نفوذ الكنيسة وسيطرتها على عقول الناس ومعتقداتهم، حيث جاء فيه "بلعن كل من يقول بجواز خضوع الكنيسة لسلطة مدنية، أو جواز أن يفسر أحد شيئاً من الكتب المقدسة على خلاف ما ترى الكنيسة، أو يعتقد بأن الشخص حر فيما يعتقد" . [محمد عبده]

نتيجة للعوامل السابقة ، بدأت الكنيسة تفقد مكانتها الرفيعة تدريجياً وظهرت أصوات بعض المصلحين الذين نهجوا الطريق السلمي لإصلاح الكنيسة مع بداية القرن السادس عشر ، وكان من أشد تلك الأصوات ظهوراً، صوت "يوحنا رخلن" الذي عاش ما بين سنة ١٤٥٥م إلى سنة ١٥٢٢م، وصوت "أزم" الذي عاش ما بين سنة ١٤٦٩م إلى ١٥٣٦م وفي تلك الفترة أيضاً ظهر "تومس مور" الذي أخذ يدعو إلى إصلاح الكنيسة بالطريق السلمي الذي سلكه رخلن وارزم ، ولكن هذه الدعوات لم تجد لها آذاناً صاغية، واستمرت الكنيسة في طريقها ، ولم تستجب للإصلاح الذي نادى به أولئك الزعماء، لهذا كان لابد من طريق آخر يتسم بالعنف والشدة حتى ترضخ الكنيسة لمطالب الإصلاح، وهذا ما تم بالفعل بدأ الاتجاه الجديد لإصلاح الكنيسة يأخذ طابع العنف والشدة ولعل أبرز زعماء هذا الاتجاه "مارتن لوثر" و "زونجلي" و "كالفن" ونتيجة لتلك

الحركات التي تزعمها هؤلاء "لوثر ، زونجلي ، وكالفن" انقسم العالم المسيحي إلى فريقين :

أ - فريق أيد حركة الإصلاح ، وخرج على الكنيسة وعارضها ، وأصبح له مذهب يعرف "بالبروتستانت" أي المحتجين، يغاير مذهب الكاثوليك في بعض الأمور .

ب - وفريق بقي على ولائه للكنيسة الكاثوليكية وعلى رأسها البابا .

كما تمسك زعماء البروتستانتية غاية التمسك بنصوص الكتاب المقدس وصرحوا بأنه لا يجوز بأي حال من الأحوال الخروج عليها ! ، وعلى سبيل المثال فقد صرح لوثر - كما يقول - "غوستاف لربون" : "بأنه لا يجوز للنصارى أن يتبعوا غير ما جاء في الكتاب المقدس" . [محمد عادل زعيتر]

ولقد تمسك زعماء الإصلاح لمذهبهم ، وعاقبوا كل من يخالفهم فيقول لوبون : "وكان كلفن غير متردد في قتل من لم يكن على مذهبه" . [محمد عادل زعيتر]

كما يتحدث "أ. وولف" في كتابه "عرض تاريخي للفلسفة والعلم" عن موقف حركة الإصلاح من العلم فيقول : "أما من حيث حركة الإصلاح الديني فإن المصلحين كانوا لا يقلون تعصباً عن رجال الكنيسة الكاثوليكية أن لم يزيدوا عليهم" ثم يذكر ما تعرض له "سرفيتوس" من حرق ليدلل على عداء البروتستانت للروح الطبيعية للعلم ، أما بالنسبة لموقفهم من العقل، فقد كان - كما يقول ديوارنت - في غاية الاستخفاف ، حيث لم يعطوا له أهمية ، ولعل تصريحات لوثر والتي ذكرها ديوارنت تبين بصورة جلية موقفهم من العقل ، ومما قاله : "أنت لا تستطيع أن تقبل كلاً من الإنجيل والعقل، فأحدهما يجب أن يفسح الطريق للآخر" ثم يبين نوع العلاقة التي تقوم بين العقل والدين فيقول : "أن العقل هو اكبر عدو للدين !" . كما اعتبر المحاولات التي قام بها بعض العلماء مثل ، "آراز موس" وغيره للتوفيق بين العقل والكتاب المقدس - وذلك عن طريق التأويل المجازي - بأنها كفر وإلحاد . وهكذا يتضح من أقوال المسيحيين أنفسهم ، كيف أن البروتستانتية بمختلف شعبها من لوثرية وكالفينية اقتفت خطى الكنيسة الكاثوليكية في اضطهادها للعلم ، ومحاكمة كل من لم يلتزم بمبادئها، وعلاوة على ذلك فقد هاجموا - كما فعل رجال الكنيسة الكاثوليكية - كل حقيقة علمية تخالف ظاهر النصوص المقدسة! ومن ذلك مهاجمتهم لنظرية كوبرنيكوس حيث اتهموه بأنه مأفون مصاب بمس ومن ذلك ما صرح به لوثر حيث قال : "يصغي الناس إلى منجم يحاول أن يثبت أن الأرض تدور" . [عبد الله المشوخي]

وكذلك قاوم كالفن حرية التفكير وهاجم الحقائق العلمية التي تخالف - على حد زعمه الكتاب المقدس "وأعلن كفران كل من يقول بأن الأرض ليست في مركز النظام الكوني" ثم أخذ يتساءل : "مَن منَ الناس يجرؤ على أن يضع لسطة كوبر نيكوس فوق سلطة الروح القدس" . [إسماعيل مظهر]

وهكذا تلقى العلم الضربة تلو الضربة من قبل الكنيسة حيث لم تكن الكنيسة البروتستانتية أقل وطأة من الكنيسة الكاثوليكية في اضطهادها للعلم . أما بالنسبة للعلماء فلم يكن نصيبهم في المذهبين سوى القتل والحرق والسجن ، ولم يقتصر الكره والحقد على الكنيسة من قبل العلماء والفلاسفة فحسب ، بل امتد حتى شمل

أغلبية الناس، حيث ازداد التذمر، وكثرت الشكاوى التي وجهت للكنيسة. وتدرج النقد إلى أن وصل إلى مرحلة المعاداة الصريحة للمعتقدات الدينية، والتهجم على الكنيسة، والجهر بنقد رجالها، ومن ذلك ما قام به "فولتير" حيث أخذ ينقد الكنيسة ويهاجمها في كل ميدان، ولعل كتابه "مقبرة التعصب" يظهر لنا مدى استخفافه بالدين حيث يقول في مطلعه: "أن من يعتنق دينه من غير تفكير - شأن السواد الأعظم من الناس - كالثور الذي يستسلم للنير ويحمله راضياً". كما ظهر في فرنسا مجموعة من الفلاسفة أمثال "ديدرو، هلباخ، وريNال" ألفوا قاموساً جامعاً لخلاصة المعارف الإنسانية بعنوان "الأنسكلوبيذيا" اظهروا فيه معاداتهم للأديان، ومما قالوه: "أن الشرائع والأديان هي العوائق التي تحول دون حصول الإنسان على السعادة، يجب عليه محوها ليرجع إلى الطبيعة". وكانت الضربة القاضية مع بداية الثورة الفرنسية، التي استطاعت أن تحد من سيطرة الكنيسة وتبعدها عن ميادين الحياة سنة ١٧٨٩م. وأعلن العلماء انهم غير خاضعين للدين، ولا لما تقوله الكنيسة، "وظهرت كلمة - حر الفر ومعناها الحقيقي ملحد" وهكذا خرج العلم من نطاق الكنيسة، ووقف من الدين موقف التضاد والتصادم، فالذي يلتمس العلم لا ينبغي له أن يتدين، ومن أراد التدين فلا ينبغي له أن يتعلم، فالإيمان بأحدهما يقتضي الكفر بالآخر. بل وصل الأمر إلى أن مجرد ذكر الله في البحث العلمي يعتبر مفسداً له ومخرجا له من دائرة العلم إلى دائرة الغيبيات، التي لا دليل عليها فيما يقولون! إنما يصبح الإنسان ذا تفكير علمي إذا أنكر تلك الغيبيات". [عبد الله المشوخي]

٣ - ٣ موقف الإسلام من العلوم

على نقيض ما سبق نجد في القرآن الكريم أن هناك حشداً كبيراً من الآيات تحث الإنسان على التأمل والتدبر، وان يتبصر بحقيقة وجوده وارتباطاته بالمخلوقات الأخرى وكيفية الاستفادة منها، وتسخير ما في الكون بما يعود بالنفع على الإنسانية، علاوة على مدحه للعلماء وتفضيلهم على سائر البشر، والمتأمل والمتدبر في القرآن الكريم يجد أن كل الأحكام الشرعية التي تضمنها كتاب الله - عز وجل - تتقبلها العقول ولا يمكن أن تصطدم مع العقل السوي، ولقد كان العلماء في الدولة الإسلامية يجدون في حلهم وترحالهم كل عناية واهتمام من قبل الحكام في البلاد الإسلامية، فبالإضافة إلى المكانة الرفيعة التي كانوا يحظون بها عند الخلفاء والولاة والأمراء، كانت الأموال تغدق عليهم، وتيسر لهم جميع الوسائل في سبيل مواصلة أبحاثهم ودراستهم، كما هُيئت لطلاب العلم في الدولة الإسلامية جميع التسهيلات في سبيل مواصلة دراساتهم بالإضافة إلى الأموال التي كانت تنفق عليهم، وإنشاء المدارس والجامعات ودور العلم، فقد كان بعض الولاة يأمرون ببناء المساكن لطلاب العلم، حتى يستطيعوا مواصلة دراساتهم دون أي صعوبة تواجههم، علاوة على الأوقاف الكبيرة التي كانت توقف على طلبة العلم. ولقد انتشرت المكتبات التي كانت تحتوي على آلاف الكتب والمجلدات في شتى أنواع العلوم والمعرفة في سائر البلدان الإسلامية، حيث اهتم الخلفاء والولاة غاية الاهتمام بالكتب، فأرسلوا الرسل وأنفقوا الأموال الطائلة في سبيل الحصول عليها، وجندوا العلماء لترجمتها كما عينوا جهازا ضخماً من وراقين ونساخ وغيرهم في سبيل المحافظة على الكتب وترتيبها وتصنيفها، علاوة على الاهتمام بصناعة

الورق، التي كان لها اثر كبير في نشر الكتب . [عبد الله المشوخي]

وكانت - حقائق المعاينة والكشف عن المرضى ووصف العلاج، والقيام بالعمليات الجراحية وغير ذلك من الأمور التي توفرت لعلاج المرضى وراحتهم ، بالإضافة إلى المستشفيات الراقية التي توفرت فيها شروط الصحة والكمال - تحدث في العالم الإسلامي، ولعل الآلات والمؤلفات والآثار الإسلامية في علم الفلك تدل دلالة واضحة على مدى تفوق علماء المسلمين في هذا العلم ، ولعل المراصد التي أنشئت في عهد المأمون، والدراسات التي كان يقوم بها العلماء ، أمثال "عبد الرحمن الصوفي" و"أبناء شاكر" و"والبتاني" وغيرهم من تصحيح لبعض النظريات العلمية الشائعة في ذلك العصر، لاسيما فيما يتعلق بالضوء والإبصار علاوة على رصدهم للنجوم ، ودراسة ظاهرة الكسوف والخسوف، تدل دلالة واضحة على رقي علم الفلك وازدهاره في البلاد الإسلامية واشتهر بين الجغرافيين الإسلاميين "الإدريسي" و"ابن بطوطة" و"البغدادي" وغيرهم من العلماء الذين نبغوا في علم الجغرافيا ، حيث تركوا ثروة نفيسة من المؤلفات سجلوا فيها مشاهداتهم أثناء قيامهم بالرحلات العديدة عبر الأقاليم والبلدان، بالإضافة إلى وصفهم الدقيق للظواهر الجغرافية، ورسمهم للخرائط المتنوعة ، مما يدل على العناية الفائقة بهذا العلم ، وكذلك حظيت الكيمياء - كسائر العلوم الأخرى - بالعناية والاهتمام من قبل العلماء المسلمين ، فبالإضافة إلى عمليات التقطير والترشيح والتصعيد ، فقد كانوا يجرون التجارب العديدة ويحضرون المركبات المختلفة ، كحامض الكبريتيك ، والنتريك ، وغيرها من المواد الكيميائية، التي كانوا يستخدمونها في الصناعات المختلفة ، كدبغ الجلود وصناعة الأدوية والعقاقير ، وتحويل المعادن الخسيسة إلى نفيسة وهكذا يتضح الوجه المشرق لتاريخ الحضارة الإسلامية ، وكيف أن الأمة الإسلامية استطاعت نتيجة لتمسكها بدينها أن تبلغ المجد والعزة والتقدم والازدهار في شتى أنواع العلوم والمعرفة ، وكانت لغتها لغة العلم ، علاوة على المؤلفات الضخمة التي كانت بمثابة المراجع الأساسية لكل من أراد أن يتعلم وبالمقابل يتضح تاريخ الكنيسة المظلم ، التي اضطهدت العلماء ، وحاربت الحقائق العلمية وقيدت العلوم بنظرياتها وأفكارها ، ولهذا لا غرابة أن تثور أوربا على الكنيسة ثم على الدين نفسه لأنه أصبح في نظرها العقبة الكبرى في سبيل التقدم والازدهار وتحرر العقل البشري. [عبد الله المشوخي]

٤ - التراث العمراني الغربي ما قبل القطيعة

ربما بمراجعة سريعة في عمارة الغرب يساعدنا ذلك في تفهم التغيرات التي طرأت في الطرز في العالم الغربي وربما يساعدنا على تفادي الصراع القائم بين الطرز في مجتمعنا الإسلامي. أن الغرب رجعوا في أصولهم المعمارية إلى الأخذ من التراث وخاصة تراث الإغريق والرومان كلما حصل عندهم نهضة فكرية وقلما تجد من يشذ عن هذه القاعدة ففي عصر النهضة رجع المعمار إلى الأصول الإغريقية الرومانية وفي القرن التاسع عشر انتصرت الكلاسيكية وسادت حتى ظهور الحداثة وأخيراً استلهم معماريو عمارة ما بعد الحداثة من التراث لمسات أضيفت إلى العمارة الحديثة .

فإننا إذا نظرنا إلى التغييرات في الطراز المعماري في العالم الغربي ابتداء بالعمارة اليونانية لوجدنا أن

التغييرات تكاد تكون بطيئة جدا ولقرون عده فالعمارة اليونانية كانت تعرف بالأفقية أو المباني ذات العوارض الأفقية من ٦٥٠ قبل الميلاد إلى ٣٠٠ قبل الميلاد وكانت اشهر مبانيهم المعابد التي تأوي الآلة حيث كانت ديانتهم تقوم على التعددية (الوثنية) .

وفي العمارة الرومانية (٣٠٠ قبل الميلاد إلى ٣٦٥ بعد الميلاد) نجد أن الطراز اليوناني استمر مع بعض الإضافة والتجديد ولكن مع اكتشاف الأسمنت والمونه تغير شكل المبنى إلى الشكل الأفقي والمقوس بعد أن كانت سابقاً أفقية . فلقد غير اكتشاف واستعمال الأسمنت طابع العمارة واستخدم بشكل إيجابي ولم يتصور قيام أحد بمعارضة استخدام المواد الجديدة وغير المألوفة سابقا بحجة المحافظة على التراث .

عندما أعلن قسطنطين القسطنطينية (بيزنطينيوم) ، وهي مدينة إغريقية قديمة (اسطنبول حالياً) عاصمة للإمبراطورية الرومانية وسماها روما الجديدة عام ٣٣٠ ميلادية ابتدأت فترة العمارة البيزنطية وتميزت هذه الفترة بتطور جديد للقبه بحيث يغطي المساقط المربعة والمضلعة للكنائس ومباني التعميد ، فلقد أثرت تقنية البناء هذه على الطراز وغيرته عما كان بشكل كبير . واستمرت الطرز على ما كانت عليه في العمارة الرومانية حتى ٨٠٠م .

اثر سقوط الدولة الرومانية وظهور الدولة البيزنطية ظهرت عمارة الرومانسك في غرب أوروبا في الدويلات المستقلة من القرن الثامن حتى القرن الثاني عشر وفيه ظهرت سلطة الكنيسة في كل أمر مما أدي إلى تتويج البابا تشارلمنج بالإمبراطور الروماني المقدس وتزامن معه ظهور الإقطاع . فلقد قسم فلتشر هذه الفترة الرومانسك الإيطالي (من القرن ٩ حتى ١٢) الرومانسك الغربي (من القرن ٩ حتى ١٢) الرمانسك الألماني (من القرن ٩ حتى ١٣) .

ففي نهاية القرن الثاني عشر تكونت الدول بشكل واضح على خارطة أوروبا ، فكانت هناك فرنسا ، إيطاليا ، أسبانيا ، إنجلترا ، ألمانيا ، بولندا وكانت سلطة الكنيسة قوية لدرجة أنها كانت تعين الملوك والأمراء وأصبح أكبر دخل يجبى إلى صاحب الكنيسة وظهرت في هذه الدول العمارة القوطية (من القرن ١٢ حتى ١٦) وتميزت باستخدام العقد المدبب والتي تأثرت بالعمارة في بلاد الإسلام ، فهناك العمارة القوطية الفرنسية ، القوطية البلجيكية ، القوطية الهولندية ، القوطية الألمانية .

وما بين القرن الخامس عشر والتاسع عشر ظهرت حركة انتقالية بين القرون الوسطى والعصر الحديث أطلق عليه عصر النهضة تميزت بالتأثر بالمفاهيم الكلاسيكية وبازدهار الأدب والفن وبداية الحركة العلمية الحديثة والتي بدأت في إيطاليا فكانت العودة إلى الفكر الإغريقي والروماني وذلك لفقدان الثقة بالكنيسة لكثرة فسادها وتسلطها وتعسفها كما مر سابقاً وكانت سابقة لحركة القطيعة مع الماضي .

ولقد أوجد اكتشاف الثقافة الكلاسيكية هوى في إيطاليا للعودة إلى العمارة الرومانية وكان لاختراع الطباعة في ذلك الوقت دور كبير في انتشار حركة الإصلاح البروتستانتي كما مر سابقاً والذي أدى إلى الرجوع إلى

الأصول اليونانية وترجمة الأعمال الكلاسيكية والتي أثرت بشكل قوى على الفنون قبل أن تؤثر على العمارة ومن ثم الرجوع إلى العمارة التراثية فكانت إيطاليا أول من رجع إلى العمارة الرومانية وذلك لوجود تركة كبيرة من بقايا العمارة الرومانية وتبعتها بقية دول أوربا في ذلك .

كما أن اختراع البارود غير مجرى الحروب مما اثر على الحياة العامة واستقلال الدول ورجوع كل دولة إلى أصولها وكان له الأثر المباشر في العمارة ، فلقد شهدت هذه الفترة انقطاع أو فجوة وقطيعة في استمرارية نمو عمارة أوروبا والتي بدأت بعمارة الرومان ثم المسيحية فالرومانسك إلى القوطي ثم فجاءه ظهرت الواجهات الرومانية مرة أخرى مع الإبقاء على طريقة البناء القوطية في ذلك العصر فكان رجوع إلى الشكل الروماني (المظهر) كما يقول فلتشر العودة إلى الشكل الكلاسيكي CLASSICAL ARCHITECTURAL FORMS مع أن الحياة تغيرت (أي طريقة معيشة الإنسان تغيرت) والمباني بقيت (أي لنفس الأغراض) فان التعبير حصل في التغيير الخارجي فقط .

٥ - العمارة ما بعد القطيعة

إلى هنا ونرى التطور والتغيرات التي حصلت في الأشكال والطرز بطئه نسبيا وأخذت قرون عديدة والتغيير في الطراز كان له أسبابا اجتماعية أو اقتصادية أو دينية أو سياسية .

أن جذور حركة الحداثة في العمارة أو العمارة الحديثة تعود إلى عصر الثورة الفرنسية (١٧٨٧م) والتي تؤرخ بداية فصل الدين عن الدولة وظهور الدول الحديثة (STATES) وتخلص العالم الغربي من سيطرة الكنيسة واضطهادها للعلماء والمفكرين والذي يطلق عليه عصر التنوير الأوربي حيث قام مشروع الحداثة على العقلانية (تغليب العقل على النص) والفردية واليقين بتقدم الإنسان المطرد والحتمية في الطبيعة وفي التاريخ، وتبنى الجانب المادي فقط وظهور فلاسفة ومفكرين وضعوا مفاهيم للفكر المادي وتطويره وتأثيره على النقد والأدب والفن الموسيقي والفلسفة ، وبذلك تكون أثرت على جميع مجالات الحياة المختلفة حتى وصلت للعمارة والتي جسدت تلك الأفكار على حساب إهمال الجانب الروحي والتي سببت في ظهور الاتجاهات التي ستذكر لاحقاً .

ولقد شن رواد الحداثة حملة شعواء على التراث لدرجة أن بعض الاتجاهات كانت عملية رد فعل أو مضاد لما هو موجود في العالم المسيحي. حتى أن لينين انتقد مراراً في كتبه وأقواله اليسار المتطرف والذي يرغب في قطع صلته بالماضي في محاولة لإيجاد ثقافة بروليتارية (عمالية) تقوم على أنقاض التاريخ .

ولقد شهد القرن التاسع عشر الثورة الصناعية وتحول في الاقتصاد من زراعي إلى صناعي والزيادة في عدد سكان المدن نتيجة الهجرة من الأرياف إلى المدن للبحث عن فرص العمل في المصانع ، أطلق على هذه الفترة معركة الطراز BATTLE OF STYLES وذلك بين الكلاسيكية والقوطية وانتصار الكلاسيكية في أواخر القرن في حدود ١٩٠٠ ميلادي .

بداية الفصل بين القديم والحديث في العمارة يمكن اعتباره بدأ حوالي ١٩٠٠ ميلادي في الفترة التي ظهرت فيها عمارة (ART NOUVEAU) والتي كانت أخر نتاج عمارة ما قبل الحداثة، ومدرسة الفنون بجلاسكو من تصميم شارلز رينيه ماكينتوش ربما يعبر بصدق عن تلك المرحلة وهي مرحلة الانتقال في العمارة من القديم إلى الحديث فالمواد المستخدمة هي الحجر، الطوب، الخشب، الحديد، كلها ليست حديثة ولكن التقنية التي استخدمت وطريقة التشكيل بهذه المواد جعل منها المعماري ماكينتوش عمارة حديثة.

ولقد شهد القرن التاسع الميلادي انقلاباً على الاتجاه السائد بظهور حركات الرواد (AVANT - GARDE) وقطع الصلة بالطرق التقليدية ويمكن اعتبار ان تطوير الفن الحديث عبارة عن سلسلة من الحركات الفنية للـ (AVANT - GARDE) مثل الرمزية (SYBOLISM)، والفوفية (FAUVISM) (مذهب في الرسم متحرر من التقليد)، والتكعيبية (CUBISM)، الدادية (DADA - ISM) (مذهب في الفن والأدب يتميز بالتأكيد على حرية الشكل تخلصاً من القيود التقليدية) السريالية أو ما فوق الواقع (SURREALISM) (مذهب حديث في الفن يهدف إلى التعبير عن نشاطات العقل الباطن)، المستقبلية (FUTURISM) (حركة في الفن والموسيقى أو الأدب تميزت بالدعوة إلى اطراح التقليد ومحاولة التعبير عن الطاقة الدينامية المميز للحياة المعاصرة) ... الخ. وكل هذه الحركات تدعو إلى نبذ التراث والتحرر من الماضي، حيث كان الفن قبل ذلك عبارة عن تصوير الواقع ورسم المناظر كما يراها الفنان بصدق وبدون أي تحوير أو تجريد واصبح هدف هذه الحركات التجريد والتحور والبعد عن الصدق في النقل وهذه الحركات كلها تعزز حركة القطيعة مع التراث.

ولقد كان لظهور مدرسة الباهاوس في شرق ألمانيا ترسيخ عمارة الحداثة والثورة على كل قديم موروث وقطع الصلة بالماضي والتي بدأت عام ١٩١٩ ميلادي في مدينة ويمر (WEIMAR) العتيقة/ التراثية والغنية بالتاريخ لذلك لم تنجح الحركة لمعارضة المدينة للحركة، ولم يكن بالطبع المكان المناسب لهذه الحركة حيث لم تلقى الترحيب اللازم كما حصل مع عمدة مدينة ديساو (DESSAU) الدكتور فرتز هيس (DR FRITS HESSE) والذي وجه لرواد المدينة دعوة رسمية للانتقال إلى مدينته الحديثة، وبانتقالهم إليها بعد ست سنوات نستطيع أن نقول أن بداية قطع الصلة مع الماضي قد بدأت كما يقول نيقولاس فوكس ويبر في مقالته التي نشرها في (AR-CHITECTURAL DIGEST) عدد ديسمبر ١٩٩١م.

في عام ١٩٢٨م استطاعت مدام هيلين دي ماندروت جمع رواد الحداثة المعمارية في قصرها الريفي في ساراز بسويسرا برعاية شارلز ايدوارد جينريه والذي سمى نفسه لاحقاً لوكوربوزييه وذلك لتكييف العمارة الحديثة في المرحلة ما بين الحربين في الظاهر وربما كانت هناك نوايا سياسية بعيدة المدى وجدت صداها لاحقاً عند البروتستانت من الأمريكيين. وقد تم في هذا الاجتماع إيجاد منتدى لمناقشة المشاكل الحديثة وتكوين الاجتماع العالمي لعمارة الحداثة (CIAM).

في عام ١٩٣٢م مع حصول الحزب النازي على الأغلبية في مدينة ديساو (DESSAU) تفقد زعماء الحزب النازي مقر الباوهاوس حيث قام المعماري ميس فان دي رو بعمل جولة لهم داخل المدرسة وفي النهاية أعلنوا

أن الباهاوس يجب أن تقفل فورا، عندها قالت صحيفة المدينة بتاريخ ١٠ يوليو من ذلك العام "أن إقفال الباوهاوس معناه أننا سنخسر من الأراضي الألمانية ظهور الفن الماركسي اليهودي (JEWISH MARXIST ART) ويبدو أن معظم الرواد في الباوهاس من اليهود الذي اعتنقوا المذهب المخالف للمذهب السائد في أوروبا آنذاك.

لقد تميزت الفترة التي بدأت فيها العمارة الحديثة من عام ١٨٦٠م إلى ١٩٧٠م بعدم الالتفاف إلى الماضي أو التراث وسبب ذلك هو تأثير حركة فصل الدولة عن الكنيسة على الفنون وتحرر الفن من سيطرة الكنيسة والقطيعة التامة مع الماضي والذي يمثله الكنيسة والدين واحسن تشبيه لهذه العمارة برجل يمشي إلى الأمام ولا ينظر إلى الخلف أبداً ويرى أن الرجوع إلى الماضي جريمة، مما حدا بالمعماري الحديث ادولف لوس أن يقول مقولته الشهيرة "الزخرفة جريمة" وقول ميس فان دي رو "الأقل هو الأكثر" والتي كانت ضربة مباشرة لعمارة الكنائس والقصور ولكون واجهات الكنائس والتي كانت تمثل قمة العمارة في أوربا آنذاك تتميز بالزخرفة والتناظر (SYMMETRY) فإن الحداثيين تجنبوا أي تناظر في عمارتهم مع وجود كره شديد لديهم لهذا المصطلح كرد فعل للكنيسة والإقطاع، مع أن الإنسان والذي هو اجمل ما خلق الله في هذا الكون نصفه الأيمن يماثل نصفه الآخر، واصبح سمة هذه الفترة التجديد من اجل التجديد لأن الماضي كان ساكناً وجامداً مدة طويلة من الزمن وان التقدم دائماً هو السير إلى الأمام وعدم الرجوع للتراث والتي وصفت لاحقاً بالتقدمية وان التخلف هو الرجوع إلى الخلف والأخذ من التراث والتي وصمت بالرجعية وذلك تأكيد للقطيعة مع الماضي (التراث).

٦- الرجوع إلى التراث

بعد الممارسة الطويلة للعمارة الحديثة ومحاربة العمارة الحديثة للزخرفة ومقولة ميس "الأقل هو الأكثر" والأقل هناك يعني فيه الزخرفة وقع معماريو الحداثة في ممارستهم إلى التمادي في التبسيط وكما يقول فنتروي "أن التمادي في التبسيط يعني عمارة تافهة، الأقل يعني الأمل" وعلى النقيض مما قاله ميس فان درو عن التقليل من الزخرفة بقوله "الأقل هو الأكثر" وكما ذكر كولن دايفز في مقالته عالم من المعاني والتي نشرتها مجلة (THE ARCHITECTS JOURNAL) عدد مايو ١٩٩٢م "أن فشل عمارة الحداثة هو نتيجة للأشكال الفجة والأشكال بدون قاعدة والتي استعملت بكثرة في الواجهات" كل هذا أدى إلى البحث عن المعنى في المبنى، ومنذ ربع قرن أوجد مجموعة من النقاد نظرية في العمارة يؤكدون فيها استحسانهم للرجوع إلى الماضي وفي الاقتباس والنقل من التراث فكانت عمارة ما بعد الحداثة (POST - MOD ERNSIM) ولقد عرفت هذه الحركة في بدايتها أنها ضد الحداثة وكان يقال لها AGAINST MODERNSIM ويمكن تعريف هذه العمارة برجل له رأسين واحد إلى الأمام ينظر إلى المستقبل وآخر من الخلف ينظر إلى الماضي (التراث) مراعاة للأصوات التي نادت بتأصيل عمارة الحداثة وربطها بالجذور التاريخية لإعطاء الهوية المحلية ولقد وصف المعماري روبرت فنتوري رد فعله لهذه الظاهرة بإيجاز بارع "لا شيء" في رسالته أو بحثه المؤثر ١٩٦٦
COMPLEXITY AND CONTRADICTION ARCHITECTURE

لذلك يمكن القول أن الاهتمام بالتراث والرجوع إلى الماضي لم يكن غريباً على الأوربيين فعمارة النهضة (RENAISSANCE) كانت نكسه للعمارة القوطية وذلك لاكتشاف الثقافة الكلاسيكية آنذاك بسبب حركة الإصلاح البروتسناتنى مما أدى إلى الرجوع إلى الأصول اليونانية وترجمة الأعمال الكلاسيكية والتي أثرت بشكل قوى على العمارة. أذن نستطيع القول بأن عصر النهضة الأوربية والتقدم حصل بالرجوع إلى الماضي والتراث ، وكذلك عمارة ما بعد الحداثة تأثرت بالرجوع إلى التراث لصياغة رؤية مستقبلية . [الطاشكندي]

٧ - معاودة استمرار القطيعة مع التراث

والآن نشهد في الغرب حركة جديده تسمى بـ (DECO DECONSTRUCTIVISM) أو ما يقال له بالعمارة التفكيكيه أو التشريحية والتي تأثرت بأفكار الفيلسوف الفرنسي دريدا والتي قلبت موازين الجمال رأساً على عقب للهروب من تهمة عدم التجديد والسكوت على الأفكار التي اصبحت قديمة وفي نفس الوقت لا يرون الرجوع إلى الماضي بأنه يفيد التقد واصروا على أن الرجعية تخلف. وماذا بعد؟ هل سيتوقف التطور والتغيير عند هذا الحد؟ ، اشك في ذلك وقد يتسأل البعض لماذا؟ فأقول أن السبب في كثرة التغيرات التي حصلت في الطراز بعد الثورة الصناعية وثم بعد فصل الدين عن الدولة أدى إلى تغيير في الثوابت بحيث أصبحت الآن من المتغيرات وفي سبيل البحث عن ثوابت جديده فسيستمرون في البحث عن الهوية وبالتالي يقودهم هذا التفكير إلى التغيير دائما وينعكس ذلك بكل تأكيد على العمارة وفي ذلك يقول المعماري فيليب جونسون مقدم كتاب Decontsonctivist Architecture " في الفن وأيضا في العمارة على كل حال هناك عدة اتجاهات ومتناقضة في جيلنا المتغير السريع ، وفي العمارة نجد أن الكلاسيكية الصادقة والحداثة الصارمة وكل أنواع الدرجات بينهما كلها صحيحة بالتساوي ولم يظهر شيء مقنع بعد وربما لا يظهر وما لم يوجد أو يظهر دين جديد أو مجموعة معتقدات على نطاق العالم فربما لا يمكن تشكيل علم جمال " .

٨ - موقف المسلمين من القطيعة والاستمرارية

حيث أن المسلمين ملتزمون بالشريعة التي هي مصدر الثوابت في العمارة فقد لا يحتاجوا إلى التغييرات الجذرية والسريعة والمفاجئة كالتي حصلت للعمارة الغربية من بعد عصر النهضة. ومادام المعماري يخضع تصميماته لمتطلبات الشريعة الإسلامية فهو لا يزال في استمرارية والانقطاع الذي حصل في الشكل الخارجي نتيجة استخدام مواد بناء جديده وتقنيات جديده وأشكال تابعة لها كان لابد له أن يحصل وهي من سنن الحياة والإسلام لم يتصادم يوما ما مع تقدم العلوم أو كان يعادي استعمال التقنية المفيدة أو مواد البناء الحديثة كما حصل في العالم الغربي حيث اضطروا إلى التخلي عن الدين كي يواكبو مستجدات العصر فتقنية البناء والمواد والزخرفة وطرق الإنشاء لاتتمذهب بمذهب خاص ولا تتلبس بجنسيه دون غيرها فهي أمور خاملة NEUTRAL في عرف الإسلام ففي الفترة التي شهدت العمارة في القرن التاسع عشر وما قبله جموداً وذلك بتسلط الكنيسة مما أدي إلى انفصال الدولة عنها نجد على النقيض من ذلك أن الإسلام ساهم في تقدم العلوم

ومنها العمارة ولم يكن حجر عثره أمام تقدمها وتطورها فأينما ذهب المسلمون شجعوا العمارة المحلية وأضافوا أليها واستخدموا مواد البناء المتوفرة والتقنية بذكاء فأبدعوا لأنهم اعتبروا أن مواد البناء والتقنية من المتغيرات وليس من الثوابت فالإبداع في هذا المجال لا يمس الدين فلذلك كان هناك التجديد والتطوير والتغيير والتنوع. لذلك لما تأثر المسلمون بالثورة الصناعية ودخول المواد المصنعة الجديدة وما رافقها من أنظمة تشييد وتقنية بناء لم يعارضوا ذلك بل على الفور تبنوها واستخدموها مادامت تخدم مصالحهم ولم تتعارض مع الثوابت ، لذلك نجد استعمال الخشب في بيوت مكة في الرواشن والمشربيات بكثرة ومكة شرفها الله تخلوا من الأشجار (ارض غير ذي زرع) وكلها مستوردة ولم ينكر عليهم أحد عملهم ذلك في استيراد مواد من خارج البيئة بل انها اصبحت لاحقاً سمة مميزة لعمارة مكة واطلقت عليها العمارة التقليدية أو التراثية أو المحلية.

فالثوابت هو ما أثبته الله ورسوله بشكل واضح وصريح وغير ذلك من المتغيرات ومن يقول غير ذلك فهو يضيق على المسلمين فإذا تحققت الثوابت في العمارة فالتجديد في المتغيرات لا ضرر فيه وتحديث المتغيرات القديمة ليس به من بأس مادام يؤدى غرض ما ومنفعة لفرد أو مجموعة ، أما تحجير العمارة في بلاد المسلمين بأنها أنماط وأشكال ثابتة فهذا عين الخطأ فالإسلام دين عالمي سيستمر حتى تقوم الساعة فلا يمكن توقيفه في فترة من الفترات ومن ثم نتمسك بتشكيل المباني أو الفراغ أو بالطرز في تلك الفترة والتي اصطلحوا عليها خطأً بأنها عمارة إسلامية وغيرها بأنها غير إسلامية وفي نفس الوقت لا يوجد ضرر من استعمال المحبين والمشجعين للطرز التي أفرزتها فترة من الفترات وكانت من التراث حسب التعريف الذي ذكرته سابقاً.

كذلك تغليط المؤرخين المفرطين في الحساسية للمعماريين الذين استفادوا مما أنتجته التقنية الإنشائية الغربية أو المواد التي اكتشفت في الغرب في الفترة الحديثة إنما نتج من عدم قدرتهم على فهم الدين الإسلامي وان هذا الدين هو دين يخاطب العقلاء ولا دور للمتعصبين فيه ولا للأهواء فمن يغطى مساحة كبيرة بقبة من الطراز البيزنطي مثلا ووجد أنه مناسب واستعمل بذكاء فانه يصبح من عمارة المسلمين لاحقاً والشواهد على ذلك من تاريخ العمارة كثيرة فينبغي أن تصحح المفاهيم لأنه يسمع دائما في مجتمعنا العربي أن فلانا صمم مسجدا في السعودية على شكل عقود فاطمية وقبة بيزنطية وفلاناً صمم منزلة في جدة على شكل يحاكي الطراز الاوربي والذي نتج نتيجة استخدام مواد جديدة وتقنيات بناء حديثة افرزتها الثورة الصناعية نقول لهؤلاء انه لا توجد جنسيه ولا ديانة ولا وطنيه لمواد أو تقنية البناء وخاصة عند المسلمين فهم أحرار فيما لديهم من مواد وأنظمة بناء إذا كانت من المتغيرات ولم تمس الثوابت وتلبي المتطلبات الفراغية والوظيفية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها من المتطلبات.

إذاً الإسلام ليس ضد مواد بناء آتيه من الغرب أو من الشرق ولا نستطيع أن نقف ضد استخدام التقنيات الحديثة (الغربية أو الشرقية) أو مواد البناء المستوردة أو الاختراعات بحجة أنها غربية أو حديثة ولكن يجب أن يكون عندنا مصفاة، يجب أن نفرق بين الأدوات والقيم. فلقد انتشر في مكة والمدينة وجدة المشربيات والرواشن المصنوعة من الخشب وكلها كانت مستورده لعدم توفر الخشب في الحجاز وأصبحت فيما بعد من

العمارة المحلية والتقليدية فكذلك العمامة الشاشية كانت تؤتى من الشاش (طشقند) ويلبسها المكي والمدني والمغربي والكوفية من الكوفة ويلبسها النجدي والهندي والمصري وهكذا لم يجد المسلمون حرجاً في استيراد أو استخدام ما يفيدهم إقتداء بقول رسول الله للأعرابي والذي ضيق على المسلمين في دعائه "لقد ضيقت واسعاً".

إذاً العمارة تتكون من مواد بناء ونظم هي من المتغيرات وكذلك تتأثر بالقيم والمبادئ وهي من الثوابت فبالمحافظة على الثوابت نحصل على الاستمرارية وباستخدام المواد والتقنية والأساليب الحديثة نحصل على عمارة مناسبة تواكب التغيير وتصبح لاحقاً من التراث. [الطاشكندى]

إذاً الخطأ ليس في استيراد أو جلب التقنية أو مواد البناء أو تقليد الماضي أو الاستفادة من التراث وخلافه ولكن الخطأ هو في التقليد وان ظهر مساؤه وعيوبه وعدم جدواه أو الاستيراد لما يسبب ضرراً للمجتمع أو القيم.

فالتشريعات الخاصة بالبناء والإسكان في الدول العربية ما هي إلا ترجمة للتشريعات الغربية مما سبب عند تطبيقه في البلدان العربية في القضايا الاجتماعية تناقضا واضحا ظهر جلياً في العمران جل من لا يدركه مثل نظام الارتداد والمنقول من بريطانيا سبب في تغيير النسيج العمراني وخرق حرمة الجوار بالسماح في عمل فتحات تطل على الجيران بعد تطبيق الارتداد ، فلو أردنا أن نبنى تحت ظل هذا النظام مباني من الطين والحجر ومزينة بالمشربيات والعقود والقباب والمثلثات فسينتج نسيجاً عمرانياً كما هو في المعاصر وستجرح الفتحات حرمة الجوار ، فيما يدل على أن الشريعة وليس مواد البناء ولا التقنية ولا الزخارف كانت السبب في إعطاء الهوية للبيئة الإسلامية.

فالإسلام دين عالمي لا يتقيد بزمان ولا مكان ولم يقف يوما حجر عثره أمام تطور التقنيات أو استخدام المواد الجديدة أو تحجير وتضييق مفهوم العمارة بزخارف ومفردات سطحية أو مواد دون مواد أو تقنية دون أخرى فهذا التصنيف والتحجير أتى من كتابات بعض ممن عنوا من الغربيين بتاريخ العمارة في البلدان الإسلامية وتبعهم في ذلك من قراء كتبهم وتحمس لها أو درس على أيديهم يقول جروبي : "يمكن تكوين طراز إسلامي يتمثل في استنتاج مفردات من العمارة مثل القبة ، العقد ، المشربية ... الخ وهذه ناتجة من الحضارة الإسلامية فإذا وجدنا في منطقة عدم استعمالها أو ضعف في استعمال هذه المفردات أو عدمها فهذا معناه ضعف في إسلامية هذه المنطقة" بتصرف في الترجمة. أي إذا كانت العمارة الإسلامية هي العقود والأقواس مثلا فإذا أتينا إلى بيئة ليس فيها عقود أو قبب مثل منطقة نجد والتي ليس بها عقود أو مشربيات مثلا فهل هذا يعنى أن نشك في اسلاميتهم هذا ما يقوله جروبي الذي فهم الإسلام بمنظور ضعيف وحجر على المسلمين عمارتهم حتى يقفوا عند الزمن الذي انتج المفردات السابقة الذكر.

كذلك تضيق مفهوم العمارة بنظريات جامدة اعتقد أنها تسبب في التحجير اكثر من أن تكون عاملا للإبداع

المعماري فالنظرية غالباً ما تأتي بعد الإبداع لذلك تراجع بدون مكابرة كريستوفر الكساندر عن فكرة وجود طريقة تؤدي بتطبيقها إلى تصميم إبداعي بعد عشر سنوات من محاولته بتنظير " طرق التصميم في العمارة " DESIGN METHODS .

ولقد بين لنا الإسلام الخبيث من كل شيء وأحل لنا خلافه رحمة بهذه الامه وانه من العبث تقييد شكل المباني بزخارف ثابتة ومحدده يطلق عليها بالإسلامية ولم تفعله الشريعة فكيف لنا أن نشرعه ونعمل على تجميد هذه الصناعة ومن ثم ينطلق بزاوية ضيقة جدا أو ينظر بمنظار ضيق والمجال فيه متسع . كما يجب أن لا تضيق ممارسة المهنة أو الأشكال التي تتشكل بها المباني بزخارف ورموز أو مفردات محدده يكون منشئها أما إنشائي كالعقود أو تذكيري كالخطوط والكتابات أو تفخيمي كالزخرفة فإننا لا ندري ماذا يحصل لصناعة البناء في المستقبل فالإسلام أتى لكل الأوقات فلا يجب حصره في فترة من الزمن واخذ مفردات مباني تلك الفترة ومن ثم إطلاق الصفة الإسلامية أو ما يطلق عليه بالخطأ العمارة الإسلامية ولا ينبغي تحميل مباني الفقراء بزخارف وطرق بناء ربما تكون مكلفة بحجة انها ليست من البيئة أو انها لا تعكس العمارة الاسلامية المتعارف عليه عند البعض وترك البديل وان كان اقل تكلفة وفي ذلك يقول الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم " ان شر ما ذهب فيه مال المسلمون البنيان " ، لذا ينبغي للمعماريين أن يتفهموا احتياج المجتمع أولا ومن ثم إيجاد الحلول الملائمة ومعالجة المشاكل الناتجة سواء كانت اجتماعية أو اقتصادية أو مناخية أو تضاريسية أو تقنية ... الخ ويعملوا على احترام الثوابت الإسلامية عندها فقط نحصل على استمرارية التراث وألا فالفجوة ستظل قائمة لتقليدنا للغرب سواء الذين يقدسون التراث ويرون ان المنتج المعماري هو المصدر لاستنباط القيم والمعاني أو الذين غلو في القطيعة مع التراث وان أحاطت بنا عمارة مليئة بالرواشن والقبب والزخارف والمثلثات .

فان كلمة " العمارة الحديثة " يجب أن لا يفهم خطأ ضمن المجتمع الإسلامي ، فالجديد والحديث لا يعني الأفضل أو الأحسن ولكنها صفات تطلق على الأشياء فالجديد هو ما لم يكن لنا به عهد سابق وهو نقيض البلي والحديث نقيض القديم فكل جديد حديث وليس كل حديث بجديد ، فكل المباني كانت حديثة ثم أصبحت قديمة وأيضا كلها كانت جديده ثم أصبحت باليه وهذا لا يفيد انه جيد أو رديء ، ملائم أو مناسب ، قبيح أو جميل ، ففي تعاملنا مع المشاريع المعمارية يجب أن ننظر إلى كل مشروع على حده ونعرف الغرض الذي من اجله عمل هذا المشروع ومدى الحاجة إليه وهل حقق الغرض والاحتياجات أم لا وعلى هذا يتم النقد والتذوق .

لذلك لا يوجد مانعا من استعمال المواد الجديدة والحديثة على بيئتنا ولكن الأهم من ذلك هو تطوير صناعة البناء والتقنية المحلية وان نعرف كيفية التعامل مع الجديد ضمن إطار الشريعة الإسلامية ولا يجب خلط الأمور وجعل أشياء لا علاقة لها بالإسلام من الشرع المنزل وإضفاء صفة القدسية لها وهى ليست منه في شيء وهنا يأتي دور المؤسسات التعليمية والمؤتمرات في تثقيف المعماريين واستعمال المصطلحات والألفاظ الصحيحة في النقد والشرح وتشجيع التذوق الفني وإزالة كل تعصب مذهبي فني .

أما الكلام عن الطرز فكما جاء في المعجم الفلسفي أن الطراز (TYPE) هو عبارة عن نموذج خاص يعبر عن مجموعة من الصفات تلتقي عندها سلسلة من الأشياء وهو الذي يميز الفنان عن غيره أو عصر معين بذاته والذي يطلق عليه الأسلوب وهذا يختلف من عصر لآخر ومنطقة وأخرى وفنان وآخر فالمعماريون العرب لم يجمعوا ويتفقوا على طراز معاصر لكل منطقة أو أسلوب معاصر(STYLE) يفضل على غيره ولم تعمل الجامعات دراسات تبين وتشرح لنا الفروق في ضوء المعطيات الجديدة، وكل ما عندنا هو محصلة ما أنتجه السلف من تراث أعطت لكل منطقة أسلوب في البناء بالمواد المتاحة والزخرفة المتقنة لديهم وما هو مطلوب حقاً من المعمارييناالممارسين والأكاديميين والباحثين في الجامعات ربط الحاضر بالماضي في الجوهر وليس في المظهر فقط والعمل على استمرارية التراث وتجنب الفصل القائم بين الماضي والحاضر روحياً.

الخلاصـــــة

أن التراث هو أحد قسمي ما يتركه الإنسان (التركة) وهو القسم الذي يتوافق مع الشريعة فما دام الإنسان يخضع أعماله لتتفق مع الشريعة فإنها بالضرورة ستكون لاحقاً من التراث وعندها لا ضير على من يريد الرجوع إلى هذا التراث للاقتباس منه أو تقليده أو تطويعه وتطويره وفي نفس الوقت إذا طبقنا هذا الشرط على أي شيء مستورد فإما انه يرفض أو يقبل ويصبح لاحقاً من التراث وهكذا.

بينما نجد أن الغرب في تاريخ تطور التراث العمراني كان يتطور ببطء شديد حتى قيام حركة التصحيح اللوثرية وكان الرجوع إلى الأصول الإغريقية والرومانية حتى بداية الثورة الفرنسية عندما انفصلت الدولة عن الدين (سيطرة الكنيسة) وظهور عمارة الحداثة والتي كانت من سماتها القطيعة مع التراث ثم ظهور حركات تصحيحية من قبل المحافظين الذين يحنون رجعياً إلى الوراء وأدت هذه الحركة إلى ظهوره عمارة ما بعد الحداثة أما المتشددون من الحداثيين فقادهم تشددهم إلى ظهور العمارة التفككية أو التهديمية . ولقد أوقع الحداثيون أنفسهم في ورطة كبيرة لرفضهم كل قديم وعدم الرجوع إلى التراث واختلال التوازن مما أدى إلى ظهور حركات كثيرة ومتعددة ويصف أوغست كونت أن المجتمع العلمي والصناعي قد حل محل النظام اللاهوتي والعسكري وأن العلم قد حل محل الإيمان المسيحي التقليدي وأن العلماء حلوا محل الكهنة ورجال الدين " وعندما ننظر إلى المجتمع الفرنسي – أو الأوروبي – الحالي لا يمكننا إلا أن نعترف بتحقيق نبوة أوغست كونت ، ونرى الطبيب النفساني محل الكاهن فيما يخص عملية الاعترافات مثلاً ، والمرشد الاجتماعي أو المرشدة الاجتماعية محل الكاهن في عملية إرشاد الناس إلى استكشاف نوعية العمل أو الطريق المناسب لهم ، وأصبح الصناعيون والمهندسون والتقنيون والإعلاميون هم سادة المجتمع ، وأصبحت الفتوى علمية بدلاً من أن كانت لاهوتية ، لقد اصبح الطبيب أو عالم الاجتماع أو عالم النفس أو عالم الأحياء والبيولوجيا أو رجل القانون أو الفيلسوف هو الذي يصدر الفتوى لحل المشاكل المستجدة في المجتمع بدلاً من الكاهن المسيحي الذي سيطر طيلة قرون وقرون . [راجع هاشم صالح]

كما حلت المسيحية بنظامها الميتافيزيقي مكان النظام اللاهوتي الإغريقي والآن يحاول النظام الوضعي (أو العلمي) تأسيس دين علماني على أنقاض الدين الكاثوليكي الذي أطاحت به الثورة الفرنسية وكل نظام جسد أفكاره وبث معانية عن طريق العمارة بشتى الصور ولأن الدول الإسلامية فرض عليها الحداثة ورفع شعار النظام والتقدم وبالأخص في تركيا والتي فرض عليها اتاتورك الوضعية الفرنسية كاملة وتوهم انه أدخل تركيا في الحداثة وكانت النتيجة أن تركيا أصبحت النموذج الذي ينبغي تحاشية ولم تكن نموذجاً يحتذى به وعاشت صراعاً بين التراث الإسلامي العريق وبين أفكار الحداثة ومناهجها مما افقدها التوازن وإيجاد مجتمعين متضادين داخل المجتمع الواحد : مجتمع النخبة المثقفة والبرجوازية التجارية في المدن من جهة وبقية أبناء الشعب من جهة أخرى وهذه أثرت على الحركة المعمارية وظهور فريقين متضادين الأول لا يعترف إلا بالعمارة الحديثة ويستهين بالعمارة التقليدية والآخر يحارب العمارة الحديثة ولا يرى إلا العمارة التقليدية ولكي ننجو من هذا

المأزق فينبغي أن نحدد الثوابت وأن نحافظ عليها حتى نحافظ على القيم والأحكام التي أمرنا الله بها ومن ثم نحدد المتغيرات التي لم ينزل بها الله من سلطان ونتعامل معها بشكل يومي لصالح الأمة والمجتمع وبذلك نحافظ على استمرارية التراث حيث أن كل ما نتركه ضمن هذا المفهوم سيتحول إلى تراث لاحقاً وهكذا نضمن استمرارية التراث من القطيعة التي وقع فيها الغرب .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين .

المراجــــع

- القرآن الكريم
- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ، نشر الدكتور أ . ى . ونستك ، مكتبة بريل ، لندن ١٩٣٦م .
- صحيح البخاري ، صحيح معجم ، مسند الإمام احمد ، سنن البرقاق ، الموطأ ، الطبراني في الأوسط .
- صحيح مسلم بشرح النووي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٣٩٢هـ .
- سنن أبي داود ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ١-٨ ، بيروت ، ١٩٥٧م .
- البرسوي ، تفسير روح البيان ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ١٤٠٥هـ .
- ابن منظور ، لسان العرب المحيط ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٥٥م .
- أبو حامد الغزالي ، الوجيز ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٣٩٩هـ .
- احمد بن قدامه ، شرح عجائب القلوب ، مختصر منهاج القاصدين ، مكتبة دار البيان ، دمشق ، ١٤١١هـ.
- الإمام النووي ، كتاب التبيين في آداب حملة القرآن ، دار الفكر .
- المعجم الفلسفي
- الطاشكندى، فرحات، التراث والمعاصرة ، المحافظة على التراث العمراني في منطقة الخليج ، قطر ، ١٩٩٤م .
- الطاشكندى، فرحات، العمارة الاسلامية ، اغلوطه لغوية أم سفسطة عمارية ، مجلة مجتمع وعمران ، رجب ١٤١٣هـ.
- الطاشكندى، فرحات، التراث بين الحداثة والمعاصرة ، اسيوط ، ١٤١٩هـ .
- رفعت، محمد وحسونه، محمد، معالم تاريخ العصور الوسطى ، المطبعة الرحمانية ، مصر ، ١٩٢٥م .

- الندوي ، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، مطبعة التقدم ، ١٩٧٧م .

- نجيب، زكي ، قصة الحضارة (ترجمة)، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٥٦م .

- د. الشناوي، عبد العزيز، أوربا في مطلع العصور الحديثة ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٩م .

- مظهر، إسماعيل ، بين العلم والدين (ترجمة) ، دار العصور، مصر، ١٩٣٠م .

- المشوخي، عبد الله، موقف الإسلام والكنيسة من العلم، مكتبة المنار، الأردن ، ١٤٠٢هـ، مطابع الجمعية العلمية الملكية .

- الطويل، توفيق، قصة النزاع بين الدين والفلسفة ، مكتبة مصر ، القاهرة ، ١٩٥٨م .

- زعيتر، محمد عادل ، روح الثورات والثورة الفرنسية (ترجمة) ، المطبعة العصرية ، مصر ، ١٩٣٤م، الطبعة الثانية .

- صالح، هاشم ، قراءة في الفكر الأوربي الحديث ، كتاب الرياض ، ١٩٩٤م .

- Philip Jonson, Deconstructivist Architecture, MMA, NY, 1988.

- Brent Brolin, The failure of modern architectnne, VNR Company, 1976.

- Banister Fletcher, A History of Architecture, Butterworth, 1987.

- Nicholas Fox, Archhitectural Dicgest, Dec, 1991.

- Colin Davis, The Architectural Journal, May 1992.



نـــــدوة

التراث المعماري الاسلامي في الألفية الثالثة

١٨ - ٢٠ مـــارس ٢٠٠١

متاحــف دمشــق :
إحدى ملامح التراث العمراني والمعماري

إعـــداد : المهندســتين

لميــس اسماعيل   هيــام العلــي

من مديرية التنظيم والتخطيط العمراني - محافظــة دمشــق

مقدمـــة :

تعتبر سورية مهد الحضارات، هي من أكثر بلاد العالم تنوعا بالمخلفات الأثرية والألوان الحضارية ، وذلك لكثرة ما شهدته من أحداث تاريخية ولكثرة الأقوام والممالك والمدنيات التي مرت بها أو استوطنت فيها إلى حين، ولعل موقعها الجغرافي وخصب أراضيها هما السبب في أنها عاشت تجارب الإنسانية وشهدت ازدهار المعرفة وانطفاء الحضارات منذ خمسون قرناً .

وفي سورية العديد من المدن والقرى والمواقع والمعالم ذات الرنين السحري والإغراء التاريخي الخاص ... كدمشق وحلب وتدمر وبصرى وأفاميا وماري وغيرها الكثير من الأماكن والمواقع الأثرية الهامة .

وتعتبر مدينة دمشق من أهم المدن السورية وقد أجمع عدد من المؤرخين على أنها أقدم مدينة في العالم وأطلق عليها المؤرخون القدماء اسم (المدينة الجميلة المقدسة) .

وهو وصف ما زال منطبقاً على دمشق حتى اليوم . فهي تضم عدداً من المعالم التاريخية ذات الطابع الديني وذات القداسة بالإضافة إلى جمال طبيعتها وطابعها الإصطيافي الشاعري وكثرة بساتينها وأزهارها وفاكهتها ... كان لدمشق دورها الهام في التاريخ القديم وفي نشوء المدنيات الدينية ، وقد ساعدها على ذلك أيضاً موقعها الجغرافي في عالمي الاقتصاد والسياسة كونها ملتقى الطرق التجارية ما بين بلاد الرافدين ومصر وشبه الجزيرة العربية وسواحل البحر المتوسط .

ومنذ ثلاثة آلاف سنة كانت دمشق عاصمة لأكبر مملكة آرامية في سورية، وبلغت ذروة مجدها عندما أصبحت عاصمة الدولة الأموية العربية الكبرى ، وبالإضافة إلى الآثار الدينية المسيحية كنافذة القديس بولس والشارع المستقيم وكنيسة حنانيا وقبر يوحنا المعمدان فهي تضم طائفة كبرى من المعالم الدينية الإسلامية الشهيرة كالجامع الأموي مفخرة الفن العربي الإسلامي في روعة البناء وجمال الزخارف وضريح السيدة زينب حفيدة النبي محمد (ﷺ) وقبر معاوية أول خلفاء الدولة الأموية وضريح السلطان صلاح الدين الأيوبي والتكية السليمانية ذات الشهرة السياحية العالمية وضريح المتصوف الإسلامي الكبير محي الدين بن عربي وعشرات المساجد الأثرية الأخرى بمآذنها البديعة وقبابها الرائعة ، وأيضاً تحتوي مدينة دمشق مجموعة من المعالم السياحية التراثية كأبواب دمشق الأثرية وأسواقها الشرقية بطابعها الشائق كسوق مدحت باشا وسوق الحميدية وقصر العظم (متحف التقاليد الشعبية) الشهير الذي يعد نموذجاً بديعاً لفن البناء الشرقي والمتحف الوطني الذي يحتوي على روائع الفن وصور الحضارات الأولى . ذلك كله وغيره كثير من المخلفات التاريخية والمعالم السياحية جعل لدمشق هذه الأهمية السياحية على اعتبارها متحفاً فنياً قائماً بذاته يجد فيها الزائرون كل ما تصبو إليه نفوسهم من روعة ومتعة . إضافة إلى العديد من البيوت والمباني التاريخية الأثرية الرائعة بتصميمها وزخارفها الشرقية نذكر منها على سبيل المثال (مكتب عنبر ، بيت السباعي ، بيت العقاد)

أولاً - أهم المشاكل والآثار البيئية التي تعاني منها مدينة دمشق القديمة :

تعاني مدينة دمشق القديمة الواقعة ضمن السور والتي تبلغ مساحة مقدارها حوالي ١٣٠ هكتار ويقطنها نحو ١٥٠ ألف نسمة ويؤمها أضعاف هذا العدد نهاراً من مشاكل وآثار بيئية متعددة نذكر منها :

١ - إهمال نظافة المباني القديمة وعدم صيانتها بشكل جيد وذلك نتيجة جهل الساكنين بأهمية التراث وقيمته الحضارية والقومية وأهميته سياحياً وقومياً واقتصادياً ولقلة عدد العاملين في مجال ترميم المباني التراثية والأثرية .

٢ - التلوث البيئي الناجم عن :

أ - دخول الآليات والمعدات الثقيلة إلى داخل المدينة القديمة .

٢ - توضع مياه الأنهار القديمة ومصبات المياه الملوثة داخل المدينة القديمة .

٣ - تحول بعض الدور السكنية إلى مصانع خفيفة .

٤ - توضع الخدمات مثل الكهرباء والهاتف والصرف الصحي بطريقة عشوائية .

٣ - سعي تجار الآثار والمباني القديمة وراء الربح السريع وذلك عن طريق إخراج العناصر الأثرية والقطع التراثية القيمة خارج القطر .

ثانياً : مواد البناء التقليدية المستخدمة في بناء المباني داخل مدينة دمشق القديمة :

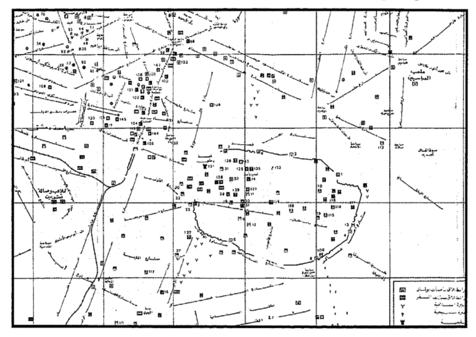
تهدد مساكن دمشق العديد من الأخطار الطبيعية كالزلازل والرياح العاتية والهطولات المطرية والثلجية ومخاطر الحريق، وقد حاول السكان عبر تاريخهم العمراني الطويل تلافيها أو التخفيف من آثارها عن طريق بناء المزيج بين تقاليد السهل والجبل وتمكنوا من تأسيس المسكن بشكل جيد بالأحجار والمداميك الحجرية في الطابق الأرضي واللبن والخشب في الطوابق العليا مما خفف من تأثير الزلازل بشكل كبير وخاصةً على الأرواح البشرية ولعبت أخشاب الحور دوراً كبيراً في حمايتها وخففت الجدران الخارجية العالية من أخطار الحريق وانتشارها نحو داخل المباني وقد أمنت العوامل البشرية والمناخية جواً مناسباً من المواد المحلية لذلك كان من الضروري الاهتمام بأنواع مواد البناء وتحليلها مخبرياً والبحث عن وسائل ذات جدوى اقتصادية لتطوير نفس مواد البناء التي بنيت بها المباني القديمة وليس إيجاد بدائل عنها وحفاظاً على النسيج العمراني والمعماري لمدينة دمشق القديمة وإعادة تأهيل المباني واستثمارها سياحياً لما فيه من أثر هام في إحياء دمشق وزيادة الدخل القومي السوري.

ثالثاً : أهم الإجراءات التي اتخذتها الجهات المعنية للحفاظ على المباني الأثرية والتراثية :

المدينة هي محصلة لمجموع الوقائع التاريخية والحضارية ؛ هذه الوقائع التي تسجل عادات هذه المدينة وتراثها الحضاري ، وما اكثر ما قامت به الحروب من إضاعة للتراث العريق للمدن ودمشق كسائر مدن العالم خضعت لهذه المعطيات إلا أن رحلة مسيرتها عبر التاريخ كانت أطول من تلك التي شهدتها أية مدينة في العالم نظرا لما

تمتعت به هذه المدينة من أهمية من حيث المناخ والإقليم الملائم للحياة المستقرة أو من ناحية الموقع الاستراتيجي الذي جعلها مركز الحكم لعهود الحضارات التي مرت عليها .

لذلك قامت محافظة دمشق بوضع نظام بناء خاص بهذا القسم من المدينة القديمة الذي اعتمد على الفسحات الداخلية والارتفاعات المنسجمة مع الارتفاعات الأصلية ومواد البناء الطبيعية وصدر هذا النظام تحت رقم ٢٤٢٤ عام ١٩٧٢ ثم تبعه تأليف لجنة خاصة بالمدنة القديمة المحاطة بالسور لدراسة كل طلب ترخيص ضمن المدينة بحيث يتلاءم مع وضع المدينة الأصلي وفق مصورات كدسترائية مسجلة .



وكذلك ذهبت إلى تسجيل المدينة المحاطة بالسور كمنطقة أثرية ومنه القرار رقم ١٩٢ لعام ١٩٧٦ الصادر عن وزارة الثقافة والإرشاد القومي وعندها أصبح الأمر مختلفاً وبات موضوع الحفاظ على النسيج العمراني والمباني الأثرية وترميمها هو الهدف الأول لحماية هذه المدينة القديمة المحاطة بالسور من قبل السلطة الأثرية والبلدية وقد تم إحداث هيئة عالمية لحماية مدينة دمشق وسجلت المدينة من قبل منظمة اليونسكو ضمن قائمة الممتلكات التاريخية فأرسلت هذه المنظمة الخبراء للمساعدة في إيجاد الحل الملائم للحفاظ على المدينة وكذلك تخصيص مساعدات مالية في هذا المجال وهنا بدأ النشاط والعمل بتشجيع الأهالي على ترميم مبانيهم ومساعدتهم مالياً ثم ظهر نظام بناء المدينة القديمة الصادر بالقرار رقم ٨٢٦ / م ت لعام ١٩٩٦ كمساهم فعال في الحفاظ على المدينة القديمة والاهتمام بنسيجها العمراني والحضاري المميز . وقد كان لمحافظة دمشق إسهاماً فعالاً في هذا المجال تمثل بما يلي :

١ - تخصيص دائرة خدمات خاصة للمدينة القديمة المحاطة بالسور لتقديم الخدمات للمدينة القديمة والحفاظ

على مبانيها وإصدار نظام ترميم جديد للمباني بالتنسيق مع المديرية العامة للآثار والمتاحف تحت رقم / ٣٧٩/ لعام ١٩٨٢ .

٢ - استملاك عدد من المباني الأثرية ووضعها تحت تصرف مديرية الآثار والمتاحف لترميمها وإعادة استخدامها بما يخدم المدينة والسياحة .

٣ - الاهتمام بأسواق المدينة القديمة وطرقاتها وإعادة رصفها بالحجر اللبون وإقامة ورشة صيانة خاصة لذلك .

٤ - التشديد على وظيفة المباني ضمن المدينة القديمة المحاطة بالسور وعدم السماح بتحويلها إلى أغراض صناعية والتشجيع على الصناعات اليدوية التي كانت قائمة بها .

٥ - إعداد دراسة شاملة للمدينة القديمة بالتعاون مع المديرية العامة للآثار والمتاحف والأوقاف والسياحة واعداد القرارات اللازمة لعملية الرفع عن الواقع لجميع المباني .

٦ - الاهتمام والمشاركة بالدراسات والندوات الخاصة بتنمية المدينة القديمة واعطاء لجان الأحياء والجمعيات الأهلية المعنية كجمعية أصدقاء دمشق دورها الكامل لحمل مسؤولية توعية المواطنين للحفاظ على مبانيهم ضمن المدينة القديمة وشرح مدى أهميتها الأثرية والسياحية لتصبح مدينة دمشق القديمة كما كانت مركز الإشعاع التاريخي والثقافي والسياحي والتراثي .

٧ - إقامة مهرجان للثقافة والتراث في محافظة دمشق منذ عام ١٩٩٣ يتم من خلاله إلقاء المحاضرات والتشجيع على التراث والاهتمام بكل ما هو قديم وأصيل .

رابعاً: بعض القصور والمتاحف الأثرية في مدينة دمشق القديمة داخل السور وأثرها في الجذب السياحي للمدينة:

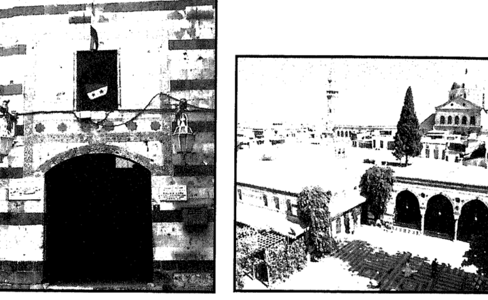
إن حماية العمارة التقليدية من خلال حماية المباني القديمة أمر تتعهده السلطة الأثرية بالتعاون والتنسيق مع الجهات الإدارية الأخرى المعنية كمحافظة دمشق وهذا الأمر محفوف بكثير من الصعوبات التي تفرضها الصناعة السياحية أو السياسة السياحية ومع ذلك فان السلطة الأثرية لا تنظر إلى السياسة السياحية على أنها سياسة مضادة بل إن عمليات التوفيق في هذه السياسة وبين حماية المباني الأثرية أمر أساسي تفرضه أصول متعارف عليها عالمياً .

وفي دمشق القديمة داخل السور قامت السلطة الأثرية بتنفيذ كثير من الأعمال المنسجمة مع السياسة السياحية ولكن مع المحافظة المسبقة على الطابع المعماري المتميز لهذه الأبنية وفيما يلي نذكر بعض الأمثلة من القصور والبيوت التي تم تحويلها إلى متاحف مميزة :

١ - قصر العظم (متحف التقاليد الشعبية):

يقع في قلب المدينة القديمة وأسواقها إلى الجنوب من الجامع الأموي عند سوق البزورية ويعتبر نموذجاً باهراً

للبيت الدمشقي الذي لا يوحي مظهره الخارجي البسيط والمتقشف بما يضمه داخله من جمال واتساع وغنى واشجار مثمرة ونوافير ورياحين وأزهار.

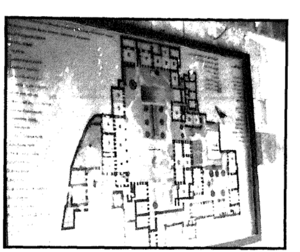


صورة توضح موقع قصر العظم إلى الجنوب من الجامع الأموي

صورة توضح مدخل قصر العظم

بني القصر في منتصف القرن الثامن عشر / ١٧٤٩ - ١٧٥٢/ كمقر لوالي دمشق وقد تم حشد أهم الطاقات البشرية الفنية والمعمارية في بناءه حتى غدا خلاصة رائعة للفن الشامي بقاعاته واوا وينه وأقواسه ورخامه وحماماته وألوان حجارته المتناوبة الألوان ومقرنصاته وفسقياته التي تترقرق موسيقى مياه نوا فيرها مع أصوات العصافير وعلى عرائشه التي تتسلق الشبابيك والجدران.

و قد استغرق العمل فيه ثلاث سنوات، يتكون القصر من ثلاثة أجنحة أولها جناح الأسرة (الحرملك) وثانيها جناح الضيوف (السلاملك) حيث يستقبل الوالي ضيوفه وقد يناقش معهم بعض الأعمال، وثالثها جناح صغير مخصص للطبخ والخدم متصل بجناح الأسرة يتميز جناح الأسرة الواسع وإيوانه الكبير بقاعاته ذات الجدران المرخمة والمحفورة والملونة، وسقوفه الخشبية المدهونة والمزخرفة والمحفورة، وفيه حمام خاص يعتبر صورة مصغرة عن الحمامات العامة في المدينة، مخصص لاستعمال الأسرة. تحول القصر اعتباراً من ١٣ أيلول ١٩٥٤ إلى متحف للفنون والتقاليد الشعبية السورية وهو يجمع اليوم ما يقارب العشرة آلاف قطعة والمحفوظات تفوقها عددا، ويأتي إليه الأخصائيين لدراستها كذلك استطاع مصممو الأزياء ابتكار نماذج مستوحاة من الأثواب الرائعة المحفوظة. ولئن كانت طريقة العرض تعليمية، فهي أيضا جذابة ممتعة وتستند على تقنية الديوراما، بالحجم الطبيعي.



لقد أدرجت الأواني والأثاثات والأدوات والأوعية الشائعة الاستعمال إلى جانب القطع النادرة التي لا تستعمل إلا في المناسبات الاستثنائية ، أدرجت كلها في إطار حقيقي تنتشر ضمنه تماثيل الشمع ، الشديدة الواقعية ، بشكل طبيعي .

مسقط أفقي لقصر العظم

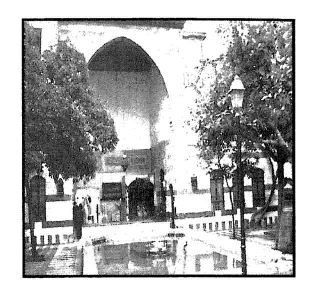


إن وفرة هذه اللقطات للحياة السورية والمأخوذة من ماض قريب تجعل من المتحف استعراضا وفيلما ملونا رائع وقد قامت السلطة الأثرية باستملاكه وترميمه كاملا .

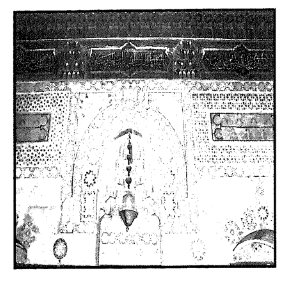
صورة توضح واجهات قصر العظم
الداخلية المطلة على الفناء الداخلي

ولقد منحت لجنة أغاخان السلطة الأثرية جائزة عام ١٩٨٣ لترميم هذا القصر وعند الترميم تمت المحافظة التامة على معالم البناء المعمارية والزخرفية ومع أنه وظف كمتحف للتقاليد الشعبية والصناعات اليدوية فإنه لم يجر فيه أي تعديل أو تغيير ويعتبر قصر العظم من أكثر الأماكن السياحية أهمية في دمشق .

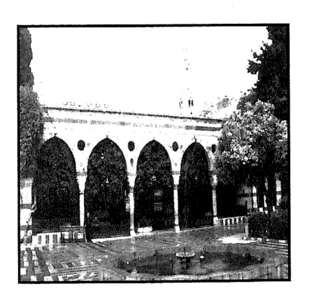
و تقوم محافظة دمشق سنوياً منذ عام / ١٩٩٣/ إقامة مهرجان للتراث والثقافة يتم افتتاح وإقامة معظم فعالياته في قصر العظم لما يمثله من معلم تراثي وحضاري هام .



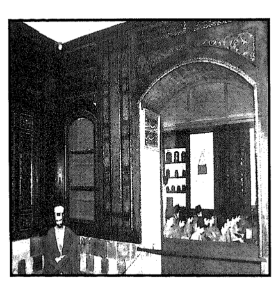
صورة من الفناء الداخلي تمثل مشهد
صناعة الزجاج القديمة



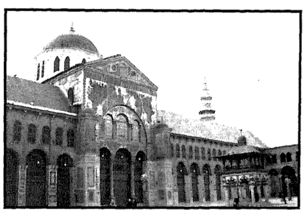
صورة توضح المقرنصات والزخارف الداخلية
في إحدى قاعات العرض ونموذج من عناصر
الإنارة الأثرية .



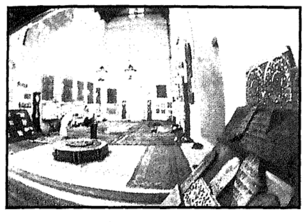
صورة توضح واجهة القصر الخارجية
المطلة على الفناء، تظهر خلفها مئذنة
الجامع الأموي .



واجهة داخلية لإحدى قاعات قصر العظم
توضح تماثيل الشمع وتدريس الكتاب القديم .



واجهة داخلية للجامع الأموي من
صحن الجامع توضح القبة والمسنم



صورة داخلية لمتحف الجامع الأموي توضح
المخطوطات النادرة والقطع الأثرية الهامة

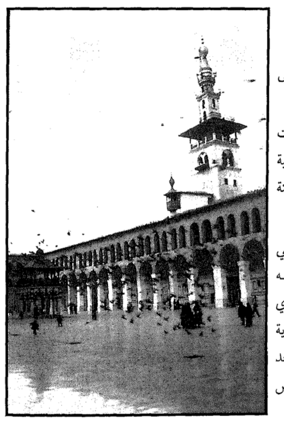
متحف الجامع الأموي:

لا شك أن الجامع الأموي هو من أهم رموز دمشق على الإطلاق.

أقيم هذا الجامع على ارض مقدسة شغلت بمعابد الديانات المختلفة التي تعاقبت على هذه الأرض عبر العصور التاريخية بحيث يمكن اعتبار تاريخ المبنى بحد ذاته تاريخا دينيا لمدينة دمشق.

إلى جانب ذلك يحتل الجامع الأموي مكانة مميزة في تاريخ العمارة عموما، وفي الفن الإسلامي على وجه التحديد لخصوصية البناء وضخامته، ولغناه المعماري واالتزيني. إضافة لكونه أهم المنجزات المعمارية في بداية الدولة الإسلامية حتى اعتبره بعض الباحثين (اعظم المساجد لرحابته وجمال نسبه المعمارية) وهو يعد في نظر البعض الآخر (أول نجاح معماري في الإسلام).

وفي الجامع الأموي متحف خاص يعرض الإرث الحضاري والفني للمبنى خلال العصور الإسلامية التي تعاقبت عليه.



واجهة داخلية للجامع الأموي من
صحن الجامع تبين جمال نسبه

ويعكس أمجاد هذه الأبدة التي تمثل قفزة نوعية متميزة. وقد افتتح هذا المتحف عقب صلاة عيد الفطر السعيد عام ١٤٠٩هـ الموافق ٦ آبار ١٩٨٩م. ويشتمل على نفائس أثار هامة كالشواهد الحجرية والسجاد ولوحات مختلفة من الخط العربي ووسائل الإنارة والتوقيت والفسيفساء والخزف والزجاج والنقود العربية وصفحات مخطوطة من القران الكريم.

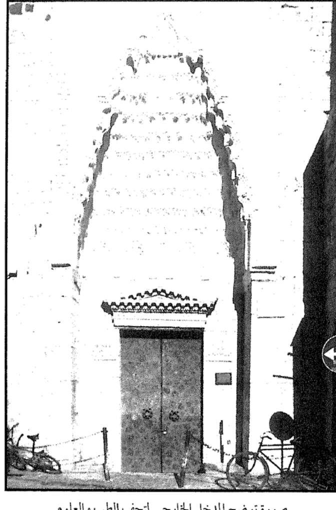
بالإضافة إلى لوحات وألواح ووثائق متعددة نذكر منها :

- لوحة حجرية مزينة بزخارف نباتية تحمل آثار تذهيب من العهد الأموي .

- جزء من لوحة تعود إلى أيام الخليفة العباسي المقتدر بالله.

- أجزاء من محراب مزينة بزخارف كتابية ونباتية متشابكة من العهد الأيوبي .

- لوحة باسم السلطان الأشراف أبو النصر قايتباي تحمل تاريخ شعبان سنة ٨٨٦ هـ.



صورة توضح المدخل الخارجي لمتحف الطب والعلوم عند العرب مع المقرنصات فوق الباب.

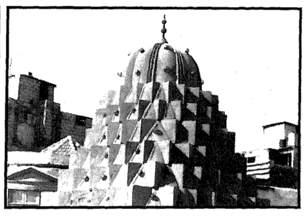
٢- البيمارستان النوري (متحف الطب والعلوم عند العرب) :

يقع هذا البيمارستان إلى الجنوب الشرقي من نهاية سوق الحميدية في قلب مدينة دمشق القديمة وعلى مقربة من الجامع الأموي أنشأه نور الدين الزنكي عام / ١١٥٤ م / الموافق / ٥٤٩ هـ/ ويعد من أشهر ما بني من دور الشفاء وتدريس الطب في العهد الإسلامي.

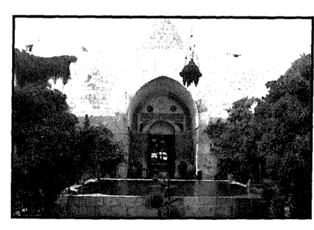
و قد بني على مرحلتين : الأولى : في عهد نور الدين ، والثانية : في عام / ١٢٣٩ م / حيث أضيفت له دور كانت حوله بغية توسيعه ، كما رم في العصر المملوكي وفي عهد السلاطين الظاهر بيبرس وقلاوون وابنه الناصر محمد .

يتميز البيمارستان في جزئه الذي بني في المرحلة الأولى بالعناصر المعمارية والزخرفية الجديدة التي ظهرت فيه والتي نقلها الزنكيون إلى العمارة الدمشقية ، لتحقق مرحلة هامة من مراحل تطور العمارة الإسلامية في

دمشق ، فقد بني من الناحية المعمارية استناداً إلى تخطيط ذي نظام متعامد يتألف من باحة مركزية سماوية مستطيلة أبعادها ٢٠ × ١٥ م تتوسطها بحرة مستطيلة وتحيط بها غرف وأربعة أواوين الغربي منها هو المدخل والشرقي إيوان واسع ويغطى المدخل بقبة مخروطية ذات مقرنصات تحمل الطابع السلجوقي وزينت أواوين المشفى بمزخرفات وكتابات ما زالت قائمة وتتألف من كسوة رخامية تشمل الجدران السفلية للإوانين الجانبيين وفي الزوايا زخرفة حجرية هندسية مما يسمى بالمشقف ويحد هذا الشريط الرخامي صف من الحجارة المنقوشة ويمتاز مدخل البيمارستان ببوابة مستعارة من الآثار الكلاسيكية وتبدو الواجهة وفوقها القبة نموذجاً معمارياً مزيداً ، أما في رأس مصراعي باب البيمارستان النوري الكبير سطر دقيق محفور على النحاس وقد استعمل في بناء البيمارستان الحجر الضخم وهو مؤلف من مداميك حجارة عظام منحوتة وترى أيضاً أنه استعمل في بنائه الآجر وهو الذي ساعد على بناء القبة المقرنصة التي تلي الباب . و استعمل فيه الخشب في عتبات الأبواب وبعض الأبواب منقوشة والمونة التي بين الأحجار قد جعلت خليطاً من الرمل الأبيض والكلس والرماد (أصرمل) وهذا المزيج يؤلف مونة قوية جعلت في مفاصل البناء .



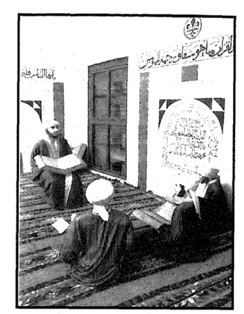
صورة توضح المقرنص المغطي لبهو الدخول



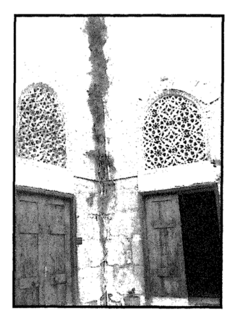
صورة من الفناء الداخلي للمتحف توضح
الإيوان والبحرة والمقرنص المغطي لبهو الدخول

و قد استعملت المقرنصات كعنصر معماري وزخرفي وخاصة في زوايا القباب من أجل الانتقال من الشكل المربع إلى الشكل المستدير .

عندما بني المستشفى الوطني في نهاية القرن التاسع عشر وفي عهد والي دمشق حسين ناظم باشا ، توقف البيمارستان عن أداء رسالته الطبية وتحول إلى مدرسة للتجارة ، ثم إلى مدرسة للفنون النسوية .



صورة داخلية من إحدى قاعات
متحف الطب والعلوم

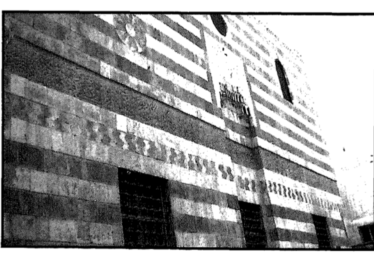


صورة توضح مداخل إحدى قاعات
العرض من الفناء

ثم أعيد ترميمه في أواسط السبعينات لصبح مقراً لمتحف الطب والعلوم عند العرب ، ويضم مجموعة هامة من الآثار الطبية والعلمية والصيدلانية .

٣ - المدرسة الجقمقية المملوكية (متحف الخط العربي) :

تقع في شرق ضريح صلاح الدين إلى الشمال من الجامع الأموي، جدد بناؤها الأمير سيف الدين جقمق في عام ١٤٢١م، بعد أن كان موقعها يضم مدرسة قديمة أحرقت عندما استباح تيمورلنك دمشق .



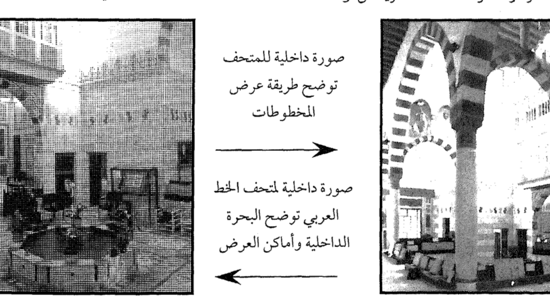
صورة توضح الواجهة الخارجية لمتحف الخط العربي .

و يعتبر بناء هذه المدرسة من أجمل المباني الأثرية وهو حافل بالزخارف العربية والكتابات القرآنية القديمة .

وقد قصف هذا المبنى خلال العدوان الفرنسي في عام ١٤٩١ م ثم قامت السلطة الأثرية بترميمه وإعادته إلى حاله السابق عام ٤٧٩١ م والتحف قيم من حيث البناء الموجود فيه ومن حيث مجموعاته، فكل شيء داخله فسيفساء ومرمر متعدد الألوان تغطيه قبة جميلة . القاعة المركزية المربعة التي تتوسطها بركة مثمنة الزوايا ، ننزل إليها عبر ثلاث درجات تحوي الواجهات المربعة حولها مخطوطات ومطبوعات مكتوبة بخط رائع ومركبة على افضل وجه كما تحوي حجارة عرف النحات كيف يوجه إزميله فيها لتجمع ما بين دقة الخط العربي وهوى الفنان الذي يحول كل حرف إلى زينة .

كما تم جمع بعض الأواني والأدوات في المتحف نفسه ، كالمحابر الخزفية الزرقاء والريش المصنوعة من القصب المسننة كالموس والأختام المنقوشة في المعدن . تكشف البلاطات التي ترقى إلى الجاهلية تطور الخط العربي . كما تعطينا لوحة كبيرة مقارنة للأبجديات ومدى تطابقها منذ العصور القديمة حتى الخط العربي الحديث . تكمل اللوحات الحسابية والفلكية الرائعة الزخرفة كنز هذا المتحف الفريد من نوعه .

صورة لمقرنص مدخل متحف الخط العربي والكتابات الموجودة على الجدار الخارجي للمتحف



صورة داخلية للمتحف توضح طريقة عرض المخطوطات

صورة داخلية لمتحف الخط العربي توضح البحرة الداخلية وأماكن العرض

خامساً : بعض القصور والمتاحف الأثرية في مدينة دمشق القديمة خارج السور وأثرها في الجذب السياحي للمدينة :

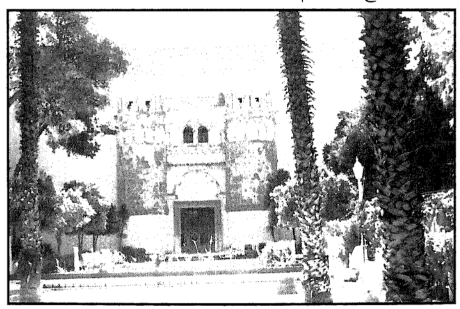
منذ القرن الحادي عشر ، وبعد أن ضاقت مدينة دمشق القديمة بالسكان والعمران راحت تتسع شيئاً فشيئاً خارج السور، وفي العهدين النوري والأيوبي ولدت ضواح (faubourg) مستقلة عن المدينة وقد نمت هذه الضواحي واتسعت في العهد المملوكي حتى اتصلت بالأسوار فاتحدت المدينة القديمة بالأرياض الجديدة كما أن السلاطين والأمراء والمماليك بنوا العديد من المدارس والجوامع خارج السور كما أن الظاهر بيبرس بنى قصره الأبلق في المرج الأخضر .

و في العهد العثماني شيدت أربع مجموعات معمارية شهيرة هي الشيخ محي الدين والتكية السليمانية والدرويشية والسنانية ، وفي القرن التاسع عشر شقت في المدينة طرقات وأحياء جديدة وأخذت أساليب العمارة الأوربية تغزوا المدينة ، من أهم المتاحف السياحية في مدينة دمشق الحديثة خارج السور :

١ - المتحف الوطني :

يعرف المتحف الوطني بدمشق بأنه واحد من أهم متاحف العالم وأحسنها تنظيماً .

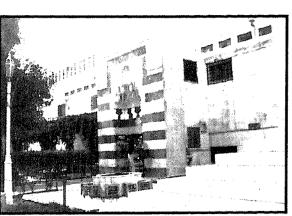
يضم التحف الوطني خمسة متاحف مستقلة ، تلخص بمجموعها مجمل إنجازات الحضارات التي سكنت أرض سورية منذ فجر التاريخ وحتى اليوم .



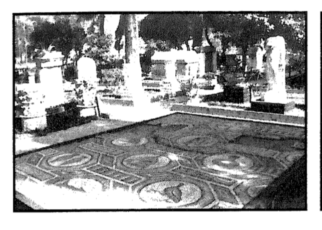
صورة للمتحف الوطني من الحديقة الخارجية توضح واجهة الدخول الرئيسية (واجهة قصر الحير الغربي)

فالرقم الطينية التي يضمها نقلت إلينا فيما نقلت أقدم أبجدية في العالم وأقدم لحن ترنم به الإنسان منذ أكثر من ٣٥٠٠ عاماً، معبرة عن الرقي الفكري الذي وصل إليه سكان هذه الأرض، أما التماثيل والحلي

والمجوهرات والمنحوتات والفخاريات التي غص بها المتحف فقد بينت أن مستوى الإبداع الفني في تلك الحضارات كان مواكباً لتطور الفكر فيها .



صورة من الحديقة الخارجية للمتحف توضح المقرنصات والبحرة الخارجية



صورة من الحديقة الخارجية للمتحف الوطني توضح اللوحة الفسيفسائية والآثار الموضوعة بطريقة فنية جذابة

و كذلك كانت الأدوات المرتبطة بواقع الحياة اليومية كالأسلحة وأدوات الصيد والمنسوجات . قسم المتحف الرئيسي إلى خمسة متاحف وهي :

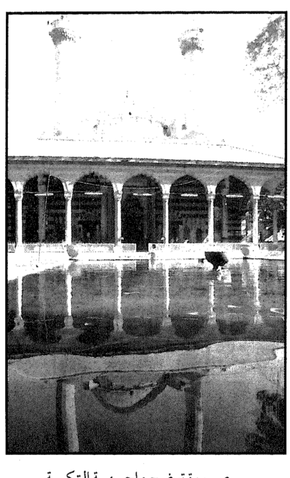
- متحف ما قبل التاريخ ، ويضم آثاراً من العصر الحجري القديم والمتوسط والجديد .
- متحف الآثار الشرقية ، ويضم آثاراً من ماري وإيبلا وأوغاريت وغيرها .
- متحف الآثار الكلاسيكية واليونانية والرومانية ، ويضم آثار من تدمر ودورا أوروبس ولوحات فسيفسائية من جبل العرب .
- المتحف العربي الإسلامي ،ويضم آثاراً تعود إلى مختلف العصور الإسلامية التي عاشتها سورية .
- متحف الفن الحديث ، ويضم لوحات وتماثيل لفنانين سوريين معاصرين .

وقد نقلت واجهت قصر الحير الغربي إلى المتحف وهي من أهم آثار العصر الإسلامي ، وأصبحت تشكل المدخل الرئيسي للمتحف يتم الدخول عبرها تتوسطها بحرة مستطيلة ويحيط بمبنى المتحف حديقة غناء تمثل جزءاً متكاملاً لا يتجزأ مع المتحف .

٢ - المتحف الحربي :

يقع هذا المتحف مؤقتا ضمن بعض قاعات التكية السليمانية التي تعد من اجمل عمارات العهد العثماني . بنيت بأمر من السلطان سليمان القانوني (ومنه جاء اسمها) بدئ ببنائها عام ١٤٤٥م واكتمل بناؤها عام ١٤٥٠م .

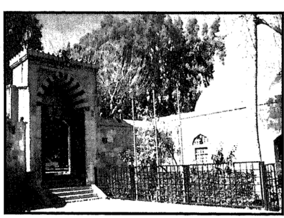
كان يقوم عليها قصر شهير للملك الظاهر بيبرس هو القصر الأبلق . وقد صمم التكية المعماري العثماني المتميز (سنان)وابرز ما فيها رشاقة هندستها ومئذنتاها الباسقتان النحيلتان .



صورة توضح واجهة التكية السليمانية ومأذنتيها الخارجيتين .

وهي قسمان التكية الكبرى والتي تتألف من مسجد ومدرسة ،والتكية الصغرى الملاصقة لها وتتالف من حرم للصلاة وباحة واسعة تحيط بها أروقة وغرف أصبحت مقرا لسوق الصناعات اليدوية .

ويحتوي هذا المتحف على نماذج من الأسلحة والمعدات الحربية التي تتبع مسيرة الأحداث في سورية منذ زمن طويل، ويمثل هذا المتحف فرصة لاستذكار المراحل الرئيسية لخمسة آلاف سنة من حياة الشعب السوري عبر المعارك الكبيرة التي خاضها أو التي فرضت عليه .



صورة توضح أحد مداخل المتحف الحربي

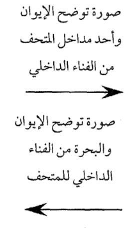
وهناك سلسلة من الديوراما البسيطة ولكنها منجزة بدقة وإتقان حيث يضم المتحف أيضا قاعة لوثائق الثورة السورية ضد الانتداب الفرنسي ،والأسلحة التي استعملت في حرب فلسطين ومجسمات لاهم المعارك التي عاشتها سورية والقمرة الفضائية التي جعلت سورية إحدى الدول التي ساهمت في عصر الفضاء .



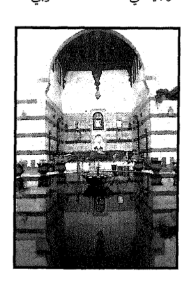
صورة توضح أسلوب الإنشاء المتبع للرواق الخارجي المطل على الفناء الداخلي للمتحف الحربي أمام القسم الإداري



صورة توضح طريقة العرض الخارجية في فناء المتحف الحربي



صورة توضح الإيوان وأحد مداخل المتحف من الفناء الداخلي

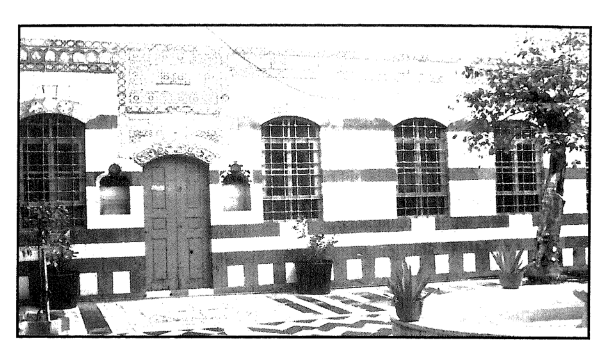


صورة توضح الإيوان والبحرة من الفناء الداخلي للمتحف

٣ - البيت الشامي (متحف دمشق التاريخي) :

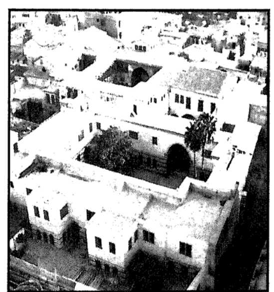
هو من بيوت دمشق الهامة التي تعود إلى القرن الثامن عشر ، كان متهدما ومحترقا في اكثر أجزائه عندما استملكته السلطة الأثرية وخلال الأعوام ١٩٧٢ - ١٩٨٠ تم ترميمه واصبح مقرا لمتحف دمشق التاريخي والتراثي ومركز للوثائق التاريخية والاجتماعية عن مدينة دمشق .

يقع هذا المتحف في سوق ساروجة التاريخي قرب سوق الهال مطلا على شارع الثورة ويعتبر بناؤه من اجمل القصور في دمشق إلى جانب قصر العظم ويعد نموذجا للبيت الشامي العريق بباحاته وقاعاته ورخامه واشجاره وعرائشه . حيث يعتمد في تصميمه على الانفتاح نحو الداخل، حيث نجد الفناء الداخلي تتوسطه بحرة لطيفة تسبح فيها بعض السمكات إضافة إلى تشكيلة جميلة من الأشجار والأزهار، وتحيط بالفناء الغرف

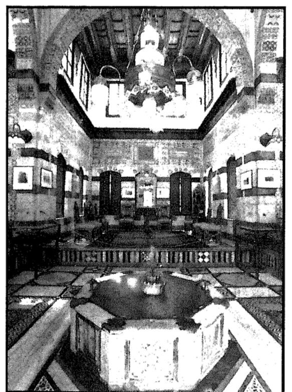


صورة توضح الزخارف الأثرية الهامة أعلى الشبابيك والأبواب وطريقة التبليط داخل الفناء الداخلي

على طابقين في اكثر الأحيان ويتصدر البيت الإيوان والى جانبه غرفة الاستقبال المفروشة بالفرش العربي المرصع بالصدف والمنجد بالقماش الدمشقي الشهير.



صورة توضح موقع متحف
دمشق التاريخي وأفنيته الداخلية

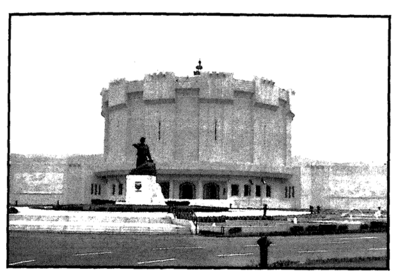


صورة توضح إيوان المتحف
وعناصره الأثرية الغنية بالزخارف

٤ - بانوراما حرب تشرين التحريرية :

تقع بانوراما حرب تشرين التحريرية عند مدخل مدينة دمشق في أقصى الشرق وقد جاء تصميم بنائها المعبر عن المنعة والصمود مستلهما من فن العمارة التي تبدو في قلاعنا العربية .

وهذا البناء هو غلاف معماري لمشهد تصويري يجسد صورة حية من المعارك البطولية التي جرت في السادس من تشرين الأول عام ١٩٧٣ والسابع منه بقيادة الرئيس حافظ الأسد رحمه الله .



صورة من الحديقة الخارجية للبانوراما توضح المدخل الرئيسي
وتمثال السيد الرئيس حافظ الأسد باللباس العسكري

يقع المبنى وسط حديقة كبيرة يتوسطها تمثال برونزي للسيد الرئيس حافظ الأسد بلباسه العسكري وهو يقود حرب تشرين التحريرية ، أما الصرح المعماري فيتالف من قسم دائري مقبب ومن جناحين جانبيين .

وقبل الدخول إلى البناء يقف الزائر أمام لوحتين من الحفر النافر على الحجر إحداهما على الجدار الأمامي الأيسر تمثل الشهادة في معركة ميسلون والثانية على الجدار الأيمن تمثل البناء والعمل في جميع الميادين مما تم إنجازه في عهد التصحيح .

إضافة إلى ساحات لعرض أسلحة سورية وإسرائيلية استخدمت في الحرب ، أما القسم الداخلي يتضمن ما يلي :

- شكل دائري مهمته عرض بانوراما حرب تشرين التحريرية .
- مبنى مستطيل الشكل يحتوي عرض ديوراما معركة تحرير مرصد جبل الشيخ في بداية الحرب .
- مبنى آخر مستطيل الشكل يحتوي على مكونات المسيرة النضالية للرئيس حافظ الأسد في مسيرته النضالية .
- بدء بتنفيذ هذا العمل الرائع خلال سنوات اشترك خلالها المهندسون السوريون ومعهم الفنانون الكوريون الأصدقاء إضافة إلى عدد من مؤسسات القطاع العام كمؤسسة تنفيذ الإنشاءات العسكرية ومؤسسة معامل الدفاع .

ومن ينظر إلى واجهات بناء البانوراما الداخلية والخارجية يلاحظ بوضوح الاستعانة بعناصر العمارة العربية الأصيلة تاريخا وتراثا وعراقة كقلعة ترمز إلى المنعة والقوة والصمود وإضافة إلى كون المبنى يمثل مضمونا قوميا ووطنيا يروي قصة نضال شعبنا العربي الذي صمم على خوض الحرب العادلة لاستعادة الحقوق وتحرير الأرض المغتصبة .

سادسا : متاحف مستقبلية قيد الدراسة في مدينة دمشق :

١ - قلعة دمشق :

تعتبر قلعة دمشق مثالا رائعا لفن العمارة الإسلامية في القرون الوسطى، وهي من القلاع النادرة التي لازالت تحافظ على قسم كبير من بنائها الأيوبي الأصلي . وتقع هذه القلعة في الزاوية الشمالية الغربية من مدينة دمشق القديمة المحددة بالسور القديم وتؤلف مركز الحماية الأساسي للمدينة ،بدءا من القرن الخامس الهجري عندما ظهر الغزاة الصليبين .



صورة توضح قلعة دمشق التاريخية الهامة

أنشئت منذ عام ١٠٧٦ في عهد الملك العادل وهي تمتد على مساحة مقدارها ٣٥٠٠٠م٢ يحيطها سور واثني عشر برجا ضخما ولها باب رئيسي من جهة الشرق وابواب فرعية وفي داخلها قصر وصالة القصبة ومسجد أبى الدرداء ومنشات أخرى. وقدتم مؤخرا إخلاء القلعة من الشرطة والسجن وباشرت السلطات الأثرية أعمال الترميم فيها حسب الأصول.

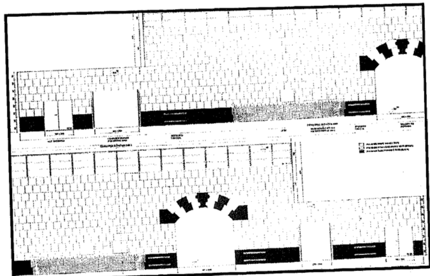
وقد وضعت العديد من الدراسات والبرامج التوظيفية للقلعة كان من أهمها الأول تخصيص قسم من القلعة للمتحف الحربي على أن تترك الأقسام الأخرى كشاهد على فن العمارة ، والثاني تحويل صالة أو عدة صالات من القلعة إلى متحف للثورة العربية .

ونلاحظ إن الهدف الأساسي الذي تسعى إليه السلطة الأثرية هو حماية التراث وإظهار المباني بعد ترميمها بالشكل المعماري الأصيل لكي تكون شاهدا تاريخيا على تطور العمارة ولكي تبقى نموذجا للطراز المعماري الأصيل.

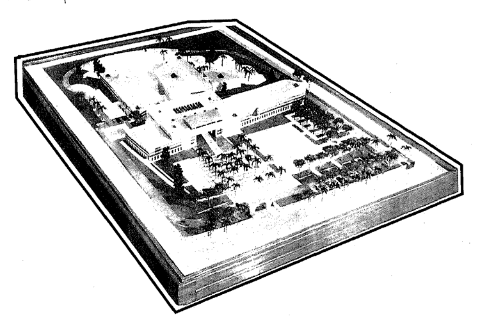
٢ - متحف الفن بدمشق :

قررت وزارة الثقافة إعداد دراسة لمتحف الفن في دمشق على ارض مساحتها الإجمالية ٣٨٠,٠٠٠م٢ تقريبا.

وقد خصصت لهذا الغرض منطقة خضراء على طريق رئيسي تقع جنوب نهر تورا، أحد الأنهار المتفرعة عن نهر بردى، وعلى امتداد شارع الثورة وهو شريان هام في المدينة وتشكل ارض المتحف جزءا من مشروع البارك الشرقي المقرر إقامته من قبل محافظة دمشق.



يفصل ارض المشروع عن الطريق الرئيسي شريط اخضر بعرض خمسين مترا كما يفصلها شريط ضيق عن نهر تورا تحيط بأرض المشروع ومن الجهات الثلاث المنطقة الخضراء الموصوفة بموجب المصور العام للمدينة (C) زراعة داخلية.



ماكيت توضيحي لمتحف الفن المقترح يبين دراسة واجهاته الخارجية ومدخله الرئيسي

وقد أعدت لهذا المشروع مسابقة عالمية فاز بها المعماري البلجيكي وذلك استنادا لتصميم معماري تم اختياره من قبل لجنة تحكيم برئاسة السيدة وزيرة الثقافة حيث عكس التصميم المعماري الدور البارز لمدينة دمشق بواجهاته المعمارية المنسجمة مع التراث المعماري والبيئة المحلية المناخية والتراثية للمدينة وباستخدام مواد البناء التقليدية في إكساء الواجهات الخارجية والداخلية كالحجر. آخذا بعين الاعتبار إمكانية التوسع بالبناء مستقبلا مع الاقتصاد في تنفيذ البناء الذي اعتمد فيه المصمم على المواد المحلية ويتألف المشروع المقترح من بهو الدخول وفراغاته وقاعات للعرض الدائم المؤقت مع المستودعات الخاصة بكل قاعة وقسم ثقافي واجتماعي وقسم إداري وفني وقسم للخدمات الهندسية أخر للخدمات الخارجية.

وقد بلغ مجموع المساحات المبنية الإجمالية ١٧٠,٠٠٠م^{٢} تقريبا.

سابعاً - النتائج والتوصيات والمقترحات على تراث المدن الحضاري في سبيل تحقيق التنمية المتدامة :

١ - ضرورة الحفاظ على التراث وإظهار مبانيه وترميمها بالشكل المعماري الأصيل والسليم لتكون شاهداً تاريخياً على تطور العمارة ولكي تبقى نموذجاً للطراز المعماري الخاص، لذلك فإن الحفاظ على المتاحف وترميمها وصيانتها ما هو إلا حفاظ على التراث الأثري والحضاري.

٢ - ضرورة الاهتمام بالنظام العمراني والمرافق الخدمية في المدينة القديمة وتشجيع السياحة فيها.

٣ - التأكيد على أهمية دور المعلوماتية في أرشفة المباني الأثرية والتاريخية لإعادة تأهيل المدينة القديمة وتأمين الخدمات والبنى التحتية الضرورية والاستفادة من الاستشعار عن بعد.

٤ - دعم وتشجيع البحث العلمي لإيجاد حل جذري وموضوعي لتزايد السكان داخل المدينة القديمة انطلاقاً من التخطيط الشامل للموارد الطبيعية والبشرية والاهتمام بالمراكز الأثرية والتراثية كالمتاحف بحيث تشكل مراكز جذب سياحية هامة.

٥ - دعم وتعزيز الاتصال مع المعاهد والهيئات العربية والأجنبية الصديقة لتبادل الخبرات في مجال دراسة المدن القديمة وترميم وصيانة الأبنية الأثرية والتاريخية والحفاظ على نسيجها العمراني المتميز ضمن بيئة صحية.

٦ - تعزيز دور الإعلام ومشاركة المرأة ودعم الجمعيات الأهلية كجمعية أصدقاء دمشق من أجل حماية المناطق الأثرية والتراثية الحضارية.

٧ - ضرورة تقوية البنى الثقافية والسياحية كالمتاحف في المدينة القديمة، وهو أمر هام لإنجاح عملية إعادة التقييم الاجتماعية لتحقيق دراسة تنظيمية بيئية أفضل.

٨ - تعزيز دور الشراكة بين السلطات المحلية والقطاع الخاص والمنظمات غير الحكومية في التخطيط للمدن القديمة والشرائح الأثرية وتنفيذ الاستراتيجيات التنموية في كافة المجالات البيئية والسياحية والاقتصادية.

٩ - ضرورة إيجاد أسس ذات جذور تاريخية أكثر عمقاً لعمارة جديدة قد تكون ضمن نسيج عمراني قديم أو أن تكون تصميم منشآت جديدة معاصرة كالمتاحف.

المراجع المعتمدة في البحث :

- د. بهنسي عفيف - مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية رقم / ٣٢/ لعام / ١٩٨٢/ - الفن الإسلامي
- روبين جيرار - قصور وبيوت من دمشق في القرن الثامن عشر - وزارة السياحة - المعهد الفرنسي للدراسات العربية .
- د. ريحاوي عبد القادر - العمارة العربية الإسلامية - خصائصها وآثارها في سورية .
- أ. د سعدية أيوب - دمشق الشام / أقدم مدينة في العالم/ كتاب مصور عن محافظة دمشق عام / ١٩٨٩/ .
- محاضرات من ندوة دمشق القديمة عام / ١٩٨٥/ .
- وزارة السياحة في الجمهورية العربية السورية - النشرات والبروشورات والكتب السياحية .
- وزارة السياحة في الجمهورية العربية السورية - أطلس دمشق السياحي .
- هيروجان - سورية اليوم .



نـــــدوة
التراث المعماري الاسلامي في الألفية الثالثة
١٨ - ٢٠ مـــارس ٢٠٠١

فراغات الاتصال العمرانية المحيطة بالمدخل الشمالي للقاهرة الفاطمية

د . محمود أحمد أحمد عيسى
كلية تصاميم البيئة ، جامعة الملك عبد العزيز
جـدة – المملكة العربية السعودية



مقدمـــة

فراغات الاتصال العمرانية ليست مجرد مسارات لإنتقال الأشخاص أو المركبات من مكان لآخر خلال النسيج العمراني فقط، وإنما لها أيضاً دور مؤثر في إظهار مكونات النسيج العمراني ذات القيمة التاريخية أو الإجتماعية أو الوظيفية. عند دراسة تتابع فراغات الاتصال العمرانية حول المناطق التاريخية فان دور هذه الفراغات في اظهار والتأكيد على المباني ذات القيمة التاريخية هو من أهم مؤثراتها على المحتوى العمراني التراثي.

عمران القاهرة الحالي هو نتاج حضارات متعددة تعاقبت على مر الزمن وتعرضت المناطق التاريخية من هذا العمران لكثير من التعديات مما ساهم في إهدار قيمتها التاريخية. في اطار الاتجاه العام نحو الارتقاء بهذه المناطق بهدف إظهار قيمتها الحضارية فإن دراسة فراغات الاتصال العمرانية حولها بهدف توظيفها ايجابياً يسهم إلى حد كبير في الارتقاء بهذه المناطق. قد تستخدم الصور أو الخرائط أو المجسمات المصغرة لاجراء هذه الدراسات والتحليلات. هذا البحث يعرض إمكانية توظيف تطبيقات الحاسب الآلي من خلال التمثيل المرئي ثلاثي الأبعاد للمساعدة في دراسة وتقييم تأثير فراغات الاتصال العمرانية المحيطة بمناطق القاهرة التاريخية. ويتناول البحث منطقة مدخل القاهرة الفاطمية الشمالي لما لها من قيمة تاريخية مثالاً لتطبيق منهج مقترح لتحليل تتابع فراغات الاتصال العمرانية وتأثيرها في إظهار التراث الحضاري للعمارة التاريخية والذي يمكن اتباعه ايضاً لدراسة فراغات الاتصال العمرانية في أي منطقة تضم مباني ذات قيمة تاريخية.

خصائص فراغات عمران القاهرة الفاطمية

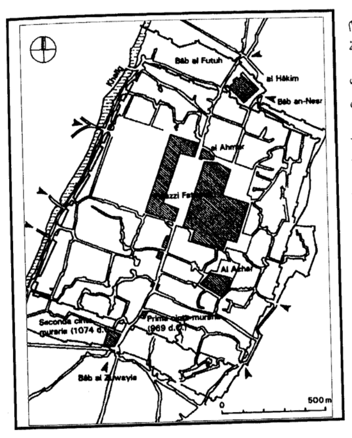
عند دراسة الفراغات العمرانية المحيطة بالمناطق التاريخية من المفيد أن نستعرض النسيج العمراني الأصلي لها للتعرف على أهم السمات والخصائص التشكيلية للمحتوى العمراني من فراغات ومباني منذ بداية إنشاء هذه المناطق. وذلك بهدف الاستفادة منها في كيفية تطوير العمران القائم دون الاخلال بالقيم التشكيلية الأصلية لعمران المنطقة (شكل ١) يوضح النسيج العمراني للقاهرة الفاطمية حيث نلاحظ أن القصبة الرئيسية (شارع المعز لدين الله) تمثل نموذجاً لتتابع الفراغات التي يتصل بعضها البعض اتصال واضح وذات ايقاع للتغير في المساحة تبعاً لاستخدامها وكذلك التباين واختلاف المناظر التي يراها المار خلالها حيث لا يشعر بالملل.

تطور عمران منطقة الدراسة

يرجع إنشاء منطقة المدخل الشمالي للقاهرة الفاطمية إلى عام ١٠٨٧م حيث أدى امتداد العمران خارج سور القاهرة الفاطمية الأصلي إلى إنشاء سور آخر ليحتوى العمران الممتد بما فيه جامع الحاكم الذي أمر الخليفة العزيز بالله بتأسيسه عام ٩٩٠م ثم أكمله ابنه الخليفة الحاكم بأمر الله فنسب إليه الجامع. ويضم السور في هذه المنطقة باب الفتوح وباب النصر حيث اتصال القاهرة الفاطمية بالطرق المؤدية إلى الوجه البحري للبلاد.

يستعرض (شكل ٢) تطور المحتوى العمراني للمنطقة والتغيرات الجوهرية منذ إنشائه وحتى الوقت الحاضر.

من هذا الاستعراض يمكن استخلاص أهم خصائص فراغات الاتصال العمرانية للمنطقة حيث نلاحظ أن التشكيل العمراني كان يعكس وظائف مكوناته من فراغات ومباني دون الارتباط باعتبارات تشكيلية معينة . لذلك ظهر النسيج العمراني في صورة تلقائية واضحة التكوين ليس فيها تكلف أو تصنع . النمو العشوائي غير المنظم الذي أدى بعمران المنطقة إلى صورته الحالية نتج عنه فقدان فراغات الاتصال العمرانية بالمنطقة لأهم السمات والخصائص التشكيلية التي كانت تميزها والتي يمكن ايجازها على النحو التالي : -



شكل (١) النسيج العمراني للقاهرة الفاطمية في بداية العصر الأيوبي

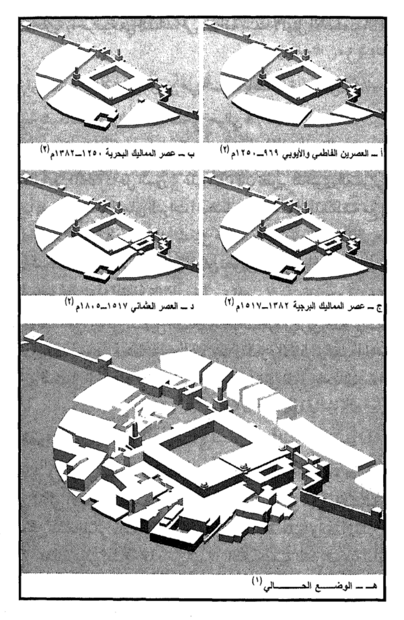
* التوجيه Orientation للتأكيد على مداخل ومخارج الفراغات الرئيسية المتمثلة في باب الفتوح في نهاية القصبة الرئيسية المدينة وأيضاً باب النصر . كذلك التأكيد على جامع الحاكم كعنصر مركزي كبيروالقيمة بالمنطقة .

* التكوين التتابعي في النهاية الشمالية لقصبة المدينة كفراغ اتصال عمراني رئيسي حيث نجد التدرج الهرمي Hierarchy من أقصى اتساع عند باب الفتوح حيث مدخل الجامع ايضاً والتدرج في تقليل الاتساع كلما اتجهنا نحو داخل المدينة وأثر ذلك في تجنب الإحساس بالملل للمار خلال هذا الفراغ . ذلك بالاضافة إلى ايجاد ايقاع للتغير في مساحة الفراغات المتتابعة .

* تناسب مساحة الفراغات بالنسبة لمقاييس العناصر المعمارية المحددة لها وكذلك بالنسبة إلى طبيعة استعمالها وسرعة الحركة خلالها . فنجد اتساع الفراغات حول جامع الحاكم لاستيعاب تجمع السكان خاصة في المناسبات الدينية أو الاجتماعية . كذلك استيعاب حجم الحركة عبر باب الفتوح وباب النصر إلى خارج المدينة .

الحالة الراهنة للمنطقة

النمو العمراني العشوائي غير المخطط بالمنطقة وحولها خاصة في العصر الحديث بالاضافة الى التعديات على المباني التاريخية وإهمال صيانتها ، أدى إلى إهدار القيمة الحضارية والتاريخية لمباني المنطقة . على ذلك أصبح من الضروري الارتقاء بعمران المنطقة تشكيلياً ووظيفياً بهدف المحافظة على محتواها العمراني التاريخي شأنها



شكل (٢) تطور المحتوى العمراني لمنطقة مدخل القاهرة الفاطمية الشمالي

في ذلك شأن معظم المناطق التاريخية بالقاهرة. التعرف على الحالة الراهنة لأي منطقة عمرانية تعتبر أول مراحل دراسة الارتقاء بها عمرانياً بهدف إعداد الدراسات والخطط المناسبة للارتقاء مع مراعاة الوضع القائم. على ذلك فإنه قبل دراسة فراغات الاتصال العمرانية حول منطقة الدراسة الحالية يجب التعرف على خصائص العمران القائم في الوقت الراهن.

في دراسة لمنظمة العواصم والمدن الإسلامية لمنطقة جامع الحاكم وجدت :

* حالات المباني بالمنطقة معظمها رديئة حيث تمثل نسبة المباني الرديئة حوالي ٥٢,٣٪.

* الاستعمالات التجارية والحرفية هي السائدة في المنطقة بينما لا يمثل الاستعمال السكني سوى حوالي ٤ ,١٢٪.

* المباني التي تتراوح ارتفاعاتها من دور إلى دورين هي السائدة بالمنطقة حيث تمثل ٥٤٪.

* نسبة المباني المخدومة بشبكات المياه والصرف الصحي حوالي ٩ ,٧٪.

طبقاً لهذه المؤشرات نجد أن المنطقة تعاني من تدهور عمراني. كذلك حالة المنطقة شمال سور القاهرة الفاطمية لا تختلف كثيراً عن المنطقة داخل السور. على ذلك فان تطوير المحتوى العمراني للمنطقة من فراغات ومباني اصبح ملحاً بهدف الحفاظ على التراث الحضاري المعماري للمنطقة مع إمكانية الحفاظ على الاستعمالات القائمة بمعدلاتها الحالية في إطار تشكيل عمراني منظم، بالاضافة إلى ذلك فان محور شارع جلال وشارع البغالة شمال سور القاهرة الفاطمية يمكن تطويره ليمثل فراغ اتصال عمراني يسهم في إظهار القيمة الحضارية والتاريخية لمباني هذه المنطقة.

هذا المحور يمكن توظيفه مرورياً في تسهيل اتصال وسط القاهرة وطريق صلاح سالم ثم الطريق الدائري للقاهرة الكبرى. ذلك بهدف تخفيف ضغط المرور العابر خلال شارع الأزهر وتجنب الحاجة إلى اضافة انشاءات مثل الأنفاق أو الكباري لتسهيل المرور خلاله والتي قد تؤثر سلبياً على المباني ذات القيمة التاريخية بمنطقة جامع الأزهر بصرياً وإنشائياً.

منهج تحليل الفراغات

التطور الكبير والمتاح في الوقت الحاضر لاستخدامات امكانيات الـ Computer Graphics يمكن توظيفه من خلال التمثيل المرئي ثلاثي الأبعاد Visual Simulation للمساعدة في تحليل التشكيل العمراني من مباني وفراغات محيطة. يمكن تحديد المباني ذات القيمة والتي يجب الحفاظ عليها وايضاً المباني التي يمكن تطويرها او إزالتها تبعاً لحالاتها. كذلك يمكن إضافة عدد من البدائل التصميمية المقترحة وتحليلها تشكيلياً ومقارنتها بالتشكيل القائم أو ببدائل أخرى. كما يمكن مشاركة العديد من ذوى الخبرات العلمية المرتبطة بالتشكيل العمراني وايضاً الجهات الإدارية المختصة وحتى قاطني هذا العمران يمكنهم المساهمة بشكل ما لاختيار أنسب البدائل. الدراسة الحالية تعرض نموذجاً لتطبيق هذا الأسلوب من منظور تأثير تتابع فراغات الاتصال العمرانية على إظهار المباني ذات القيمة التاريخية لمنطقة مختارة من مناطق القاهرة التاريخية كمثال يمكن تطبيقه على مناطق أخرى وأيضاً في شتي مجالات الارتقاء بالتشكيل العمراني القائم. ويمكن عرض خطوات هذا الاسلوب على النحو التالي :-

* إنشاء نموذج ثلاثي الأبعاد باستخدام بعض برامج الحاسب الآلي للمنطقة المختارة يضم المباني ذات القيمة التاريخية. ثم إضافة أحد البدائل المقترحة لتطوير التشكيل العمراني من مباني وفراغات محيطة والذي يراعي فيه خصائص الوضع الراهن لعمران المنطقة السابق الإشارة إليه من حيث حالات المباني وارتفاعاتها

واستعمالاتها. والذي يهدف الى إظهار التباين بين العمارة التاريخية بتشكيلاتها والعمارة المستحدثة بتشكيلاتها مع ايجاد نوع من التجانس.

* تسجيل عدد من الصور من نقاط ثابتة ومتتابعة من الفراغات العمرانية تمثل الصورة المرئية للمحتوى العمراني من خلال الفراغات الحالية.

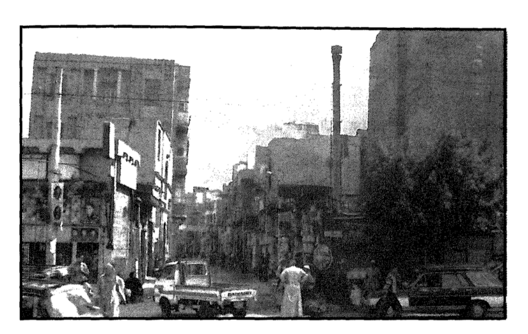
* تسجيل عدد من الصور من النموذج ثلاثي الأبعاد المعد شاملاً التطوير المقترح لتطوير عمران المنطقة ومن نقاط تماثل نفس النقاط الثابتة والمتتابعة للصور المسجلة للعمران القائم ولكن تعرض الصورة المرئية للمحتوى العمراني في صورته المقترحة مع إمكانية تعدد المقترحات.

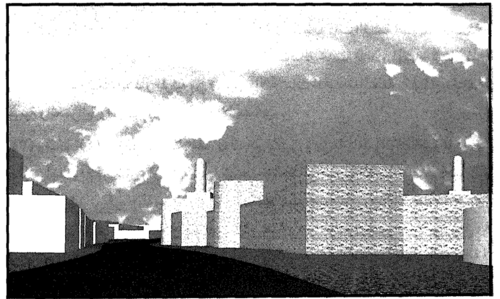
* مقارنة وتحليل الصور المرئية للعمران القائم ومثيلاتها من نموذج التطوير المقترح للتشكيل العمراني. ذلك مع مراعاة جميع الاعتبارات التصميمية والتشكيلية وايضاً الاعتبارات البيئية وخصائص العمران القائم.

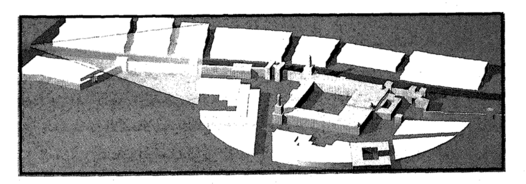
فيما يلي تحليل مقارن لبعض الصور المسجلة من العمران القائم لمنطقة المدخل الشمالي للقاهرة الفاطمية ومثيلاتها المسجلة من نموذج ثلاثي الأبعاد مبسط لمباني المنطقة ذات القيمة التاريخية شاملاً نموذج مقترح لتطوير التشكيل العمراني وفراغات الاتصال العمرانية المحيطة خاصة المحور المقترح شمال المنطقة هذا ويمكن مقارنة وتحليل العديد من الصور المرئية من مختلف الاتجاهات المحيطة بالمنطقة وكذلك مختلف وجهات النظر التصميمية والعمرانية والانشائية والإدارية والاجتماعية.

* شكل (٣) وشكل (٤) يعرضان تحليلاً مقارن لتتابع للصورة المرئية للعمران القائم ونموذج تشكيل عمراني مقترح للاتجاه القادم من شارع الجيش متجه شرقاً. نلاحظ في صورة العمران القائم إخفاء المباني التاريخية خلف عمران عشوائي في حالة سيئة إنشائيا وتشكيلياً يستوجب تطويره بإزالة معظمه حيث يمكن استبداله بمحتوى عمراني منظم يمكن أن يستوعب نفس الاستعمالات الحالية وبنفس معدلاتها المختلفة. يسهم ذلك التطوير في ابراز القيمة الحضارية للمباني التاريخية بالمنطقة من خلال فصل المباني التاريخية لاحداث تباين بين تشكيلاتها وموادها الطبيعية والعمارة المستحدثة بتشكيلاتها وموادها المصنعة وذلك في إطار يحقق التجانس التشكيلي.

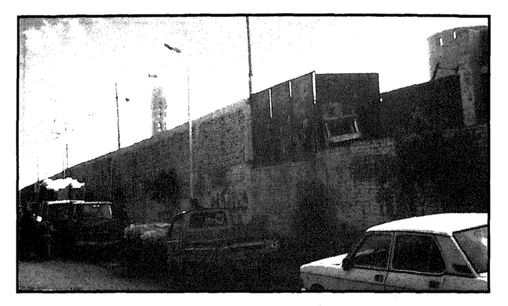
* شكل (٥) وشكل (٦) يعرضان تحليلاً مقارن لتتابع للصورة المرئية للعمران القائم ونموذج تشكيل عمراني مقترح للاتجاه القادم من طريق صلاح سالم وشارع المنصورية متجه غرباً. نلاحظ ان الصورة المرئية للمباني التاريخية من هذا الاتجاه لا تختفي خلف عمران مستحدث وانما يشوه الصورة المرئية للمحتوى العمراني التاريخي العديد من الاشغالات والتعديات. برفع هذه الاشغالات وإعادة تنسيق الموقع بالاضافة الى تطوير التشكيل العمراني للمنطقة المواجهة لسور القاهرة الفاطمية يسهم في ايجاد التباين الذي يبرز المباني التاريخية للمنطقة في الصورة اللائقة بقيمتها الحضارية والتاريخية.

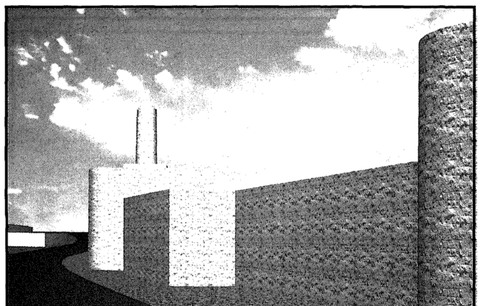


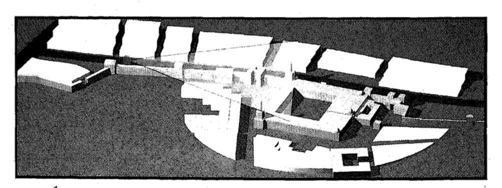




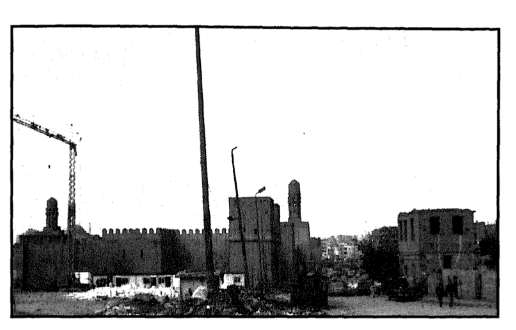
شكل (٣) : مقارنة الصورة المرئية الأولى من شارع الجيش متجه شرقاً

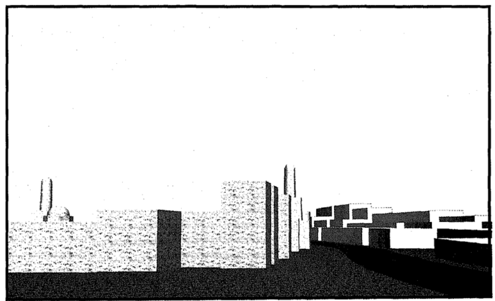


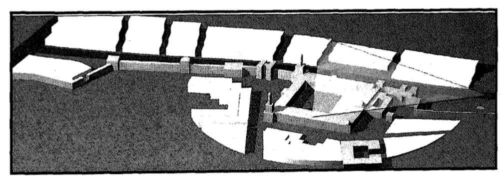




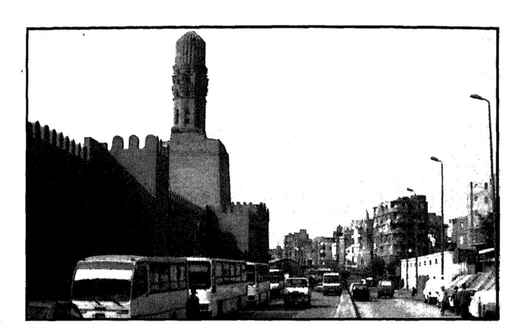
شكل (٤) : مقارنة الصورة المرئية الثانية للمار بشارع البغالة متجه شرقاً

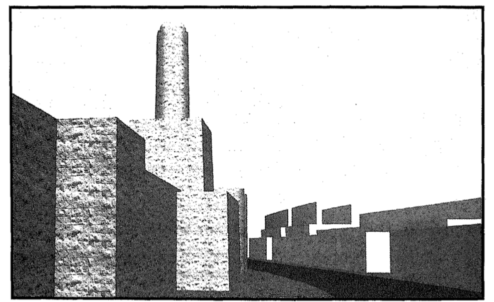


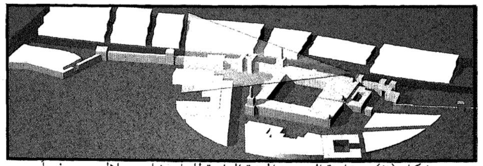




شكل (٥) : مقارنة الصورة المرئية الثالثة للقادم من طريق صلاح سالم متجه غرباً







شكل (٦) : مقارنة الصورة المرئية الرابعة للمار بشارع جلال متجه غرباً

الخلاصـــة :

النمو العمراني العشوائي غير المنظم بالمناطق التاريخية وحولها في القاهرة أدى إلى إهدار قيمتها التاريخية خاصة في المناطق المزدحمة مثل القاهرة الفاطمية . أدى ذلك الى تردد معظم السياح الأجانب وحتى المصريين في زيارة هذه المناطق والاتجاه الى مناطق الآثار الفرعونية التي تحظي بقدر من اهتمام الدولة أكبر من اهتمامها بمناطق القاهرة الإسلامية . في اطار الاهتمام المتزايد في الآونة الأخيرة بالارتقاء العمراني للقاهرة الإسلامية ، فإنه يمكن توظيف التطور الكبير في تطبيقات الحاسب الآلي من خلال التمثيل المرئي ثلاثي الأبعاد للمساعدة في دراسة وتحليل التأثير البصري لفراغات الاتصال العمرانية المحيطة بمناطق القاهرة التاريخية . حيث يسهم ذلك في اظهار التراث الحضاري للعمارة التاريخية وذلك بمراعاة بعض الاجراءات التي يمكن تلخيصها على النحو التالي :-

* اظهار التباين بين العمارة التاريخية بتشكيلاتها وموادها الطبيعية والعمارة المستحدثة بتشكيلاتها وموادها المصنعة .

* فصل المبني التاريخي مع ايجاد نوع من التجانس التشكيلي بين القديم والمستحدث .

* محاولة تخطيط وتصميم المباني المحيطة بالمناطق التاريخية على أسس القيم التخطيطية للعمارة القديمة وتشيدها بما يتطلبه العصر من تقدم تكنولوجي واجتماعي .

* تحديد القوانين التنظيمية التي تضمن ربط العمران المستحدث بالتراث الحضاري والمعماري سواء بالنسبة للتشكيل الخارجي واللون والارتفاعات وكذلك فصل حركة المشاة عن حركة المرور الآلي وقصرها في أضيق الحدود .

المراجـــع

١ - منظمة العواصم والمدن الإسلامية ، أسس التصميم المعماري والتخطيط الحضري في العصور الإسلامية المختلفة ، دراسة تحليلية على العاصمة القاهرة ، القاهرة، ١٩٩٠ .

2 - Al Sayyad Nezar, Streets Of Islamic Cairo A Configuration Of Urban Themes And Patterns, Aga Khan Program/MIT, 1981.

3 - Broadbent Geoffrey, Emerging Concepts In Urban Space Design, Vnr,New York, 1990.

4 - Burden Ernest, Design Simulation Use Of Photographic And Electronic Media In Design And Presentation, Metchell-London, 1988.

5 - Hakim Besim, Arabic - Islamic Cities, Building And Planning Principles, KPI, London, 1986.

6 - La Greca Paolo, Il Cairo Una Metropoli In Transizione, Officina Edizioni, Via Nicola Ricciotti, Roma, 1996.

7 - Mccluskey Jim, Road Form And Townscape, Apl, London, 1979.

8 - Sanoff Henry, Visual Research Methods In Design, Vnr, New York, 1991.

9 - Trancik Roger, Finding Lost Space, Theories Of Urban Design, Vnr, New York, 1986.

10 - Unesco, The Conservation Of The Old City Of Cairo, The Expanding Metropolis Coping With The Urban Growth Of Cairo, The Aga Khan Award For Architecture, Cairo, 1984.





نـــدوة

التراث المعماري الاسلامي في الألفية الثالثة

١٨ - ٢٠ مـــارس ٢٠٠١

دور كليات العمارة والتخطيط في الحفاظ على التراث العمراني «كلية تصاميم البيئة - جامعة الملك عبد العزيز»

ياســر عبد الــرزاق بليلــه

كلية تصاميم البيئة بجامعة الملك عبد العزيز

جدة - المملكة العربية السعودية

١- المقدمـــة :

يتفق القارئ على أهمية الحفاظ على التراث العمراني لما يمثله ذلك من قيمة حضارية للأمة، ويتفق القارئ أيضاً على أنه لابد من الاستفادة من هذه التجارب الغنية والاشتقاق من ثوابت التراث الموجودة والباقية بين أيدينا، ويتفق الجميع أن هناك جهات حكومية وخاصة مهمتها الحفاظ على التراث العمراني والتوعية بأهمية هذا التراث، والسؤال هو هل مؤسسات إحدى هذه المؤسسات التي يمكن أن تحافظ وتعنى بالتراث العمراني؟ ننطلق في الإجابة على هذا السؤال الكبير من رسالة الجامعة/ مؤسسات التعليم العالي في التدريس والبحث العلمي وخدمة المجتمع(١)، حيث يمكن أن تتدرج المحافظة على التراث العمراني في الجوانب المذكورة وخاصة الجانب العلمي، من خلال البحث والتدريس وخدمة المجتمع .

ثم ننتقل إلى السؤال الآخر، وهو دور القطاعات المختلفة في الحفاظ على التراث العمراني، هناك أ. جها تشريعية، ب. جهات تنفيذية، جـ. جهات توجيه وتوعية، د. جهات تطوير، ويمكن لجهة منها أن تشارك في أكثر من نشاط في تشريع وتنفيذ أو غيرهما، ونأتي أيضاً إلى دور الجامعة وهل تستطيع أن تؤدي دوراً رئيسياً في التوجيه والوعي، التطوير والتنفيذ إذا توافرت لها الإمكانات البشرية والمادية؟

الدراسة ستتناول منهج كلية تصاميم البيئة بجامعة الملك عبد العزيز في الحفاظ على التراث العمراني، يشمل ذلك المقررات الدراسية ومتطلباتها من أبحاث الطلاب ودراساتهم، مشاريع الطلاب وأمثلة من المشاريع التطبيقية التي ساهمت بها الكلية، ثم دراسة تحليلية مقارنة، وهل الموجود بالكلية من نشاطات وفعاليات يعتبر كافياً في الحفاظ والتطوير، وإذا أثبت جدواه يمكن القياس مستقبلا على هذا النموذج في المؤسسات التعليمية الأخرى .

بدأ التعليم المعماري والبيئي بالمملكة عام ١٩٦٧م بقسم العمارة التابع لكلية الهندسة بجامعة الملك سعود بالرياض، ابتدأ التوسع في هذا المجال منذ عام ١٩٧٥م ليصل إلى خمس كليات للعمارة والتخطيط وعمارة البيئة بحلول عام ١٩٨٥م، وهي كلية العمارة والتخطيط بجامعة الملك سعود - كلية العمارة والتخطيط بجامعة الملك فيصل - كلية تصاميم البيئة بجامعة الملك عبد العزيز - كلية تصاميم البيئة بجامعة الملك فهد للبترول والمعادن - قسم العمارة الإسلامية بكلية الهندسة والعمارة الإسلامية بجامعة أم القرى (٢) عمدت هذه المدارس إلى سلسلة من الأهداف تحدد فلسفة التعليم بها وتمثل غالباً خلاصة الأداء والطموحات التي يتطلع إليها أعضاء هيئة التدريس والمسئولين في تلك المؤسسة أو على قيادة الجامعة .

وفي جامعة الملك عبد العزيز بجدة أنشأت مدرسة تصاميم البيئة تحت مظلة كلية الهندسة عام ١٩٧٦م بالتعاون مع جامعة هارفرد بالولايات المتحدة الأمريكية لوضع البرنامج الأكاديمي وتهدف إلى دراسة النظم الطبيعية والحيوية والاجتماعية التي تشكل المملكة العربية السعودية وما تمثله تلك النظم من روافد وثروات، كما

تهتم المدرسة بتخطيط وتصميم وإدارة تلك النظم والبيئات الطبيعية والمبنية بغرض تحقيق رفاهية وسعادة الإنسان، وفي سبيل تحقيق ذلك تدرك المدرسة احتياجات السكان الروحية ضمن إطار المحافظة على الماضي والنظر دائما إلى المستقبل (٣). والبداية ستكون بتناول أدبيات الدراسة.

٢- أدبيات البحث

يظهر أن الأهداف الخمسة الأكثر أهمية في التعليم المعماري مرتبة حسب الأهمية: ١- تعليم مفاهيم ومهارات العمارة والتخطيط الحديثة التي تخدم المجتمع المسلم، ٢- الارتقاء بمستوى البيئة العمرانية السعودية، ٣- الارتقاء بمستوى مهنة العمارة والتخطيط في المملكة، ٤- التفهم العميق للبيئة الطبيعية والعمرانية السعودية واحتياج قاطنيها، ٥- إنجاز الأبحاث العلمية التي تركز على إيجاد حلول لمشكلات البيئة السعودية (٢)، ويؤكد الهدف الرابع على التفهم العميق للبيئة الطبيعية والعمرانية السعودية واحتياج قاطنيها، ومنها يمكن أن يستدل على العناية بالتراث العمراني والاهتمام به. وهناك تميز مطلوب في فلسفة وأهداف كل مدرسة على حده، ربما يتبلور التميز في مسارات عدة مثل: التركيز على التعامل مع البيئة الطبيعية التي تقع ضمنها المدرسة، التركيز على التعامل مع البيئة العمرانية والتراث العمراني المحيط، انتهاج خط فلسفي وتعليمي مميز فيما يتعلق بأسلوب التعليم، أو فيما يتعلق بمهارات الخريج وقدراته.

وهنا يبرز دور كلية تصاميم البيئة في انتهاجها هذا التميز في التركيز على العناية بالتراث العمراني المحلي وتأصيله وتطويره، فمعظم مواد الخطة الدراسية ومقرراتها تركز على الفنون والتاريخ ونظريات العمارة مع التقليل من المقررات ذات الطبيعة الفنية(٤).

٢-١ الحفاظ على التراث العمراني

للتعرف على أهمية التراث لا بد لنا من النظر إلى التاريخ الحديث للتقدم العلمي في العلوم والتقنية حيث يتضح أنه لايمكن أن يكون هناك تقدم في أي مجال إلا بالاعتماد على أساس ثابت (تراث) يكون مجهود اليوم استمرار له، ولنا أن نتخيل حال العلوم الطبيعية إذا نبذت مبادئ الحروف والأرقام (٥). ونقتطف مقولة للدكتور صالح الهذلول: نلاحظ اللوحات الفنية التي تباع في المزادات العالمية بمبالغ باهظة ربما لا نجد فيها شيئا ملفتا إلا أنها تحوي قيمة حضارية، الحفاظ على هذه القيمة التي لا يمكن الرجوع إليها حين هدمها، هناك عناصر في المبنى وهذه العناصر تمثل لغة معمارية، والأتراك حينما غيروا الحروف إلى اللاتينية لم يعودوا يقرؤون العربية ولا يستطيعون الرجوع إلى تراثهم(٦).

٢-٢ ندوة الحفاظ على التراث المعماري الإسلامي

عقدت هذه الندوة في استنبول وكان من توصياتها: تنمية الأحاسيس لدى طلاب المراحل التعليمية المختلفة بقيم تراثهم العمراني الإسلامي من خلال المناهج الدراسية، وإدخال مواد أكاديمية ذات علاقة بتاريخ العمارة

الإسلامية وترميمها وصيانتها والحفاظ عليها في الكليات المتخصصة، وتوجيه أبحاث الطلاب ومشروعاتهم العملية بما يخدم هذا الاتجاه والتركيز على هوية العمارة الإسلامية المعاصرة ضمن مناهج التصميم المعماري وتخطيط المدن، والعمل على تبادل الخبرات والزيارات الميدانية بين الجامعات ومراكز البحوث في المدن العربية والإسلامية(٧).

٢-٣ ندوة تأصيل العمارة المحلية في التعليم العمراني

نظمتها جامعة الملك سعود بالرياض ومن توصياتها القيام بوضع إطار عام وآلية لعقد لقاء سنوي بين عمداء كليات العمارة والتخطيط وتصاميم البيئة في جامعات المملكة للتشاوروالتنسيق بين هذه الكليات فيما يتعلق بالدورالمناط بكل منها بوجه عام، وخاصة ما يتصل ببرامج التعليم العمراني في هذه الكليات ومدى عنايتها بتأصيل العمارة المحلية في تلك البرامج، إضافة إلى مسئولياتها تجاه العناية بتراثنا العمراني في المملكة، وما يتطلبه ذلك من احتياجات بشرية ومالية وفنية ترغب من وزارة التعليم العالي في دعمه على أن يتم وضع الآليات المنظمة للقاء عمداء كليات العمارة والتخطيط من قبل العمداء وذلك في أقرب فرصة ممكنة مع استحسان أن يصاحب ذلك إقامة معارض للأعمال الأكاديمية المتميزة في مجال الحفاظ والتطوير للعمارة المحلية والاحتفاء بالمساهمين في تلك الأعمال (٨).

٢-٤ مركز جامعة بركلي للحفاظ على التراث

وهناك مراكز جامعية متخصصة للعناية بالتراث العمراني مثل الموجود في جامعة بركلي بالولايات المتحدة الأمريكية International Association for the Study of Traditional Environments IASTE والذي نشأ بعد أول مؤتمر عن الاستيطان التقليدي في بركلي ابريل ١٩٨٨م كمنظمة أو جمعية غير ربحية لتبادل الخبرات والأفكار وتعلم كمظلة لجميع المتخصصين والعاملين والدارسين للبيئة التقليدية والتراثية والدينية والمحلية، وتعقد مؤتمرات دورية عن البيئة التراثية وتعمل على طباعة جميع التي الأبحاث التي تقدم من خلالها، ولديها مجلة محكمة (٩)، وعضويتها متاحة لجميع المهتمين من الأفراد والمؤسسات.

٢-٥ مسابقة البيت البحريني المعاصر - رؤى تراثية

يمكن اعتبارها محاولة عملية لربط طلاب كليات العمارة والتخطيط بالتراث العمراني عبر مسابقة تصميم معماري طرحتها جامعة البحرين ممثلة بقسم الهندسة المدنية والمعمارية بكلية الهندسة تدعو المتسابقين لتصميم البيت البحريني المعاصر مع الأخذ بعين الاعتبار التراث الحضاري للعمارة التقليدية، وتدهف إلى مزج العوامل الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والأبعاد التاريخية في عملية التصميم وإيجاد نوع من التوازن بين التراث والمعاصرة في الأفكار والأشكال والمفردات المعمارية والمواد وتقنيات البناء وتقديم مجموعة من التصاميم المبتكرة التي تعطي الشخصية المميزة للمبنى وتستطيع التفاعل مع النواحي المعمارية الأساسية ممثلة في احتياج

الإنسان والخدمات وأنظمة البناء واستهلاك الطاقة والتفاعل مع المناخ وتوجيه المبنى والاستفادة من الموقع(١٠).

٢-٦ جائزة الأمير سلطان بن سلمان للتراث العمراني

وهي فكرة رائدة في مجال التحفيز للحفاظ والعناية بالتراث العمراني بالمملكة، وقد ورد في فكرتها أنه انطلاقاً من تأكيد لأهمية العناية بالتراث العمراني، وتشجيعاً لوعي مجتمعي أفضل بالتراث العمراني الأصيل للمملكة العربية السعودية، وحفزاً للإبداع في مجالات العناية بالتراث العمراني ولتقديم الأمثلة العمرانية القدوة، قرر صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن سلمان بن عبد العزيز، الرئيس الفخري للجمعية السعودية لعلوم العمران ورئيس مؤسسة التراث، إنشاء ورعاية جائزة وطنية للتراث العمراني، وقد تم اختيار مدينة الرياض لتكون مقراً للجائزة.

- تهدف الجائزة إلى العناية بالتراث العمراني والحفاظ عليه، وتشجيع التعامل معه كنطلق لعمران مستقبلي أفضل لمدن المملكة العربية السعودية وقراها، ينبع من ثوابت تراثها العمراني الأصيل، كما تطمح إلى خلق وعي مجتمعي بمفهوم التراث العمراني وأبعاده ودوره الحضاري.
- تمنح الجائزة مرة كل سنتين في احتفال خاص، وتقوم على تنظيمه موسسة التراث والجمعية السعودية لعلوم العمران(١١).

٢-٧ أبحاث علمية وكتب متخصصة

قام مجموعة من أعضاء هيئة التدريس في كليات العمارة والتخطيط بالمملكة بالكتابة حول الموضوع (مثال ١٢، ١٣)، وإجراء دراسات وأبحاث تتعلق بالتراث العمراني وتوثيقه والحفاظ عليه بمختلف مناطق المملكة (مثال ١٤، ١٥).

٣- مقررات تتناول العمارة المحلية

١- من خلال استعراض البرنامج الأكاديمي لكلية تصاميم البيئة بجامعة الملك عبد العزيز المطبق بين عامي ١٩٧٦-١٩٩م، يتضح كثرة المقررات ذات الطبيعة العامة، حيث كان البرنامج ينقسم إلى جزأين؛ المرحلة العامة وهي الثلاث سنوات الأولى المشتركة بين الأقسام العلمية بالكلية (العمارة، التخطيط الحضري والإقليمي، عمارة البيئة)، وثلاث سنوات تخصصية في أحد هذه الأقسام، مجموع الوحدات الدراسية ١٨٥ ينهيها الطالب المنتظم خلال ست سنوات دراسية. هناك بعض المواد التي كانت تتناول العمارة المحلية بشكل جزئي مثل مادتي نظريات العمارة ١-٢، ومادتي تاريخ العمارة ١-٢، ومواد أخرى بشكل غير مباشر وحسب المنهج الذي يرسمه عضو هيئة التدريس مثل المراسم، ومن إيمان إدارة الكلية بفكرة الحفاظ والاهتمام بالتراث العمراني فقد تم تحويل مادتي تاريخ العالم إلى مادتي العمارة التقليدية في المملكة العربية

السعودية وفي مدينة جدة على التوالي بـ٣ وحدات دراسية لكل منهما بين عامي ٩٢-١٩٩٩م، يرتكز المقرر الأول على العمارة المحلية في المملكة العربية السعودية واختلافها في مناطق المملكة والعناصر التي أثرت فيها وأمثلة من هذه النظم المختلفة، المقرر الثاني يركز على العمارة المحلية في مدينة جدة بشكل خاص، العناصر المعمارية والعمرانية، النسيج العمراني والمفردات والجماليات، ساعد في هذا التركيز وجود منطقة تاريخية بوسط المدينة قامت أمانة محافظة جدة بالمحافظة عليها وتم تصنيف أكثر من ٥٠٠ بيت بدرجة أهمية متفاوتة(١٦).

٢- وفي قسم الطالبات بجامعة الملك عبد العزيز هناك مقرر باسم (الحفاظ على التراث) يدرس لطالبات قسم الاقتصاد المنزلي ويقوم بتدريسه أعضاء هيئة تدريس من كلية تصاميم البيئة، تم تحوير المحتوى ليتناول الحفاظ على التراث العمراني ويلقي الضوء على التراث في مناطق المملكة المختلفة وطرق الحفاظ عليه بشكل مختصر عن ذلك المقدم في كلية تصاميم البيئة أعلاه.

٣- المنهج الجديد لكلية تصاميم البيئة والمطبق من العام الدراسي ١٤٢١/ ١٤٢٢هـ (٢٠٠٠م) من أهم ملامحه اختزال الوحدات الدراسية من ١٨٥ إلى ١٦٥ وحدة ومن ست سنوات دراسية إلى خمس سنوات، واختزال فترة البرنامج العام من ثلاث إلى سنة واحدة وزيادة سنوات التخصص من ثلاث إلي أربع سنوات، مع الاهتمام بعلوم الحاسب الآلي المتعلقة بالعمران وتدعيم الترابط المهني بين التخصصات الثلاثة وزيادة المقررات المتخصصة بين الأقسام العلمية(١٧).

بعض مواد المنهج الجديد تطرقت إلى موضوع العمارة التقليدية بشكل غير مباشر مثل مرسم التصميم المعماري في السنة الثانية لقسم عمارة وكذلك مقرر تشييد مباني: مواد وأساليب (١)، العمارة المعاصرة في المملكة العربية السعودية. وهناك مقرر وحيد يتناول الموضوع مباشرة باسم التراث المعماري السعودي بوحدتين دراسيتين فقط، وسوف يكون المقررمضغوطا ومختصرا جداً لإمكانية استيعاب المحتوى المطلوب ف وحدتين دراسيتين فقط، مع أن من أهداف القسم كما وردت في الخطة الدراسية المطورة للكلية هو المشاركة في زيادة الوعي العمراني في المجتمع للمحافظة على البيئة العمرانية التقليدية المحلية وسبل تطوير الحديثة منها بما يتلاءم مع الإمكانيات والاحتياجات الحالية والمستقبلية.

٤- البرامج والنشاطات التطبيقية

- قام أعضاء هيئة التدريس والطلاب والطالبات بمجموعة من النشاطات والفعاليات التي تساهم في دراسة وإدراك وتحليل العمارة التقليدية المحلية والإقليمية من خلال برامج البكالوريوس ومتطلبات بعض المقررات في المنهج السابق للكلية ومن ذلك؛

أولاً: ضمن متطلبات مقرري العمارة التقليدية في المملكة وفي جدة للطلاب ومقرر الحفاظ على التراث

للطالبات قام الطلاب والطالبات بشكل منفرد أو على هيئة مجموعات بدراسة العمارة التقليدية من جميع جوانبها خلال السنوات التي تم تدريس المقرر بها، فمثلاً قام مجموعة بدراسة مفردات العمارة التقليدية (الروشان، المنجور، المقعد، المركب. . الخ) وقامت مجموعة أخرى برفع مساحي لبعض البيوت والمعالم التاريخية (مسجد عداس، قصر المصمك، قصر السليمان، بوابة المدينة المنورة، بيت باعشن، بيت حزوقة، بيت نصيف . . إلخ) ومجموعة ثالثة بدراسة العناصر الجمالية ونسبها في الواجهات، وأخرى درست مواد البناء التقليدية وتصنيعها واستخدامها ومعلميها (مثال ١٨، ١٩).

ثانياً: كما أصدر خان (٢٠) كتاباً حول بيوت جدة القديمة بمساعدة مجموعة من الطلاب بقسم العمارة، ويعتبر دراسة قيمة لمجموعة من المنازل التاريخية بجدة.

ثالثاً: كذلك قام مجموعة من طلاب التخرج بالسنة النهائية من أقسام العمارة والتخطيط الحضري والإقليمي وعمارة البيئة بالعديد من الدراسات والتصاميم لمنطقة وسط البلد بمدينة جدة مثل دراسة المحاور الرئيسية لوسط البلد، إعادة تطوير المنطقة، تحوير بعض المناطق لتكون مناطق جذب سياحية.

ثالثاً: كذلك قام مجموعة من طلاب التخرج بالسنة النهائية من أقسام العمارة والتخطيط الحضري والإقليمي وعمارة البيئة بالعديد من الدراسات والتصاميم لمنطقة وسط البلد بمدينة جدة مثل دراسة المحاور الرئيسية لوسط البلد، إعادة تطوير المنطقة، تحوير بعض المناطق لتكون مناطق جذب سياحية.

رابعاً: ورشة عمل في الحفاظ على التراث العمراني - من البرامج التطبيقية الجيدة ورشة العمل بعنوان «المحافظة على التراث المبني : قواعد وتطبيق» التي نظمتها كلية تصاميم البيئة ما بين ٢٢-٢٤/ ١٠/ ١٤١٧هـ (١-٣/ ٣/ ١٩٩٧م) بالتعاون مع أمانة محافظة جدة ممثلة في إدارة حماية المنطقة التاريخية ومركز عمار وقنصلية المملكة المتحدة بجدة ممثلة في دعم مشاركة خبير التراث الأستاذ جيمس بيري في الإعداد والإلقاء، وكانت تهدف إلى مساعدة المشاركين في الحلقة على فهم أسس وقواعد المحافظة على التراث العمراني مع التركيز على البيئة العمرانية بالمملكة، وقد شملت بجانب المحاضرات والمناقشات زيارات ميدانية لوسط جدة والمناطق التاريخية في منطقة ينبع البحر (٢١).

خامساً: هناك مقترح تطبيقي طرحته الكلية عبارة عن وحدة توثيق التراث العمراني المحلي : حيث جاء في حيثيات اقامته أنه قد برزت طرز وأنماط عمرانية غريبة على البيئة المحلية غير متوائمة مع ثقافتنا وبيئتنا المحلية بسبب عدم توفر معلومات دقيقة عن التاث العمراني المحلي مما أدى إلى فقد الهوية العمرانية لمدننا وبيئتنا، من هذا المنطلق جاءت فكرة مشروع توثيق التراث العمراني المحلي. من أهداف المشروع تكوين قواعد معلومات للتراث العمراني المحلي يمكن للجميع الاستفادة منها، والقدرة على تكوين نماذج تمثيلية ثلاثية الأبعاد لبعض المواقع الهامة تحاكي الواقع التاريخي، إجراء أبحاث علمية تعتمد على المعلومات الموثقة وتنشر في دورية علمية

تصدر من الوحدة (٢٢).

سادساً: وفي مجال التعاون بين الكلية وجهات أخرى، فقد قامت الكلية بالتعاون مع إدارة حماية المنطقة التاريخية بوسط جدة في قيام الطلاب بدراسة مواضيع تحددها الإدارة مثل دراسة عين فرج يسر والرفع المساحي لبعض المناطق وجميع الدراسات قد تم تسليم نسخة منها إلى الإدارة، وقد عمل بعض الطلاب بعد تخرجهم في هذه الإدارة.

سابعاً: كما قام مجموعة من أعضاء هيئة لتدريس بالتعاون مع أمانة محافظة جدة ومركز فقيه للأبحاث والتطوير بإجراء دراسة بحثية وتصميمية حول تطوير مجرى السيل بمدينة جدة وتم اقتطاع جزء رئيسي من المجرى ليعيد تمثيل المنطقة التاريخية بالمدينة بجميع عناصرها وبشكل مختصر(٢٣).

٥- الاستبانة ومناقشة النتائج

بعد استعراض مقررات ونشاطات كلية تصاميم البيئة في مجال العمارة التقليدية قام الباحث بتصميم استمارة بحثية/ استبانة للتعرف على آراء عينة من أعضاء هيئة التدريس والطلاب فيما يتعلق بأهمية تدريس مقررات التراث العمراني والعمارة التقليدية وأثرها في الحفاظ على التراث العمراني وتطويره.

كتبت الاستمارة باللغة العربية، ينحصر دور المشارك في الاستجابة عن طريق اختيار درجة من درجات الموافقة من عدمها المحصورة في سلم ذو ثلاث درجات تدرجت القيمة المسندة لهذه الخيارات من (١ - أوافق) إلى (٣- لا أوافق) لغرض التحليل الرحصائي، وقد روجع نموذج الاستبانة من بعض أعضاء هيئة التدريس بكلية تصاميم البيئة وكذلك خبير الإحصاء بمركز الحاسب الآلي بجامعة الملك عبد العزيز.

العينة البحثية: قام الباحث بتوزيع عينة الاستبانة على مجموعة من المعماريين والمخططين ومعماري البيئة من أعضاء هيئة التدريس والطلاب بالكلية بلغ عددها ١٠٠ استمارة أعيد منها ٤٩ فقط، استبعدت واحدة وأخضع للتحليل ٤٨ استمارة، أفرغت جميع البيانات في برنامج للتحليل الإحصائي SPSS وفره خبير الإحصاء وساهم بشكل فاعل في إخراج وتحليل النتائج.

٥-١ النتائج

أولاً: معلومات شخصية - تم الحصول عليها من المشاركين شملت التخصص وسنوات الخبرة وهل المشارك أستاذ أم طالب، ويتضح أن ٦٧٪ منهم من قسم العمارة، ٢١٪ من قسم التخطيط الحضري والإقليمي، ٨٪ من قسم عمارة البيئة ويمكن مقارنة ذلك مع الوضع الحالي في توزيع أعداد منسوبي الأقسام الثلاثة بالكلية في سنوات التخصص تقريباً ٥٠٪، ٣٠٪، ٢٠٪ على التوالي. وعن سنوات الخبرة يتضح أن ٥٨٪ من المشاركين لديهم خبرة من ٣ إلى أكثر من ٥ سنوات يعكس ذلك خبرة المشاركين، ٧٥٪ من أعضاء هيئة التدريس أساتذة مساعدين، ٩٪ مشاركين، ٦٪ أستاذ. ٢٣٪ من الطلاب في مرحلة التخرج، ٧٧٪ في مراحل الدراسة م يعني

خبرة وتنوع المشاركين.

ثانياً: تطرقت الاستبانة بعد ذلك إلى مساهمة مواد العمارة التقليدية في معرفة التراث العمراني بالمنطقة حيث وافق ٧٥٪ منهم على ذلك، بينما ٢٩٪ وافقوا على أن المقررات تعرف بالتراث العمراني للمملكة مقابل ٥٨٪ تعرف نوعاً ما، ولعل ذلك يرد إلى تركيز مقرر كامل في فصل دراسي على العمارة التقليدية في نفس المنطقة بينما المقرر الآخر يتناول كافة مناطق المملكة وهي كثيرة.

وفي مجال الاستفادة من مفردات التراث العمراني واحترامه وافق ٤٠٪ على ذلك بينما ٤٨٪ نوعا ما، ٢٥٪ لم يوافق على ذلك، ولعل الإلقاء النظري للمادة العلمية في تدريس المقرر لا يحفز ويساهم في تطوير التراث العمراني بشكل فاعل.

ثالثاً: تطرقت الاستبانة إلى أهمية مقررات التراث العمراني في برنامج البكالوريوس مع بقية مجموعات المقررات الأخرى، ٥٨٪ من المشاركين ذكروا أن مقررات النظريات مهم، مقررات التاريخ ٥٢٪ ذكروا أنه مهم مقابل ٢٩٪ مهم جدا، أما مقررات التراث العمراني ٦٠٪ ذكروا أنه مهم جداً مقابل ١٧٪ مهم، ١٥٪ نوعا ما وهذا مؤشر جيد لاهتمام عينة البحث بمقررات التراث العمراني. ثم تستمر مناقشة الأهمية؛ المواد المتعلقة بالمهارات ٢٩٪ مهم جدا مقابل ٤٢٪ مهم، ٢١٪ نوعا ما. مقررات التصميم/ المراسم ٦٧٪ ذكروا أنه مهم جدا (حيث أنه العمود الفقري لأقسام العمارة والتخطيط). مقررات التشييد والإدارة والممارسة ٣١٪ فقط ذكروا أنه مهم جدا مقابل ٤٦٪ مهم، ١٧٪ نوعا ما. مقررات طاقة - بيئة - خدمات مباني ٤٠٪ مهم جدا مقابل ٣٥٪ مهم. مقررات تصميم وإظهار بالحاسب الآلي ٧٩٪ بين مهم جدا ومهم تأكيدا لدور الحاسب الآلي الحالي في مجال علوم العمران. وفي فقرة ترتيب مقررات مجموعات المواد حسب الأهمية في سلم من ١-٨، لم يتضح من تحليل الاستبانات بشكل واضح الترتيب التسلسلي، إلا أن هناك تقدما لمقررات التصميم/ المراسم واستخدام الحاسب الآلي بينما هناك ترتيب متأخر في الأهمية لمقررات التشييد والإدارة والممارسة.

رابعاً: تناولت الاستبانة رأي المشاركين حول إضافة بعض النشاطات والفعاليات ضمن مقررات العمارة التقليدية، البداية كانت حول إضافة مقررات أخرى غير الموجودة بالمنهج، ١٥٪ فقط أيد ذلك مقابل ٢٧٪ نوعا ما بينما ٥٠٪ لم يؤيد هذه الإضافة. ورش عمل وحلقات دراسية ٥٢٪ أيد ذلك مقابل ٣٧٪ نوعا ما مما يؤكد الاتجاه إلى تنوع وسائل التدريس والتعليم بدلا من المحاضرات المعتادة. أيد ٦٧٪ من المشاركين تكثيف الزيارات الميدانية المحلية مقابل ٢٣٪ نوعا ما. الزيارات الإقليمية ٥٦٪ أيدها مقابل ٢٩٪ نوعا ما. قيام الطلاب بأبحاث ودراسات ٤٦٪ أيد مقابل ٤٢٪ نوعا ما، ولعل المشاركين رأوا الاكتفاء في ذلك بما هو ضمن متطلبات المقررات. تخصيص بعض المراسم للعمارة التقليدية أيد ٥٠٪ ذلك مقابل ٣٣٪ نوعاما. ويدو أن هناك نقصا في الكتب والمراجع المتخصصة في العمارة التقليدية حيث أيد ٩٠٪ أهمية توفير كتب ومراجع وصور وأفلام.

٥-٢ مقترحات لمقررات وبرامج العمارة التقليدية

في الفقرة المفتوحة من الاستبانة حول مقترحات المشاركين (خامسا) تلقى الباحث مجموعة من المقترحات الجيدة لمقررات وبرامج كليات العمارة والتخطيط/ تصاميم البيئة في الحفاظ على التراث العمراني وتطويره، ويمكن تقسيمها بشكل عام إلى قسمين؛ الأول يتعلق برأي مجموعة من أعضاء هيئة التدريس رأي الباحث أن أهمها في هذا المجال:

أ - إضافة مقرر ترميم المباني التاثية حيث أن ذلك يجعل المعماري أفضل من حيث الإلمام بمواد وحاجات الترميم والقيم والعناصر المعمارية والتشكيلية التراثية،

ب- تشجيع دور النشر لطباعة المزيد من الأعمال المتعلقة بالتراث العمراني،

ت - إنشاء تخصص مستقل بمسمى التراث العمراني.

ث - الاهتمام بأستاذ المادة وتحفيزه وتطوير قدراته.

ج - تقوم كل كلية بإثراء دراسات التراث العمراني في محيطها الجغرافي ثم العمل على استقراء المفيد منه لوضع تصورات حول أقلمة أنظمة البناء،

ح - دراسة وتحليل مجموعة من مقررات وبرامج كليات العمارة والتخطيط بالجامعات السعودية والعربية لوضع نموذج معقول لبعض المقررات في الحفاظ على التراث العمراني وتطويره.

القسم الثاني يتعلق بوجهة نظر الطلاب، ولعل من أهم المقترحات:

أ - عمل زيارات ميدانية ورحلات لمناطق المملكة المختلفة للاطلاع على التراث العمراني بها،

ب- تخصيص مرسم خاص بالتراث العمراني وتطويره،

ت- تعليم كيفية ممارسة التطوير في الحياة العملية (إعطاء أمثلة)،

ث- اجتهاد أعضاء هيئة التدريس لعمل منهج واف عن تراثنا المعماري فليس من المعقول أن تدرس مادة تختص بتراث المملكة ومنهجها يقوم على كتاب لمؤلف إنجليزي من المؤكد أنه غفل عن الكثير مما لا يستطيع أن يدركه كونه ليس من البلد نفسه، (ولعل الطالب يشير إلى ما اعتمده اثنان من أعضاء هيئة التدريس في تدريس المقرر من كتاب العمارة التقليدية في السعودية لمؤلفه جيفري كينج (٢٤)، وكون الباحث أحدهما فقد تعذر إيجاد مرجع شامل للمقرر عدا مواضيع مفرقة في مجموعة من المراجع، والباحث بصدد ترجمة المرجع المذكور)،

ج- فتح قسم للدراسات العليا لاستمرار البحث في مجال التراث العمراني،

ح- استقطاب بعض المعماريين المتخصصين من العالم العربي للمشاركة في المراسم (ورش عمل)،

خ - تنظيم مسابقات عمرانية في هذا المجال،

د - عمل مشاريع مشتركة بين الأقسام الثلاثة لدعم الفائدة،

ذ - ربطالتراث العمراني بجميع المشاريع الممكن ربطها،

ر - إنشاء لجنة زو نادي للتراث العمراني،

ز - إصدار مجلة سنوية للمشاريع المتخصصة لمنسوبي الكلية.

٦- التوصيـــات

١- المقرر الوحيد في منهج كلية تصاميم المطور الذي يتناول التراث العمراني السعودي لا يمثل الجرعة الكافية للحفاظ على التراث العمراني وتطويره، ويمكن عمل دراسة منهجية علمية لكافة طرق التناول الجزئية لموضوع التراث ضمن سلسلة محددة من المقررات بأشكال متدرجة وبطريقة مباشرة وغير مباشرة.

٢- توجيه أبحاث ودراسات الطلاب التوثيق الأماكن التاريخية لتصبح هذه الدراسات مصدرا رئيسيا للمعلومات والأبحاث المستقبلية.

٣- أهمية تفعيل وحدة التراث العمراني بكلية تصاميم البيئة لتكون مركزا للتوثيق والاهتمام والحفاظ على التراث العمراني بالمنطقة وتوفير الإمكانات المناسبة المادية والمعنوية.

٤- ضرورة توفير المراجع والدوريات المتخصصة في مجال التراث العمراني لهذه الكليات والأقسام العلمية.

٥- تقييم طرق التدريس لمقررات العمارة التقليدية والتأكيد على مقدرة أستاذ المادة في إيصال المعلومة للطلبة والطالبات وأهمية تنوع منهج حفظ وتطوير التراث العمراني من خلال برامج الزيارات وورش العمل والأبحاث وخلافه.

٦- تنسيق التعاون مع الجهات الحكومية والخاصة والمحلقيات الثقافية الأجنبية لتبادل الخبرات في هذا المجال وعقد ورش عمل وندوات دورية وزيارات للمتخصصين.

٧- التأكيد على أهمية تجربة تأصيل العمارة المحلية في الجامعات السعودية لوضع نموذج لمقررات ونشاطات الحفاظ على التراث العمراني وتأصيله وتطويره، ويمكن تفعيل هذا الدور في دول مجلس التعاون الخليجي أيضا من خلال لجنة مشتركة من كليات العمارة والتخطيط بالجامعات المختلفة.

المراجـــع

١ – أنظمة ولوائح جامعة الملك عبد العزيز، مركز النشر العلمي، جامعة الملك عبد العزيز، جدة ١٤١٠هـ.

٢ – السليمان، طارق. أهداف التعليم المعماري في جامعات المملكة العربية السعودية، مجلة جامعة الملك سعود، م[٣]، العمارة والتخطيط، ص ص ٣-٩، الرياض (١٤١١هـ/ ١٩٩١م).

3- King Abdulaziz University, School of Environmental Design, Faculty of Recruitment Brief, Collage of Engineering, KAAU 1981.

٤ – السليمان، طارق محمد عقيل. مواصفات وكفاءة خريجي كليات العمارة والتخطيطي المملكة وعلاقة ذلك ببرامج تلك الكليات، مجلة جامعة الملك سعود، م[٣]، العمارة والتخطيط، ص ص ٣-٣٦، الرياض (١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م).

٥ – الشعيبي، علي. تأثير التراث في مستقبل العمران، محاضرة ألقيت في أمسية العمارة والتراث – المهرجان الوطني للتراث والثقافة، الرياض، ١٩٩٧م.

٦ – الهذلول، صالح. جريدة الرياض السعودية، العدد ١٠٥٠٣، ١٨/ ١١/ ١٤١٧هـ (٢٧/ ٣/ ١٩٩٧م).

٧ – مؤتمر الحفاظ على التراث الحضاري الإسلامي في المدن، توصيات المؤتمر، استنبول/ تركيا، ٢٢-٢٦ إبريل ١٩٨٥م.

٨ – ندوة تأصيل العمارة المحلية في التعليم العمراني، توصيات الندوة، كلية العمارة والتخطيط، جامعة الملك سعود- الرياض، ٢٦-٢٧/ ١١/ ١٩٩٧م.

9- Traditional Dwellings and Settlements Review, J. of the International Association for the Study of Traditional Environments, Volume X Number 11, Spring 1999.

١٠ – المسابقة المعماري الأولى (البيت البحريني المعاصر – رؤى تراثية)، الكتاب الشامل، قسم الهندسة المدنية والمعمارية- كلية الهندسة – جامعة البحرين، ١٩٩٧م.

١١ – جائزة التراث العمراني «الإطار الأولي»، مؤسسة تراث، الرياض، ١٩٩٧م.

١٢ – البناء بالطين، الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض، السفارة الفرنسية لدى المملكة العربية السعودية، بمناسبة افتتاح معرض البناء بالطين بحي السفارات، قصر طويق، ١٤٠٨هـ.

١٣ – الحصين، محمد بن عبد الرحمن. البنية العمرانية لمدينة الرياض في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري، مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤١٧هـ.

١٤ – حريري، مجدي محمد. تصميم الروشان وأهميته للمسكن، مجلة جامعة أم القرى السنة الثالثة، العدد

الخامس، ١٧٦-٢٣٧، ١٤١١هـ.

١٥- آل زلفة، محمد بن عبد الله. لمحات عن العمارة التقليدية في منطقة عسير، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض ١٤١٥هـ.

١٦- جدة بوابة الحرمين الشريفين «الجزء الأول: جدة.. عراقة وتاريخ»، إصدار أمانة مدينة جدة، ص ص ٢١-٦٠، مطابع مؤسسة المدينة للصحافة (دار العلم) بجدة، ١٩٩٦م.

١٧- الخطة الدراسية المطورة - كلية تصاميم البيئة - جامعة الملك عبد العزيز/ ذو القعدة ١٤٢٠هـ.

١٨- صباغ، مصطفى وآخرون. دراسة بيت حزوقة بالمدينة التاريخية بجدة، دراسة غير منشورة ضمن متطلبات مادة العمارة التقليدية في جدة، ١٩٩٩م.

١٩- حمادي، عبد الكريم وآخرون. دراسة بيت جمجوم بالمدينة التاريخية بجدة، دراسة غير منشورة ضمن متطلبات مادة العمارة التقليدية في جدة، ١٩٩٩م.

20- Khan, Sultan Mahmud. Jeddah Old Houses: A study of Vernacular Architecture of the Old City of Jeddah, The Saudi Arabian National Center for Science & Technology, Grant no. AR 1038, 1981.

٢١- ملخص ورشة العمل «المحافظة على التراث المبني: قواعد وتطبيق» كلية تصاميم البيئة، جامعة الملك عبد العزيز بجدة، ١٩٩٧م.

٢٢- قضية التراث العمراني المحلي، عرض من قسم العمارة لإنشاء وحدة توثيق التراث العمراني المحلي بكلية تصاميم البيئة - جامعة الملك عبد العزيز، جدة، ١٩٩٩م.

٢٣- التقرير النهائي لفريق البحث المقدم لمشروع تطوير مجرى السيل بجدة - بحث مدعم من مركز فقيه للأبحاث والتطوير بمكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، ١٩٩٩م.

24- King, Geoffrey, The Traditional Architecture of Saudi Arabia, I B Tauris & Co Ltd, London, 1998.

الملاحـــق

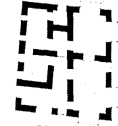
ملحق: نماذج من أعمال وأبحاث طلاب كلية تصاميم البيئة بجامعة الملك عبد العزيز بجدة.

الكلمات الدالة

مناهج - تراث - حفاظ - عمارة

ملحق: أمثلة من أعمال طلاب كلية تصاميم البيئة بجامعة الملك عبد العزيز _ المستوى الثالث

أ. منزل حزوقة بالمنطقة التاريخية بجدة



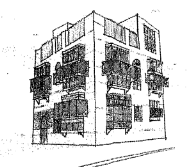
مسقط أفقي للدور الأرضي



فراغ داخلي بمنزل حزوقة

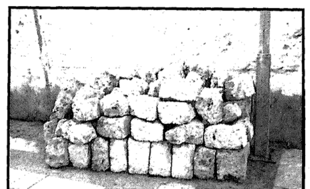


الواجهة الأمامية لمنزل حزوقة



منظور لمنزل حزوقة

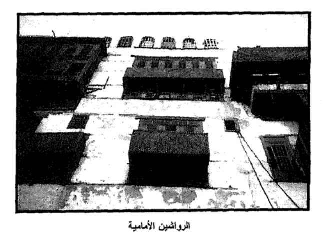
ب . منزل الجمجوم بوسط المنطقة التاريخية بجدة



مواد البناء المحلية (الحجر المنقبي)



مدخل المبنى

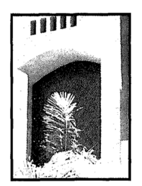


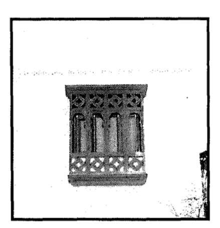
الرواشين الأمامية



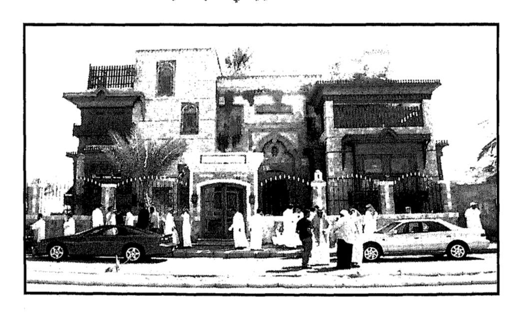
زاوية المبنى

ج-دراسات لأمثلة مشابهة حديثة .





محاكاة الفتحات التقليدية في العمارة الحديثة



منزل العنقاوي بجدة





نـــدوة
التراث المعماري الاسلامي في الألفية الثالثة
١٨ - ٢٠ مــارس ٢٠٠١

التقريــر النهائـي والتوصيــات
الاثنين ٢٠ مــارس ٢٠٠١

الدوحــة - قطــر

التقرير النهائي والتوصيات :

نظمت مؤسسة جائزة منظمة المدن العربية ندوة التراث المعماري الإسلامي في الألفية الثالثة خلال الفترة من ١٨-٢٠ مارس ٢٠٠١ م وذلك في فندق ماريوت الدوحة .

أقيم حفل الافتتاح تحت رعاية سمو الشيخ جاسم بن حمد آل ثاني ولي عهد دولة قطر بحضور وافتتاح سعادة المهندس على محمد الخاطر وزير الشؤون البلدية والزراعة وحضور كل من :

* سعادة عبد العزيز يوسف العدساني الأمين العام لمنظمة المدن العربية .
* سعادة الشيخ عبد اللّه على النعيم رئيس مجلس أمناء المعهد العربي لإنماء المدن .
* سعادة الدكتور سوها أوزكان الأمين العام لمؤسسة جائزة أغا خان للعمارة .

وقد وزعت خلال الحفل جوائز الدورة السابعة لصحة البيئة .

ألقى ١٩ باحثاً محاضرات في مختلف المحاور والمواضيع التي احتوتها الندوة .

التوصيات :

في نهاية الندوة ، وبنتيجة المداخلات والمناقشات التي تداولها المحاضرون والمشاركون صدر عن ندوة التراث المعماري في الألفية الثالثة التوصيات التالية :

أولاً: في مجال مؤسسة جائزة منظمة المدن العربية :

١- ضرورة التواصل في عمل مؤسسة جائزة منظمة المدن العربية بحيث توزع الجوائز مرة في السنة بدلا من مرة كل ثلاث سنوات على أن يعطي جانب البحث العلمي ما يستحقه من اهتمام عند منح الجوائز ودراسة مقوماتها .

٢- منح جوائز المشروع المعماري لأي من المشاريع القائمة سواء أكانت مرفق عام أو خاص طالما تتوفر فيها خصائص العمارة العربية الإسلامية دون حصر الجوائز بالمرافق الحكومية أو العامة .

٣- عند توزيع جائزة المشروع المعماري ينبغي مراعاة جانب كل من ساهم وتدخل في تنفيذه من المعماريين والمهندسين المنفذين وليس فقط المؤسسات والمدن التي مولت المشروع بحيث يعطي الجانب الشخصي رعاية أكثر من الجانب التجريدي ، وينال كل حقه من التقدير .

٤- التوسع في الاتصال بالمدن والمؤسسات والأشخاص وكافة الجهات التي تقدم الترشيحات للجوائز واعتماد جميع الوسائل والإمكانات المتاحة للحصول على أكبر عدد من الترشيحات لإغناء الجائزة ورفع قيمتها .

٥- منح الجوائز المعمارية لكل من يستطيع تطويع مواد البناء لإنتاج مشروع معماري حديث تتوفر فيه المضامين في التراث، مما يوسع أفق المشاركة ويتيح للعمارة أن تستوعب التطورات والتقنيات الحديثة .

٦- قيام المزيد من التنسيق والتعاون ما بين جائزة منظمة المدن العربية وغيرها من المؤسسات المشابهة كجائزة أخان للعمارة وسواها من المؤسسات لتبادل الخبرات والاستفادة من التجارب المشتركة ودعم قدرات الجائزة ونشر أعمالها على المستوى الدولي وتنظيم المزيد من الندوات والمحاضرات والمعارض المتعلقة بنشاطاتها .

٧- تطوير أساليب عمل الجائزة من خلال تنظيم موقع لها على الإنترنت يتم من خلاله التعريف بالجائزة وتلقي الترشيحات والمعلومات والمراسلات والاستفادة من التقنيات الحديثة التي توفرها وسائل الاتصالات ، وتوسيع دورها الإعلامي والتوعوي .

٨- التوسع في دراسة المشاريع المقدمة لنيل الجوائز وإعطائها حقهامن الفحص والمعاينة بحيث يكون ذلك على مراحل ومن قبل فنيين معتمدين من مؤسسة الجائزة إضافة إلى زيارات ميدانية يقوم بها خبراء وأخصائيون مكلفون من مؤسسة الجائزة ، لتفحص الترشيحات ومعاينتها ووضع تقارير عنها قبل عرضها على هيئة التحكيم .

٩- إنشاء مركز توثيقي متخصص في مؤسسة جائزة منظمة المدن العربية للمشاريع المعمارية الفائزة والمشاريع المميزة والتي لها قيمة تراثية وإتاحة الإطلاع على هذه المشاريع من قبل الباحثين والمهتمين .

ثانياً: في مجال التراث المعماري الإسلامي:

١٠- الحفاظ على الأصالة التراثية للمبنى الذي يتم ترميمه أو صيانته ومراعاة أن تكون مواد البناء المستخدمة أصيلة بقدر الإمكان بالإضافة إلى الجودة المهنية أو الحرفية وحصر أعمال الترميم وصيانة المباني التراثية بالمختصين والمهنيين .

١١- القيام بأعمال التوثيق الدقيق للمباني التراثية وكذلك التحليل العلمي المنظم لهذه الأبنية سوءاً كانت أبنيه منفردة أو على هيئة مجمعات أو عل مستوى المدن بأكملها بهدف تفهم طبيعة المباني التراثية وإثراء للمجال المعرفي بالتراث المعماري ومساعدة متخذي القرار على وضع وتطوير سياسات ملائمة في مجال التراث وإعادة تأهيله .

١٢- عند القيام بأعمال التجميل والتخضير للمواقع المجاورة للمباني التراثية يجب مراعاة أن تكون هناك عملية تنسيق ما بين التخصصات المختلفة وأن تكون النباتات المستخدمة ذات طبيعة مستديمة واختيار نباتات من البيئة ذاتها لا تستهلك الكثير من المياه ويجب بذل العناية اللازمة في هذا الجانب المهم .

١٣- على المؤسسات الأكاديمية المتخصصة في مجال التراث المعماري تشجيع الطلبة على الاستلهام من التراث المعماري الإسلامي وتوعية الجيل الشاب بالرجوع إلى القيم التراثية المعمارية عند القيام بمشاريع جديدة .

١٤- العمل على إعادة تأهيل المباني والمدن التراثية والمحافظة عليها .

١٥- وجوب الاهتمام بالحرفين والمهنيين الذين لهم علاقة بالتراث حيث أن عملية التحويل أفقدت الكثير منهم مهنتهم .

١٦- وجوب التمييز بين ما يجب الأخذ به وما يجب تركه من الحلول المستوردة من الخارج بحيث لا يصبح كل شيء مستورد جرء كمن تقاليدنا العمرانية .

١٧- إيجاد الحلول لأزمة العمارة الإسلامية على ضوء المشاكل المعمارية والاجتماعية والحضارية بشكل منفصل ومعالجة كل مشكلة على حدة .

١٨- اللجوء إلى توعية المعماريين على المستوى السياسي واعتماد مبدأ المساواة فيما بينهم وعدم التمييز في المعاملة .

١٩- وضع الأسس والقوانين التي تحمي التراث بحيث لا تلغي الحضارة الجديدة والحداثة القيم التراثية التاريخية .

٢٠- توصية المسؤولين في المدن التاريخية رصد الاعتمادات المالية اللازمة في موازناتها العامة لدعم الأحياء القديمة والمباني الأثرية .

٢١- إن استمرارية التراث وحمايته من القطيعة التي وقع فيها في الغرب يقتضينا تصحيح الثوابت والمحافظة على القيم والإحكام الدينية من جهة وتحديد المتغيرات .

٢٢- عدم تجاهل أهمية الروحانية الكائنة في الفكر المليئة بإفرازات ونتائج الماضي وفي نفس الوقت عدم تجاهل الحضارة الغربية وما أحدثته من تغييرات في العالم أجمع .

٢٣- إستخدام التراث بالأدوات والمواد الحديثة المتوفرة طالما أنها تخدم الهدف وتحقق الأصالة والتعامل مع تراثنا المعماري بإبداع وجوده .

٢٤- دعوة المعماريين العرب للاستلهام بالفلسفة الإسلامية واحترام البيئة المحيطة عند التصميم، وتطويع التكنولوجيا الحديثة، ومواد وطرق البناء الحديثة وصهر ذلك في النسيج المعماري العام .

٢٥- العمل على وضع التشريعات اللازمة في مختلف المدن العربية للمحافظة على المباني العامة والخاصة ذات القيمة الأثرية المعمارية .

٢٦- العمل على إشراك صانعي القرار في المدن والبلديات والمحافظات وكذلك القطاع الخاص في مثل هذه الندوات وتشجيع كافة المؤسسات العامة والخاصة ذات العلاقة على المشاركة وذلك لإثراء النقاش حول صنع القرار التنموي في مدننا العربية والعمل على إيجاد وسائل التمويل لدعم الاهتمام بالتراث المعماري .

٢٧- مطالبة المسؤولين عن المتاحف الإسلامية بوضع متاحفهم على مواقع خاصة بها على الإنترنت، تتضمن معلومات عنها وعن مقتنياتها وسائر الشؤون التي تهم الراغبين الإطلاع عليها.

الخاتمـــة :

في نهاية الندوة يرفع المشاركون أسمى آيات التقدير والاحترام إلى سمو ولي العهد الشيخ جاسم بن حمد آل ثاني الذي تفضل بشمول الندوة برعايته.

كما ويتقدمون بالشكر والتقدير إلى سعادة وزير الشؤون البلدية والزراعة المهندس على بن محمد الخاطر الذي شرف الندوة بحضوره وافتتاحه لأعمالها.

كما ويتقدم المنتدون بالشكر والتقدير إلي كل من :

أ - رئيس وأعضاء اللجنة الإدارية العليا لمؤسسة جائزة منظمة المدن العربية لدقة التنظيم وكرم الضيافة للباحثين والمشاركين في الندوة.

ب - المسؤولون في الأمانة العامة لمنظمة المدن العربية والمعهد العربي لإنماء المدن وجائزة أغاخان للعمارة للمعونة التي قدموها في تنظيم الندوة.

ج - رجال الإعلام والصحافة لتغطيتهم أعمالها ونشاطاتها.

د - كل من حضر جلسات الندوة أو ساهم في مناقشاتها أو تدخل في إبداء رأيه أو أسئلته.

هـ - موظفو العلاقات العامة والسكرتارية الذين قدموا مساعداتهم للندوة من موظفي مؤسسة الجائزة ووزارة الشؤون البلدية والزراعة.

ز - القيمون على معرض التراث المعماري ومعرض بيوت اللّه لمرافقتهم فعاليات الندوة.

واللّه ولي التوفيق

The Conclusion :-

At the end of this symposium, all the participants present their respect and honor to His Highness heir apparent Sheikh Jassem Bin Hammed Al-Thany who cultivated this symposium.

Therefore the participants represent their great thanks and respects to his Excellency Mr. Ali Bin Mohd. Al-Khater for his attendance which honored the symposium.

Also all the participants represent their thanks and respect to everyone who are:-

* The chairman and members of the Higher Administrative Committee of The Arab Towns Organization Award for their adjustment and hospitality for the symposium participants and researchers.
* The supervisors in the Arab Towns Organization General Secretariat, the Arab Institute for Cities Development and Aga Khan Award for Architecture for their support in the Symposium.
* The journalists and informationals for their coverage of the symposium's works and activities.
* All who attend the symposium and share in the discussions or give his opinion.
* The Secretatiat and public relations staff from the award Institute and Ministry Of Municipal Affairs And Agriculture who represent their help and support for the Symposium.
* The supervisors of the "Spiritual Edifices Exhibit" and The Architecture Heritage for their companionship in the symposium activities.

17) Find the solutions for the Islamic Architecture problems on the light of the civilization, social and Architectural problems and solve each problem separately.

18) Educate the Architects at a political level and follow the equality element between them.

19) Put the rules which protect the heritage with out canceling the new civilization and Historical Heritage values.

20) Advice the supervisors in the historical cities to balance the needs of the financial funds in their general budgets, to support the tradition, ancient buildings.

21) Due to the heritage continuity and protect it from the rupture of relations at the West, this call us to preserve the religion principals and rules.

22) We shouldn't ignore the spiritualism importance at the mind, which is full of the past results, at the same time we shouldn't ignore the foreign civilization which produced lots of changes in the whole world.

23) Use the modern materials and equipments as long as they help to achieve the originality and deal with our Architecture Heritage.

24) Invite the Arab Architects to inspirate from the Islamic Philosophy during the designing, by using the modern technology and modern building materials.

25) Put the necessary legislations in all the Arabic cities to preserve the private and general buildings which have an Architectural ancient value.

26) Law makers in cities, municipalities, governorates, private sector and all the private and general institutions should participate in symposiums to enrichement the discussions about finding the financing ways to support the Architecture Heritage.

27) Ask the Islamic museum supervisors to put some important informations about these museums on special sites on Internet to help the interested person to look at.

allow the architecture to absorb the modern technical and evaluations.

6) More cooperation between the A.T.O.A and the other similar institutiosns such as Aga Khan Award for the Architecture, for the purpose of experiences exchange and have the benefit from common attempts to support the Award efforts and issue it's activities internationally, and manage more symposiums (debates), lectures, exhibitions which related with the Award's activities.

7) Evaluate the Awards work styles through organizing a Site on the Internet, aiming to introduce and define the Award plus receiving the candidates, information, letters (reports) and utilizing from the modern technicals which are provided by the communications means, also increase the Award's edification and information.

8) Increase the studying of the submitted projects and check them up, in addition to the field visits being done by experts, specialists and technician entrusted and authorized from the Award institution to examine the candidates and put reports before showing them to the Arbitration body.

9) Establish an authentication Center in the Arab Towns Organization Award specialized for the distinguished projects to be available for the researchers and interested people.

Second :- The Islamic Architectural Heritage Field:-

10) Preserve the building Originality Heritage which is being maintained or repaired, and keeping on the good using building stuff (materials), this should be done by specialized and professionals.

11) Do an accurate documentation and a scientifie analysis for the old heritage buildings, even if they were single building, complex or complete cities for the purpose to understand the nature of these buildings and enrichment the knowledge of the Architecture heritage.

12) During the beautification and greening the sites around the heritage buildings, the used plant should be permanent and suitable for the environment, don't need much water.

13) The Academic institutions which are specialized in the Architecture Heritage should encourage the students and the new generation to go back to the Islamic Architectural values when making new projects.

14) Rehabilitation the Heritage buildings and cities.

15) Taking care with the professionals and craftsmen who are interested with heritage.

16) Distinguish between the suitable imported solutions for our Architectural Traditions.

Final Report And Recommendations :-

The Islamic Architectural Heritage Symposium on The Third Millennium has been organized by the Arab Towns Organization Award on March 18-20/ 2001 at Doha Marriott Hotel.

The opening ceremony has been held under the care of his Highness Sheik Jassem Bin Hammed Al-Thany heir apparent with the attendance of His Excellency Mr, Ali Mohd. Al-Khater Minister of the Ministry of Municipal Affairs and Agriculture and:-

* His Excellency Mr. Abdul Aziz Yosif Al-Anssary Secretary General of The Arab Towns Organization.
* His Excellency Sheik Abdullah Ali Alnaeem, Director of The Arabian Institute Council For Cities Development.
* His Excellency Dr. Soha Ozkan Secretary General of the Aga Khan Award For Architecture.

During the ceremony the Awards of The Seventh Session of The Environmenal Health have been distributed.

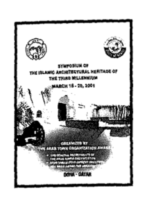
Nineteen (19) researches lectured in many different subjects and elements.

Recommendations :-

At the end of the symposium, and due to the conversations between the attendance and the participants, these recommendations were issued:-

First : - The Arab Towns Organization Award Field:-

1) The continuity of the Arab Towns Organization Award Activities, and the award Should be distributed once a year instead of every three years, as long as the scientific research has the suitable consideration during the Awards granting.
2) Present the Architecture project awards to any existing projects even if they were private or general as long as it fulfill with the Islamic Arabic Architecture Specifications.
3) All the Architects, Executor and Engineers should be considerated at the time of distributing the architecture project awards not only the institutions and cities which finance the project.
4) For the Award's evaluation and enrichment all the available ways should be used to get the largest number of the candidates.
5) Present the Architectural Awards to all who can produce a modern Architect project, fulfilled with the heritage substances, which will expand the participation's regions and



SYMPOSIUM OF
THE ISLAMIC ARCHITECTURAL HERITAGE OF
THE THIRD MILLENNIUM
MARCH 18 - 20, 2001

THE FINAL REPORT
MONDAY 20th MARCH 2001

Doha - Qatar

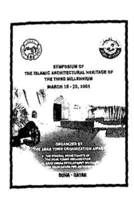
Abstract

The Aga Khan Award for Architecture was established in 1977 by His Highness the Aga Khan, the 49th hercditary Imam of the Shia Ismaili Muslims, to cnhance the understanding and appreciation of Islamic culture as expressed through architecture. Its method is to seek out and recognise examples of architectural excellence, encompassing concerns as varied as contemporary design, social housing, community improvement and development, restoration, re-use; and area conscrvation, as well as landscaping and environmental issues. Through its efforts, the Award seeks to identify and encourage building concepts that successfully address the needs and aspirations of societies in which Musluns have a significant presence.

The selection process emphasises architecture that not only provides for people's physical, social, and economic needs, but that also stimulates and responds to their cultural and spiritual expections. Particular attention is given to building schemes that use local resources and appropriate technology in an innovative way, and to projects likely to inspire similar efforts clsewhere.

The Award is organised on the basis of a calendar spanning a three-year cycle, and is governed by Steering Committee charied by the Age Khan. Prizes totalling up to US$ 500.000 - the largest architectural award in the world - are presented every three years to projects selected by an independent Master Jury. The Award has completed seven cycles of activity since 1977, and documentation has been complied on over 6.000 building projects located throughout the world. To date, the Master Juries have indentified sevety-five projects to receive Awards. The Eighth Award Cycle covers the period from 1999 to 2001.

Dr. Suha Özkan, Secretary General of the Aga Khan Award for Architecture, will present a retrospective of the Aga Khan Award-winning projects from 1980 through 1998, giving particular comphasis to those in the fields of conservationk restoration, and rc-use.



SYMPOSIUM OF
THE ISLAMIC ARCHITECTURAL HERITAGE OF
THE THIRD MILLENNIUM
MARCH 18 - 20, 2001

Islamic Architcctural Heritage and the Aga Khan Award for Architccture

Presentation by Dr. Suha Özkan

to define and develop a better preservation and rehabilitation policy on the left untouched traditional Islamic structures. Then, the Master Plan done for the conservation of Bethléem's historical centre is an example of what can be done in order to improve the traditional inheritage of Islamic cities. Serge SANTELLI.

Chariman.

1. See: **"MEDINAS. Traditional Architecture in Tunisia"** by Serve SANTELLI, Ashraf AzzouzEditions, Tunis 1992.

   and **"Tunis. Le Creuset Méditerranéen"** by Serge. SANTELLI, les Editions du CNRS et les Editions du Demi-Cercle, Paris 1995

2. See: **"Maisons de Bethleem"**, by Philippe REVAULT, Serge SANTELLIet Catherine WEILL-Rochant. Editions Maisonneuve et Larose, Paris 1997.

(mosques, commerical structures and religious buildings) are differenciated from the private spaces (houses), which makes easier the reading and understanding of the urban structure of the city. Furthermore accurate informations concerning the datation of the buildings, their heights, their functions and their existing state allow the realization of an urban atlas which gives a general overview of the physical structure of the medina. This part of the work is essential since it gives precised informations concerning the existing state of the medinas. In the medina of Eassaouira, for example, whose traditional buildings and housed have been surveyed in 1998 and 1999, the local authorities were surprised to aknowledge that only one third of the traditional building was kept, the other two third having been completely transformed or demolished.

2. The architectural analysis of the traditional houses.

In the second part I will present documents such as architectural surveys and photographs of traditional houses, trying to define their specific features and characteristics (houses in Bethleem, Essaouira, Ispahan for example). A typological table is then produced which gives its meaning to the different units, according to historical and formal criteria.

3. The analysis as a diagnosis of the physical structure of the medinas.

All hte collected informations about the city and its buildings allow us to establish a diagnosis of the existing state of the medina and to evaluate the state of conservation of their physical structures. In most of the cities already studied these last recent years we have discovered that only a minority of houses had kept their orignial features. The majority of the existing buildins having been, either demolished and reconstructed, or loudly transformed by inhabitants, i.e. "concreted". Actually the deep analysis we have been able to undertake have shown the drastic changes occurred within the urban fabric these last fivty years. We have to mention that, if we had had an outside seuperfical point of view, it would have been difficult to identify such drastic changes. Then we have noticed that, beyond the appearance of cities which have kept theri essential urban structure (the urban landscape, the street pattern and the monumental structure), most of the traditional indoor built spaces have been completely destroyed and replaced. That means that the Architectural Inheritage of Islamic cities in North Africa and Near East has been dramatically reduced and only concerns now a small part of the existing fabric.

As a conclusin I will develop the idea that accurate analysis of traditional settlements in Islamic countries, through the making of site surveys, are fundamental not only to improve our scientific knowledge of the Islamic inheritage, but also to help th e local decision makers

Introduction :

I have been working since now almost thirty years on the study and analysis of architectural and urban traditional settlements in Islamic countries. My work has always emphasized the relationships between the urban contect and the architectural, i.e. between urban morphology and building types. Therefore my studies are complementary to the historical academic work concerning isolated Islamic monuments and are rather concerned with the ordinary and conventional buildings which constitute the urban fabric of traditional Islamic urabn centers.

This continuous work has been done as a Research Fellow granted by the French government as a professor leading the French postgrade program "Cities, Architecture and Patrimony. Maghreb and Near East". It was first developed in North African cities, in Tunisia (1) and Morocco, then in the Near and Middle East, in Palestine (2), in Ispahan and, more recently, in Musul (Iraq). The work, based upon a deep analysis of traditional urban structures and building types, has always been done in relationship with local partners such as the departments of architecture of national schools or universities (Birzeït University in Ramallah or University of Teheran), or governement agencies (Direction de l'Architecture in Morocco or Associations de Sauvegarde de la Médina in Tunisia).

All this collective studies have been concentrated on traditional cities - medinas - whose structure and ordinary building have known recent drastic changes and physical transformations. This work has been possible through the making of yearly "Ateliers d'Architecture" (architectural workshops) held in these different cities whith local partners, during which accurate architectural and urban site surveys were systematically undertaken. The addition of all these documented analysis and surveys has constituted now a very important collection of valualable written and graphic architectural documentation.

My lecture will present synthetically my work concerning that matter and will be illustrated by a selection of urban and architectural documents (slides).

1. The urban analysis of traditional medinas.

In the first part of my lecture I will prsent some of the analytical drawing made about Tunisian and Moroccan traditional cities and will explore the potential of such a graphic understanding of the structure of the Islamic town (Sfax, Sousse, Mahdiya, Salé, Bethleem, etc...) for a better definition of a local preservation policy.

The plans been drawn similar to the NOLLI's plan of Roma (1750): all the public spaces



SYMPOSIUM OF
THE ISLAMIC ARCHITECTURAL HERITAGE OF
THE THIRD MILLENNIUM
MARCH 18 - 20, 2001

The Islamic architectural inheritage, graphic documentation and architectural knowledge.

Serge. Santelli

Chairman

The quality of a visit to a museum does not however depend only on the quality of its architecture (whether ancient or modern), nor either on the quality of the displayed collections. It is quite a skill to provide a harmonious and attractive scenography in a given space, with visual and written information that makes visitors relate intellectually and emotionally to presented objects.

Whether in an old building or in a new one, a museum should of course provide security, hight and climate-control, Beside functional spaces, pleasant and interesting tours should include elegant bookstores, gift shops, cafeterias and other conveniences.

When a museum is to be designed (re-use or new building), a feasibility study should precede the choice of any location. The architectural brief should stem from the museographical program. A scenographer's input should be early integrated in the design process. Some of requirements may have been forgotten in Syria between the 1960's and the 1980's.

Now that 28 museums have been implemented, a general conceptual, organisational and institutional framework may help to make them operate individually as well as a network with complementary roles. It is against clearly stated requirements that priorities and solutions may be found when the rehabilitation, the modernisation or the creation of museums are to be considered.

Paris, 31 December 2000

Dr. Samir ABDULAC

Architect/Planner, Director of CAUE 28, UNECO Consultant, Research Affiliate at Harvard School of Design (CUDS).

civilisations that are too distant in culture and time.

TOWARDS NEW POLICIES FOR MUSEUMS

In large cities, land to be devoted to the construction of new museums is now only available in distant urban outskirts. Such location would not be detrimental to foreign tourists coming by car or private buses, but rather to the domestic public, especially if a public transportation system is not available nearby.

Historical buildings re-used as museums are usually more accessible as they are located in downtown areas. The old urban fabric is however not suitable for tourist busses, and their visit should better be part of a pedestrian tour of the old city. In cities where foreign visitors do not have an easy access to hidden courtyards, such re-use remains a precious opportunity for them to visit traditional houses and facilities.

Re-using old monuments is already a way to restore and maintain their architecture and decoration, externally as well as internally. This safeguard of architectural heritage also allows for the enhancement and the presentation of other smaller items from the cultural heritage.

A delicate and appropriate relationship should however be sought between the nature of collections and the characteristics of the building where they are to be displayed. Residential buildings are suitable for the presentation of furniture, domestic tools and popular arts. A former bimaristan is particularly well adapted as a museum of old medicine. A museum of caravans, ancient trade relationships, or of the Silk Road, might be an excellent new function for an old khan.

There should be, in a living sustainable city, a social or economic function for every historical building: either for appropriate private activities or as public facility. It would anyway be difficult anywhere in the world, even in more affluent societies, to turn every monument into a museum.

It may even be argued that modern buildings do offer a better shelter and environment for many precious and fragile archaeological items. New museum designers may choose a modern architectural surrounding in order to be more neutral towards some displayed collections. They may also decide to express an architectural lineage with one of the presented civilisations. This reference does not need to be a cumbersome pastiche. Some hints at the spirit of a traditional architecture (sobriety, light, geometry, etc.) that could be sufficiently adequate.

Many showcases were originally built-in, providing an excellent architectural integration. The internal arrangement of showcases, like in Mari and Ugarit rooms, is marked by the 1950's art of decoration, Those only need a light rehabilitation, Others, mostly stand-alone showcases may need modernisation and replacement. All require permanent maintenance and cleaning.

Natural lighting is provided through horizontal rows of windows on the terrace floor. Better climate-control is needed for the conservation of some items, like Byzantinian fabrics. A modern protection system against theft is finally urgently needed.

The new **museum of Suweyda** was built in 1983. Its facade surfacing with black volcanic stones reminds of the traditional construction materials of the Jebel Druze and Hauran. Natural lighting is mainly provided through vertical recesses or horizontal rows of windows. It may have been externally designed as a sort of medieval fortress, but it definitely looks like a public building not necessarily as a museum.

Internally, the entrance, with its built-in bench seats is most welcoming to visitors. The visit begins with most interesting, but added-on, coloured panels on the region's geology, physical features, ancient hydraulic works and irrigation, agriculture and agricultural allotments, etc.

The tour is pleasant and clean through a Nabatean room, a Roman and Nabatean room and presentations about Roman architecture and sculpture, Byzantinian era, language and writings, and the Islamic period. A large hall at the centre of the building presents an outstanding collection of mosaics from Shahba. A small collection of popular art is located at the upper level of the building. Generally speaking, the relationship between the design of rooms and the nature of displayed collections is not as strong as in the National Museum of Damascus.

The popularity of museums may be measured by the number of their visitors. In 1996, the Museum of Popular Arts and Traditions in Damascus Azem Palace came first among Syrian museums with 162,000 visitors, while the Damascus National Museum came second with 102,000 visitors. A more detailed analysis reveals that foreign visitors to both museums were nearly 60,000 in both cases, but that domestic visitors were 2,5 time numerous in the old Azem Palace than in the archaeological museum.

This may mean that the oriental palace and its garden were a nearer and more pleasant place to visit and that the history of the building and its collections were more appealing to the imagination of domestic visitors. It is after all more difficult to relate emotionally to

DESIGNING NEW MUSEUMS

Damascus National Museum was probably the first large-scale building project by the French international architect Michel Ecochard (1905-1985). He liked to state that the stone surfacing and the sobriety of its volumes were inspired by Syrian Seljuki, Ayyubi and early Mameluk architecture. A small arcade gives it a discreet oriental touch at the original entrance.

The eastern wing was built in 1936. From 1939 to 1952 the Qasr al Heir gateway was added together with the offices of the Directorate General of Antiquities and Museums. The three-storied west wing was added in 1953 and expanded from 1956 to 1961. The total Floorspace is of about 17,000 m^2.

The museum includes safeguarded original parts of ancient buildings :

- The underground Palmyrenian tomb of Yarhai (2nd century),
- The frescoes from Doura Europos synagogue (3rd century),
- The gateway from the desert Umayyad castle of Qasr al Heir al Gharbi (8th century),
- The marble and wooden panels from beit Jamil Mardam Bey (18th century).

The collections are mainly archaeological and historical and are distributed in the following sections: Pre-historic, Ancient Syria, Classical, Arab-Islamic antiquities and Contemporary Art. The museum has also a tickets room, a cafeteria, a lecture hall (the damascene room), reserves, workshops, a restoration laboratory and administration offices.

Professor Oleg Grabar described it in one of his letters as "the best museum of antiquities in the Middle East", with "one of the world's great collections of archaeological and historical material" .

Present urban traffic and parking constraints may have been overlooked in the 1930's. The main entrance had therefore to be moved from the eastern side of the garden to the northern quieter one along the Barada River. The garden with its high eucalyptus trees, its water basins and its collection of sculptures is particularly well designed, but not well kept. The new visitor's entrance through the Qasr al Heir al Gharbi gateway is definitely more dramatic, but then also involves a chronologically inadequate internal tour passing twice through Qasr al Heir reconstitution.

Lack of manpower often leads to the closure of rooms or sections that cannot be guarded easily, e.g. when they are not located on the main level Modern Art Section, Homs Treasure, Qasr al Heir upper floor, etc.).

end-walls. One may wonder if the limited size of rooms was detrimental to large panels of mosaics. One my also regret :

• The lack of presentation of the buildings from where the mosaics were extracted,

• The lack of explanations about the mosaics fabrication and extraction techniques,

• The insufficient presentation of the mosaics themes, artistic expressions and colours.

The khan rooms in the nearby Al Madiq Museum are wider and the visit is therefore more comfortable. The conservation and storage of the region's beautiful mosaics remains a difficult issue.

The **Tekiyeh al Suleymanieh** was built between 1554 and 1560 by the Ottoman Sultan Soliman the Magnificent. Although its scale is smaller than some other mosques in Istanbul, it is "one of the most significant works" of Mimar Sinan according to Aptullah Kuran .

The dome of the mosque is flanked by two slim Turkish minarets, Around a central court with a pond and a garden, two series of chambers to the east and to the west were built as pilgrim or students rooms, each being covered with a dome and provided with a chimney. To the north, a large building included a kitchen, a dining room and a meeting for dervishes.

In 1960, the Ministry of Defence turned the northern and northeastern pavilions into a Military museum with the technical support of the Directorate General of Antiquities and Museums. The proximity of the modern National Museum across the street was considered as a most positive factor.

Collected items were originally swords, helmets, shields, pistols and small weaponry. A few major battles that marked Syrian history were presented with small models. Armoured cars, plance, spacecraft and missiles started however to accumulate slowly around the building and inside the courtyard. Floorspace has become clearly insufficient for the present requirements of such a museum. The construction of a new building elsewhere would certainly be more appropriate and the Tekiyeh al Suleymanieh would then recover a quieter peaceful atmosphere.

The re-use of **Khan Asaad Pasha**, dated 1752, in the suq al Bzurieh, near the Azem Palace, remains a problem. It was handed over in the late 1970's to the Ministry of Tourism who intended to turn it into a tourist hotel. The project was however architecturally too disruptive and the building was given back to the Ministry of Culture a decade later. A quite recent project to re-use it as a Natural History Museum may not be so appropriate either.

The palace was purchased by the Syrian government in 1951 and opened, three years later, as a Museum for Popular Arts and Traditions. Internal coloured stones, mosaics, stucco and painted wood decoration were restored and furniture, similar to what was lost, destroyed or stolen was brought in.

Wax dummies wearing traditional clothes contribute to make the visit more lively throughout some of the museum different parts: the bride room, the popular coffee, the pilgrimage room, the weapons section, the bath, the reception hall, life in the Jebel Druze and Hauran.

Other ethnographic museums, include the beit Ajiqbash in Aleppo, other houses in Palmyra and Deir Atiyeh and some sections in the museums of Maaret al Nu'man and Suweyda, as well as in the citadel of Bosra.

Other restored houses are also used as museums, but with different specialisation, like the museum of Old Damascus in Khaled al Azem house in Damascus or the Al Azem house in Hama.

Other non-residential historic buildings are also re-used as museums, like the madrassa (school) al Jaqmaqia in Damascus, the bimaristan (hospital) al Nouri in Damascus, the khan (Caravanserail) Murad Pasha in Maaret al Nu'man, the tekiyeh (religious learning centre) al suleymanieh in Damascus, the crusader's church in Tartous, etc.

The 16th century **Murad Pasha khan at Maaret al Nu'man** is the largest one in Syria (70x80 m). It includes a mosque a tekiyeh (in the middle of its central courtyard) and a bakery. It was also linked to a hammam and a suq on one side. It was turned later into an army barracks and then into a school. It is finally converted as a museum since 1987. In order to provide protection from rain, the roof was covered with a thick general layer of cement, including over the vaults. Not surprisingly, the layer soon started to crackle down.

The museum lacks a preliminary presentation of the geological, physical, economical, social and historical characteristics of the region and the city. Two small sections were respectively devoted to natural history ethnography. The museum however mainly includes Roman and Byzantinian antiquities, Most items are mosaics taken from ancient villas, churches and monasteries in the area.

The display of mosaics in the courtyard looks more like an open-air storage. The presentation inside the building is also dense and overloaded. Small ancient objects are displayed in a few primitive wooden showcases. Given the low vaulted ceilings, large mosaic panels could only be displayed on the floor (leaving narrow pathways for visitors), or on

SYRIAN MUSEUMS

National archaeological collections were quite limited in Syria, when the country reached actual independence in 1945. Most masterpieces were then already in foreign lands. Fortunately, fabulous treasures were discovered ever since in this "cradle of civilisations". About 70 or 90 different archaeological missions are presently working in the country. Some are foreign; others are Syrian or jointly led. Museums are needed to protect and present the findings.

The three small museums that existed at independence were either replaced or substantially extended and improved. The Syrian Arab Republic now owns 28 museums that are distributed in different parts of the country. With only two or three exceptions, this impressive endeavour is entirely due to the Ministry of Culture, through the General Directorate of Antiquities and Museums.

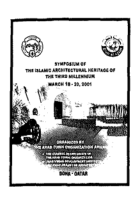
The two national museums of Damascus and Aleppo are archaeological and national, while others are regional or specialised in other subjects (Popular arts, ancient science and medicine, war, writing, etc.). Some of them are located in re-used historical buildings; others in intentionally built new constructions.

We will not be reviewing unique masterpieces in Architecture. Our aim will be to try to assess and improve the situation of museums in Syria and to share that experience with other specialists.

Our purpose is not to study them all comprehensively, but to examine their role and suitability as museums, through an analysis of the functional and aesthetic qualities of just of them, The new museums in Aleppo and Deir Ezzor that are not included would deserve more detailed studies.

RE-USE OF HISTORICAL BUILDINGS

Several former residential buildings are re-used as museums. The most widely known is certainly **the Azem Palace in Damascus.** It was built in 1749-52 by the Ottoman governor of Damascus, Asaad Pasha al Azem. This large one or two floor building had two major parts like most large Arab houses then: The Haramlik and the Selamlik, respectively devoted to family and to social life. It includes a series of qaas, two iwans and a riwaq (with fountains in some of them) and is developed around large courtyards with ponds and trees. Its inhabitants even benefited from a private bath with its hot and cold rooms.



SYMPOSIUM OF
THE ISLAMIC ARCHITECTURAL HERITAGE OF
THE THIRD MILLENNIUM
MARCH 18 - 20, 2001

MUSEUMS IN SYRIA : RE-USING OLD MONUMENTS AND DESIGNING NEW BUILDINGS

Dr. Samir ABDULAC

tradition in terms of image, style, function, and technology or in the way of construction (Khan 1989), Vernacular architecture should be looked upon as a source of inspiration. Deeper search of the local cultural expression of the people could guide architects into providing better option and an alternative to the process of people modifying and developing a house until it becomes closer and closer to their preferred reality within the physical limitations of the structure, in pursuit of harmony and well-being with oneís immediate environment.

Architects should pursue the quest for cultural appropriateness in architecture, for societies thrive better on individuality uniqueness and character.

References

1 Azzuz, I (2000) "Contemporary Libyan Architecture; Possibilities vs. Realities", In: Spring 2000 Lecture Series. MIT: The Aga Khan Program for Islamic Architecture.

2 Correa, C (1994) "Vistas", In: Architecture for Islamic Societies Today. London: Academy Editions.

3 Federal Research - Division (1987) Libya; a Country - Study. Washington DC : US Government Printing Office.

4 Harris, L. (1986) Libya; Qadhafiís Revolution and the Modern State. Boulder, Colorado: West View Press.

5 Horne, L (1982) "Rural Habitats and Habitation", In: The Changing Rural Habitat, Volume 2. Singapore: Concept Media Pte Ltd.

6 Husnein, A (1991) From Tripolis to Medina, Historical Development and Urban Morphology of a Libyan Traditional Core. Masters Theses. University of Washington.

7 Khan, H. (1989) "Meaning in Tradition : Today, An Approach to Architectural Criticism", In: Criticism in Architecture. Singapore: Concept Media Pte Ltd.

8 Mumtaz, B (1986) "Discussion", In: The Architecture of Housing. Geneva, Switzerland: The Aga Khan Award for Architecture.

9 Serageldin, I (1986) "Discussion, The role of the Architect", In: The Architecture of Housing. Geneva, Switzerland: The Aga Khan Awards for Architecture.

10 Serageldin, I (1989) "Architecture as an Intellectual Statement, Modernism in The Muslim World" In: Criticism in Architecture. Singapore: Concept Media Pte Ltd.

11 HYPERLINK "http://www.geocities.com/Athens/8744/libyamap.gif"

traditional-family structure, and the community itself became increasingly exposed to modernization. Meanwhile, technological and institutional changes have ignored traditional customs and values. It now appears to be impossible not to be influenced by international developments and to base designed architecture strictly on a regional tradition. Having acknowledged this fact, the danger lies in inventing the future without reference to the traditions of the past (Khan, 1989).

New homes structures in all areas differ from traditional Libyan homes which survived periods of physical occupation, yet, it seems to be losing to the dominance of authority that makes the choice for the great majority of people in the form of mass housing. At present, foreign companies are dominating the design and construction of major government buildings. These companies thrive to present solutions interpreting tradition through their own experiences and historical memory. The result is a product that is detaching itself from the norms of society and breaking with the traditions inherent therein. Some might even construct monumental buildings that become examples to fashion the consciousness in society of what is desirable. The presence of such exemplars, even if they are not replicated, is what defines both the aspiration of people and consciousness of architects.

The other sector is personified in local architects who are working under the authority of political decision makers. This authority also interprets the needs and wants of people through its vision for the societies desired image as a political achievement. Symbols, materials, designs and ways of construction, the traditions of the buildings are being eroded and rendered meaningless. It is being replaced by the popular culture of easily assimilated and understood meanings and signs, touched-up by stylistic attributes of traditional buildings. ìArchitects can either opt for the arduous task of rebuilding their socio-cultural system on a sound basis of self-knowing reordering of the milieu, or they can take the easier ideologically charged approach of the populist appeal to the prevailing majority, with all its negative intellectual connotationsî (Serageldin, 1989).

There is a rising consciousness among local architects to provide architectural solutions that reflects their concern for societyís cultural heritage and expectations as well as the preservation and revitalization of the historic environment to ensure a harmonious co-existence with contemporary realizations. To achieve these results, the architect has to operate at a political level and to reintegrate within society.

As regionalism is more illustrated through vernacular buildings, through building types that have existed in a particular society for a period of time long enough to have established a

The question at this point is: Is it possible to create a future that is connected with the heritage realizing that heritage is becoming increasingly foreign to users who are people moving from rural areas to big cities, people coming from neighboring countries and new generations who are not familiar with old tradition?

Could we convince people that the old way is better and more suitable for them? Could we transfer consciousness from one generation to another? As culture is a result of several components, most of which have changed and expanded to include the whole world through Satellite and Internet, is there any more unity of culture or heritage in any society? Could the technology forcing the change adept to culture?

We are witnessing the development of an internationalized taste with its own frame of reference and value system that, mostly, takes its clues from the mass media in an increasingly global age. Films, particularly on TV, have invaded the interior-space by conveying an image of what the interior of the space should be like and how it should be used. Even for people with means to exercise the choice to build what they need and want, their right to choose and their ability to decide how they want to live is influenced by images that confront them daily and define their desire for a living space.

As alarming as it is, we are going through an era concerned mostly with modernization and symbols of modernity, and having little appreciation to the inherent aesthetics and functional qualities of traditional architecture. When, and why society pauses mid-stride and doubt itself, are signs of self-confidence crises.

When Islam came out of Arabia and spread, it was full of confidence in itself. It found wonderful architecture that already existed in these places, and which it absorbed, ingested, and made as its very own. As Charles Correa so eloquently puts it ìIslam brilliantly internalized the various architectural systems it encountered, integrating them into a language which is unrivalled for sheer lyrical beauty in the history of architecture. Certainly these typologies, based on the hot dry climates of the area, generated the kind of built form which appeals immensely to our contemporary sensibilities: clusters of courtyard houses, closely packed together, sheltering each other from the sunî (Correa, 1994).

All nations aspire to develop policies that will better the social and material welfare of their peoples. But to plan for the future, we have to decide what it is we are planning to achieve qualitatively as well as quantitatively to reflect an understanding of the local society, its heritage and the pressure for change upon it.

Social changes have taken place in Libya, the migration process has undermined the

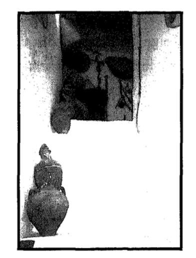
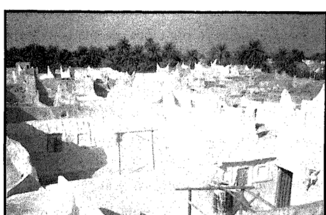
 

Fig 11: Connected Roof, Ghadames

Part Two : Conclusions

Traditional Libyan homes reflect diversity of local ethnic cultures as well as adaptation to climate, use of local materials, and communal lifestyles. Settlements reflected strong sense of unity and social cohesion. Traditional construction methods produced satisfactory results except for the roof; the span was limited by the size of timber used.

There are several studies demonstrating Islamís influence on the design of houses and the planning of old cities in that region. In these examples, Islamic concepts are present in house design as well as city planning. The principle of Batin vs. Dahir, one of the essential values in Islam is emphasis on the Batin (the inner aspect of self or thing), and the subordination of the Dahir (the external aspect of self or thing) (Husnein, 1991). We find that external walls are kept simple and bare with few openings. Family quarters in Darna and Gharyan, and Sadr el Bait in Ghadames, as the central spaces of the houses, were decorated (Fig 9).

The need for privacy was interpreted by segregating the house vertically (Ghadames) and horizontally (Darna and Gharyan). This represents an example of the rules of conduct that govern elements; the privacy of others is respected and its invasion is prohibited.

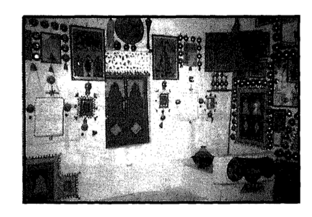
The building of these habitats portrayed an organic process, involving the society as a whole. Homes were the products of the entire community and its history. The individual house integrated into the tissue of the city creating neighborhoods. One can observe traditional forms and building techniques as well as close relationship between social behavior and physical form.

House entrance leads to a small lobby, providing complete privacy, with a storage room for farming supplies. Few steps in a turning decorated corridor take us to the family central living space (Sadr Al-Bait). The houses avoided open courtyards to improve their thermal insulation. A sky opening in the roof of this space provides light and ventilation for the whole unit. Different size brass pots, ornaments and mirrors located at certain angles help reflect light through doors of surrounding bedrooms.

Sadr Al-Bait contains steps on two of the sidewalls that lead to parents and kids bedrooms. Other stairs lead to storage spaces and the roof. The kitchen, Summer sleeping and living areas are found on this open, terrace-like roof, which is considered womanís private space except for family use during the evenings. An interesting fact that reflected Ghadamsi peopleís strong Islamic beliefs is that women could be moving around any time of day without intruding on the privacy of other families during their rest on the roof. Orf defines the use of private and semi-public spaces that are in this case adjacent and interacting.

In this dry climate with big difference in temperature between day and night, houses were built with mud-bricks walls of 50cm thickness. The high thermal inertia of the walls reduces the difference in temperature of interior spaces to the minimum.





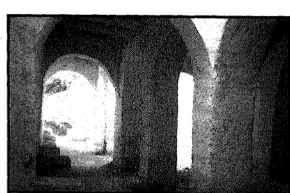
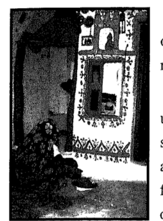


Fig 9 : The richly decorated core of the house, ìBatinî, Ghadames

Fig. 10 : Different Majlis For Each Age Group

Desert Region



A third house type is located in the desert town of Ghadames, an outstanding example of a traditional human settlement that is representative of a culture.

The old city is composed of a cluster of houses within an almost unique system of covered streets with formally arranged squares. This system provides complete gender segregation where covered streets are for menís commute and socializing, and connected roof spaces are for womenís socializing and moving from one part of the city to the other. During the day, as men go to work in the out skirt farms, Women use the streets to carry out garbage and collect water for family use. Open and covered squares were arranged for hierarchy of users based on age. Built-in seats line-up squares and most of the roads and provide for socializing and resting (Fig 10).

Houses are constructed of two to three floors (Fig 8). It houses only one family. As a young man gets ready to start a family, with the help of his piers, he constructs his own house. But still, extended family lived in the same quarter and the neighborhood could include the whole tribe.

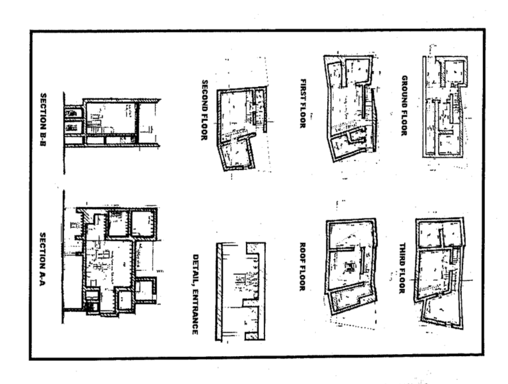


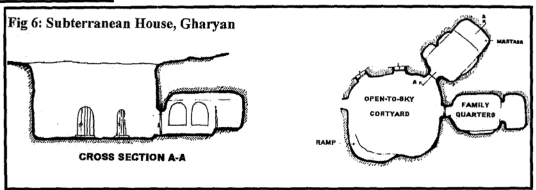
Fig 8 : Levels Assure Privacy and Weather Control, Ghadames



level. Living quarters are hollowed out in the sides of the open court as needed.

Each family of the extended household has its own dwelling space of about 4-5 meters wide and 7-8 meters in depth and 2 meters high. Storage spaces are dug out in the sides or back of each dwelling (Figs 6 & 7).

Fig 6: Subterranean House, Gharyan



Built-in mastabas are used for sleeping and cloth curtains separate parents and kidís areas. Front of the room is used for family living in wintertime when temperatures drop below zero. The unitís front door is the source for light and ventilation. Temperatures vary inside and out about 10-12ʃ C degrees difference.

The extended family shares service spaces that are grouped and dug into the sides of the court. The large courtyard space is used for cooking, socializing and kidís play.



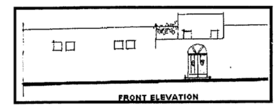


Fig 7: Subterranean Homes, Gharyan and Nalut

Neighbors and passers by could access this space to drink or make ablution. This saqifa usually leads to the formal reception area used by none family male members.

Semi-private: Most of the family living takes place in the big central court that is also used by relatives and female visitors. Grapevines are used to shade the Courtyard. Kitchen, storage and bathroom are grouped in the side near the Jnan (small family farm).

Private: The single-family quarters are usually about 3m wide and 7m long. The two small sides house sleeping areas for parents and children on a built-in platform (sidda), middle space is used for daily living and winter socializing.



Homes are laid-out adjacent to each other with fenced small farms. Women travel through these farms to most places in town with no need to use main streets.

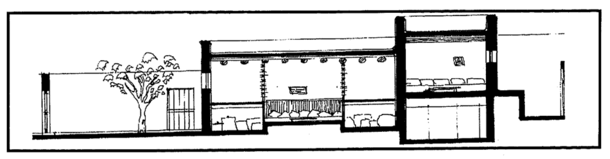


Fig 5: Section A-A Courtyard House, Darna

Because of the strong conventions in the traditional environment, the selection and distribution of elements by different residents was relatively similar, with courtyard houses, bent entrances, family quarters and zone segregation (Husnein 1991).

The house usually starts small, one-two family quarters and services. Additions are made to accommodate extended family members. Windows are located on both sides of rooms to provide lighting and cross ventilation. Small high openings in the outer walls ensure privacy and the bigger windows over look the main courtyard.

Highland Region

The second house type is in the mountainous area of Gharyan. Traditional homes in this area were subterranean dwellings. The most common is a completely below ground level house with its open central courtyard (Fig 6). A round court of 10-12 meters diameter is dug at top of the hill with a sloping entrance tunnel, curved for privacy, or a ramp leading to ground

solidarity. The quarters were flooded with migrants, and old family residences became tenements. And, in many areas, in place of the old divisions based primarily on family background, income became the basic differentiation between residential neighborhoods.

Part One: Libyan Architectural Heritage

Coastal Region

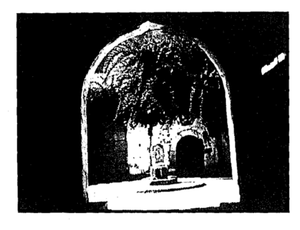
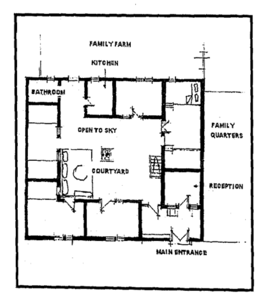


Fig 2: Open-to-Sky courtyards, Darna



Fig 3: Old City, Darna

The first house type is located in a Mediterranean setting in the city of Darna which moderate climate, of warm-humid summers and cool winters, sat the stage for courtyard houses where living quarters and services surround open-to-sky courts.



The social structure, rooted in the tribal history of the area, produced the extended family society where three or more generations live together in a composite setting. Each family lives in a separate living quarters that opens to a central courtyard used for social activities and every day living. Residents share service areas, kitchen, and storage spaces. (Fig 4)

The house has three distinctive zones:

Semi-public: Alsaqifa, small open court adjacent to the front door with a source of water.

Introduction

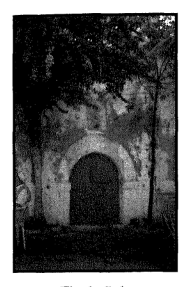


Fig 1: Suk El-Kharraza, Darna

This paper examines the various shelter designs in some of the regions of Libya and analyzes the social factors that influenced these designs, within the environmental conditions, to create a unique solution in each location.

The early Arab invaders brought with them a culture whose fundamental values had by the eleventh and twelfth centuries become Libyan values and these have changed little to the present time. Libyan culture is Arab culture, with all the strong emphases on family and tribal kinship and the values of loyalty, solidarity, and faithfulness implied by that latter category. Islam continues to play a central role in almost every aspect of daily life.

The various pressures of the colonial period, independence, and development of the oil industry did much to alter the bases of urban society and to alter the tribal and village social structure. In particular, as the cash economy spread into the countryside, rural people were lured out of their traditional groups and into the modern sector. Values, too, began to change under the impact of new prosperity and the arrival of large numbers of foreigners. Yet, the country remained one of the most conservative in the Arab world.

To a great extent, the cities have been crucibles of social change in modern Libya.

Before the arrival of the Europeans in the 1920s, urban centers had been organized around specific areas referred to as quarters. A city was composed of several quarters, each consisting of a number of families who had lived in that place for several generations and had become bound by feelings of solidarity. Families of every economic stand resided in the same quarter, the wealthy and the notable resumed leadership. The quarter formed a small sub-society functioning at an intimate level in a manner that made it in some respects similar to a country village (Federal Research Division 1987).

The arrival of the Europeans disturbed the traditional equilibrium of urban life. The new comers built new cities along European lines, with wide streets and separate houses.

As urban migration continued to accelerate, housing shortages heavily influenced quarter



SYMPOSIUM OF
THE ISLAMIC ARCHITECTURAL HERITAGE OF
THE THIRD MILLENNIUM
MARCH 18 - 20, 2001

Comparative Study of Traditional Libyan Architecture

Dr. Intisar Azzuz

The New Museum Registration Methods, edited by R.A. Buck and J.A. Gilmore. Washington D.C.: American Association of Museums, 1998.

The Politics of Display: Museums, Science, Culture, edited by S. Macdonald. London-New York: Routledge, 1998.

Theobald, Mary Miley, *Museum Store Management,* Nashville, Tenn.:American Association for State and Local History

Thomson, Garry, *The Museum Environment,* London-Boston: Butterworths,1986.

Dr. Emin Mahir Balcioglu, Director

Sakip Sabanci Museum

Sabanci University

Bankalar Caddesi 2

Karakoy - 80020 Istanbul

E-mail: HYPERLINK mailto:eminmahir@sabanciuniv.edu 9 eminmahir@sabanciuniv.edu

Tel: 90 212 292 4939 ext. 1102

Fax: 90 212 2523293

BIBLIOGRAPHY

Bann, Stephen, "Poetics of the Museum: Lenoir and Sommerard Lenoir", *The Clothing of Clio: A Study of the Representation of History in Nineteenth Century in Britain and France,* Cambridge: Cambridge University Press, 1984, pp.77-92

Cagman, Filiz, *The Topkapi Saray Museum: The Albums and Illustrated Manuscripts,* London: Thames and Hudson, 1986.

Choay, Françoise, *L'Allégorie du Patrimoine*. Paris: Edition du Seuil, 1992.

Derman, M. Ugur, "The Art of Calligraphy in Islam", *Arts: The Islamic World* 4. No. 3 (1987), pp. 81-89

Derman, M. Ugur, Giray, Kiymet and Eruz, Fulya Bodur, *Sabanci Collection,* Istanbul: Akbank,

1995

Fopp, Michael, *Managing Museums and Galleries*, London-New York: Routledge, 1997.

Hein, George, *Learning in the Museum*. New York: Routledge, 1998.

Hooper-Greenhill, Eilean, *Museums and the Shaping of Knowledge*. London-New York: Routledge, 1992.

Hooper-Greenhill, Eilean, *Museums and the Interpretation of Visual Cultures*. New York: Routledge, 2000.

Malaro, Mary, *Museum Governance: Mission, Ethics, Policy*, Washington D.C.: Smithsonian Institution Press, 1994.

McLean, Fiona, *Marketing the Museum,* London-New York: Routledge, 1997.

The New Museum Registration Methods, edited by R.A. Buck and J.A. Gilmore. Washington D.C.: American Association of Museums, 1998.

Serota, Nicholas, *Experience or Interpretation; The Dilemma of Museums of Modern Art,* London: Thames & Hudson, 2000

Shaer, Roland, *L'Invention des Musées*. Paris: Edition Gallimard, 1993.

areas. To this effect a tunnel has been designed to connect the gallery with the storage building. Likewise the new gallery building is connected to the main building by a closed bridge thus giving the option to the visitors of the main building to see the temporary exhibition without going out of the building. The gallery expanding on a total surface of 1,450 square meters offers the curators and visitors different volumes (width and height of galleries). No attempt was made to add architectural elements that would emulate the main building, rather a neutral stand was preferred.

As far as the interior decoration is concerned the same principles of a passive approach to galleries in the new wing and in the old has been the order of the day. In particular in the galleries where the permanent collection of Islamic art is going to be exhibited a dark blue background has been selected in order for the works to stand out with greater impact. For lighting fibre-optic will be used, the works will be protected from infra red and ultra-violet rays. Works in the permanent gallery will rotate on the average every three months for them to "rest" in storage.

Finally I would like to comment on our hopes for this Museum. The big question is whether it will answer our expectations. The image of the museum as repository of "old" and forgotten objects visited only by tourists should be replaced by that of an attractive place where people from all walks of society come to look for new experiences, to learn, to be trained and to take pride in their cultural heritage. Our hope is that in this world of rapid transformations and where values alien to our cultures are imposed upon us through various processes, usually under the guise of globalisation, museums can become good vectors of validation of our own cultures and value systems and be a good reference point for us to know our distinct position in the realm of universal culture. As it stands our Islamic heritage has been relegated to superficial images that have been in a way indoctrinating the masses not only in western societies but even in our own countries. This image can be dismantled very easily, and our museums can make a great difference. A villager was interviewed in his small hamlet in the heart of Anatolia by a member of a team that was conducting a survey on museums in Turkey on why he and his family visited the local museum. His response, and of many others in similar circumstances, was very interesting. He visited the museum to have a better understanding of his roots, of his heritage of where he came from. It is our hope that the more detached city dwellers who are much more exposed to "global" cultural expressions and who in the same survey appeared to be less interested in the museums of their cities (which are far more rich than the ones visited by the villagers) will visit our museum. The challenge is open, the answers will be known a few years from now.

With respect to governance the Museum needs to acquire an autonomous status both financially as well as administratively. The Director reports to a Board whose members are the Donor or his representative, the Chair of the Board of Trustees and the President of the University. Decisions will be taken in light of the guidance of an advisory Board whose members will be reputable foreign and local professionals and academics, experts in their respective cultural realms. The operation of the Museum will be initially funded by the University budget and by income generating activities within the establishment (entry fees, gift shop, catering, rentals, etc.). Shortly thereafter an endowment will be activated to cover firstly new acquisitions and later a greater portion of the operation costs.

Last but not least is the architectural aspect of the project. As much as the building at hand is a relatively new building (1925) it was nevertheless treated as a historical building both by the authorities and the designers. Therefore the project was considered a restoration and conversion project with additional spaces added on to it. In treating the main building, care has been given to keeping it as much as possible in its original form. Even though the calligraphy exhibited requires darkened rooms the appearance from the outside of the building is that of a house with closed shutters. Insulation material required by international museum standards have been hidden under the external stucco work rather than erecting a second membrane on the inside walls of the exhibition halls. Although air condition and humidity control systems as well as security systems are being installed these have been made in a very discreet manner. All electronic devices for alarm systems are designed to be cordless so as to avoid any external wiring and enabling flexibility whenever works change place or are taken to storage. Overall the visitors will perceive the main building in its original state. The total useable surface of the building is 1,800 square meters.

As for the additional gallery building it was designed to be constructed adjacent to the main building but most of it underground. This approach stems from a series of considerations both of a normative nature as well as from design concerns. First of all as the premises are located on a protected area, new constructions are not allowed. But even if this were not the case the design approach would not have been any different. From the onset the principles that guided the design work was to focus on the preservation of the premises in its original state and not to challenge the existing building opening the door to issues of finding the right architectural language that would co-exist with it. The program and the design of the spaces were articulated in function of the flexibility needed for staging exhibitions of entirely different works of art. Special care has been given to the procedures of receiving, unpacking and hanging or installing of the works in totally and integrally environmentally controlled

conceived as a research and development centre. In view of the decrepit condition in which most of the ancient calligraphy finds itself and thus a substantial part of the Islamic cultural heritage is threatened with extinction, the initiative to embark upon such a program appears to be of primary importance for the Museum. Sabanci University has already begun a program of scholarships for the training of Art Historians and Chemical Engineers that will be employed in the laboratory beginning next year.

Another aspect that is being planned is the establishment of educational programs in the field of calligraphy. These are foreseen at different levels, on one hand on an informative and scholarly level through the use of information technology (with on site computers and/or the web) and on the other, through the direct teaching of the art with traditional methods of masters passing on the skills to their apprentices. The teaching of traditional calligraphy acquires greater meaning in a country like Turkey where the Arabic script was abandoned in the twenties and thus a rupture came to existence with the past. Not only artists but historians as well will benefit from these educational programs, as they will have greater access to documents that previously were not accessible to them.

Even before the opening of the museum a selection of works of calligraphy from its collection has toured the most prestigious Museums of the world (Metropolitan Museum in New York, Los Angeles County Museum, Harvard Art Museum in Cambridge, Louvre Museum in Paris and currently at the Deutsche Guggenheim in Berlin). This policy of exhibitions on loan will continue as it is a fact beyond doubt that it is a great vehicle of fostering and promotion of this traditional art form which is not very well know outside the Islamic world. The overall reaction of the western art-loving public has been extremely positive regardless of the fact that this is a totally alien art form for them. For expatriate Muslims living in these countries it is a source of pride to be part of such a rich cultural heritage. Last but not least such activities, which also entail the publication of catalogues that are of textbook quality that can be utilised by scholars, have had a great role in establishing credibility for the Museum. It has enabled the Museum to begin a dialogue with such prestigious institutions such as the Metropolitan and the Louvre.

The Museum in order for it to stay alive on the cultural agenda and to preserve its dynamism will use the exchange program effectively. Considerable gallery space has been planned for temporary exhibitions. These spaces will be used to stage both Islamic works of art on loan from other private collections and museums as well as totally different artistic expressions so as to establish a bridge between different cultures. Thus another mission of the Museum will be fulfilled, that of acting as a window to cultural worlds outside our society.

was stressed that the financial implications need to be clarified up front, that the museum should have an autonomous source of income, ideally from an endowment

On design issues there was a consensus that the grounds should be preserved in its present condition; this was conceived as a cultural responsibility. The house's typical architectural design with a central circulation scheme was emphasised. This should not be touched. It was further stated that little intervention is desirable throughout the building. Another view was that even though the central space is preserved, all the other spaces could be substantially altered to house exhibition galleries. The house should not be conceived for just one function, instead it should be multi functional.

The design process, it was noted, should have curators involved at the onset of the planning and conception. Examples of museums that did not have curators on board during the design process have proven to be flawed. Technical know-how is needed at the beginning.

And finally, with regard to the collection a point raised was that of the "fermans" that should be considered foremost historical documents and therefore should be separated from the rest of the collection and consulted as documents by researchers. The value of the works is not so relevant. Instead they have greater value as witnesses to the historical development of a particular epoch and therefore should be linked to the history of cultural development.

In this section now I would like to illustrate the path that we have followed after the workshop. In light of the many ideas put forward a road map was drawn to conceptualise the model of the Museum and to translate the concepts into an architectural program. Firstly it was clear that the Museumís foremost mission would be the fostering and promotion of the Ottoman Islamic cultural heritage; thus emphasis would be given to the permanent exhibition of calligraphy. The mission would not be limited to exhibiting the works at hand but would go further. It would entail acquisitions to expand the collection and more important, a paper conservation laboratory would be set up.

Equipped with state of the art intruments and materials and manned by a highly qualified staff the lab would serve the needs not only of the Museum but that of other private collectors, museums and governmental institutions (libraries, archives, "vakf" entities, etc.). In time the objective is to become a regional centre of excellence so as to answer the needs of conservation and training of qualified staff not only of Turkey but also of the surrounding geography. It is known that techniques used in Ottoman calligraphy (as in all Islamic calligraphy) are entirely different from those used in the west. Therefore expertise in this field needs to be developed locally. This is why the paper conservation laboratory needs to be

various contributions so as to develop an architectural program and a management model for our Museum.

As the discussions began with a broad agenda to define what should be the model for the museum of the future, thoughts both of a practical as well as a theoretical nature were illustrated. Firstly, it was noted that in order for the museum to stand out among so many already existing, it should be more tightly focused. Being focused would mean to develop a museum as a laboratory of ideas. The search for specificity was stressed to be an important point with a belief that often the most successful museums are those that are the most "idiosyncratic". Another innovative proposal was to conceive the museum as an organism with a broader cultural agenda. With the collection, and following the history of the donorís family and how it developed in recent history, it could be possible to illustrate a broader history of the development of Turkish society throughout the last fifty years during which the country underwent major transformations, from a strictly agrarian society to an industrialised one. It was a process within which the Sabanci family has had a major role. In brief, it could be a museum of the 20th century socioeconomic history of Turkey. Such a museum would have a study centre that would develop the theme. On the other hand it was noted that such an approach risked imprisoning the museum within the boundaries of one particular theme; instead it was proposed that the collection should be detached from the building altogether.

It was suggested that the museum could become an appropriate venue for short training programs in conservation but with a reservation that such short-term courses, such as two-week courses, may prove to be dangerous. Longer periods of time are required to really make a difference in the training of specialists in conservation. The latter involves other problems deriving from the job market situation. Qualified people do not find satisfactory job opportunities especially in countries like Turkey, where most of the employers in this field are governmental agencies. As a consequence trained people either go away or work in areas for which their training has no bearing or stay on, and jockey for positions of leadership.

The institution should be conceived as a Museum and Centre for cultural studies. Selected areas of training, such as the teaching of Arabic Scripture and the use of instruments in calligraphy should be contemplated. Reconstruction of the late Ottoman cultural legacy could be one of the options and such an approach should be linked with the curriculum at the university

The discussions proceeded on to the subject of the future of the museum. As it was noted, building a collection was taking a risk; and it was more relevant to see the business of museums as that of articulating ideas rather than acquiring objects. Whatever the strategy, it

have also become viable instruments of communication. Contemporary museums are not limited to fostering the local cultural values but they have become a platform for the exchange of ideas and cultures at large. Travelling exhibitions on loan have opened the cultural horizon of peoples throughout the world that otherwise would never have had access to such different cultural expressions.

To attain the above mentioned qualities for the Sakip Sabanci Museum a planning group was set up with the purpose of drafting a series of documents which would highlight the issues at stake. A group of specialised professionals from different disciplines that directly or indirectly were related to museums were invited from abroad and the country itself to address the issues put forward. During a two-day workshop participants were asked to address the following issues:

i. What should be the mission of this Museum?

ii. How should the Museum function in relation to its cultural environment, what kind of social roles can it take upon itself?

iii. What is the direction that it should take in the context of developments in the realm of contemporary art in Turkey, of the art market, galleries and museums at large?

iv. In view of the above-discussed directions, what should be the conceptual framework within which the Museum should develop and grow; and how best can it achieve its objectives?

v. What will be the niche that this institution should aim at carving for itself in Turkey and in the international art scene?

vi. What is necessary for acquiring credibility and validation?

vii. How will this institution interface with similar entities in Turkey and abroad and what characteristics should it bear to make it a unique initiative in Turkey and abroad?

viii. What is the profile of the institutions that the Museum should seek linkages and closer partnerships?

ix. In view of the above points and in particular of point (iv) what should be the design guidelines to improve the exhibiting and didactical activities on the premises?

x. What should be the management model most suitable for this institution, what are the options for financing the maintenance and expansion of the Museum?

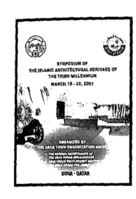
In the first part of this presentation I would like to go over briefly the points raised during the workshop. In the second part I would like to illustrate how we have interpreted all the

As an architect I would have very much liked to talk to you about design and restoration of old buildings, of my past experiences in this field and the theoretical background of rehabilitating historical buildings. Instead I have chosen to discuss today issues relevant to the conception of contemporary museums. It is my belief that this is a theme that is quite pertinent here. I think you will all agree with me that if the brief is not well conceived even the "best", the most sensitive architect can not design a good museum or, as a matter of fact, any project. Therefore today I would like to share with you a unique experience that I have had; the privilege of being involved in, the creation of a new museum.

In the early 1998 I was offered the job of Director of the Sakip Sabanci Museum to be founded on the premises of the former residence of Mr. Sakip Sabanci, a renowned Turkish industrialist. The building that was to be allocated to the newly established Sabanci University would house three collections (Ottoman Calligraphy, Oil Paintings and Antique Objects) that were donated to the University by Mr. Sabanci. My brief entailed the conception and the coordination of the design and construction of the Museum as well as its operation.

The challenge was enormous. I was beginning my task both from a vantage position but at the same time the advantages were also bringing with them certain restrictions into the equation. The fact that I had three noteworthy collections at hand and a beautiful mansion built in 1925 was indeed a great starting point but at the same time it limited my freedom of action since the collections were not originally intended to be part of a museum. Nevertheless all the problems would be easily overcome thanks to the full material and moral support of the donor and of the University executives who were fully aware of the potential benefits of creating a museum for the University.

Looking back at the history of museums one can not but notice that my task was any different from that of the first pioneers of the age of the enlightenment. Back then too there were illuminated princes who were collectors and who as part of the philosophy of the times felt the need to share their precious art objects with the public. Later in history the character and objectives of these institutions changed dramatically to become major players in the context of the emerging new nation states of the nineteenth century. Some through their design and content became temples for the masses to venerate the cultural values of the state, race, empire and any other value that the regime felt the need to exalt. Today, however the role of museums have changed dramatically. Above all they are now seen as effective institutions of learning, of active promoters of the arts and more important, of the preservation of the cultural heritage. Dynamically conceived and managed in an entrepreneurial guise they

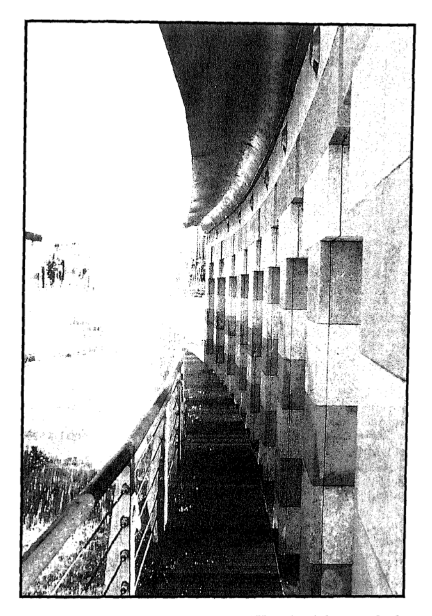


SYMPOSIUM OF
THE ISLAMIC ARCHITECTURAL HERITAGE OF
THE THIRD MILLENNIUM
MARCH 18 - 20, 2001

FROM A PRIVATE COLLECTION TO A PUBLIC INSTITUTION: THE MAKING OF A CONTEMPORARY MUSEUM IN AN ISLAMIC COUNTRY

Dr. Emin Mahir Balcioglu, Director
Sakip Sabanci Museum
Sabanci University, Istanbul





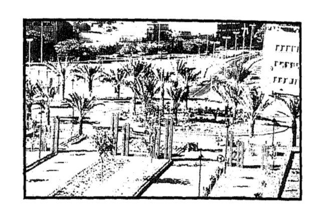
Waterland the aqueducl

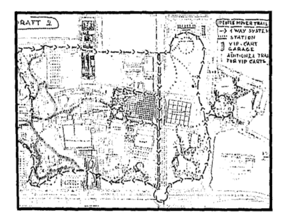
Text + layout : David & Brigittle Elsword

Cover photograph : the Centennial Plam Grove

The photographs in this brochure have been contributed by : Richard Bodeker, David Elsworth, Eduard Gevers and Alex Krall







Park transportation

During both planning and construction phases consideration was given to the possibility of an internal system of transport for the park, which would allow older and infirm persons to travel around the park and see all of its features. In the form of a train such a system is, of course, an attraction for children, too.

Battery-operated golf carts already operate within the park to convey VIP's and visitors. In the future a so-called 'people mover' will be used to shuttle visitors from the park to other important attractions, parks and squares within the city, particularly to the Kasr al Hokm district and the historic Musmak fortress.

naturally in the various regions of Saudi Arabia. The majority of park pathways and sidewalks, however, have been surfaced in unit concrete pavers and the informal paths leading to the sunken lawn and picnic areas are surfaced with compacted gravel. In special areas stone salvaged from the demolished buildings on site was re-used for paving material.

Irrigation

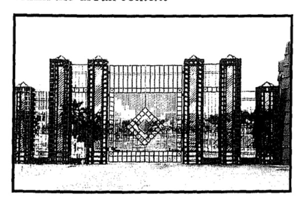
The irrigation requirements of the park can be fully met from treated groundwater, which is pumped from a pumping station beneath the nearby King Fahad Road. A tank with a capacity of 4000 cubic metres (reserve capacity for about two days) was constructed on site and is buried under one of the two hill viewpoints. Bubbler and spray heads were primarily chosen for the irrigation of trees and shrubs respectively. Drip emitters were installed for certain areas of ground cover.

Stormwater management

Careful attention was paid to the management of runoff from the park's pathways and slopes of the ground modelling. Wherever possible rainwater is guided into drainage ditches, retention basins and areas of planting, where a system of soakaways and swales operate from which water can infiltrate into the ground, due to the relatively good permeability of soils in this area of Riyadh.

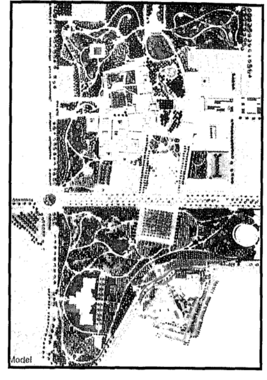
Park fencing

To prevent unwarranted intrusion into the park and to deter damage to planting, which is an inherent problem in all public spaces, not only has the perimeter of the park been fenced and gated, but also the park itself has also been sub-divided into pocket parks. This system of parks and gardens will therefore provide the possibility of closing a particular area or perhaps all of the 'soft' landscape of the park for maintenance reasons, or even to allow the parks to recover after 'over-use'. Generally, however, it is hoped that the main squares and the Maidan will be permanently open to the public, thus allowing full integration of the Historical Centre within the urban context



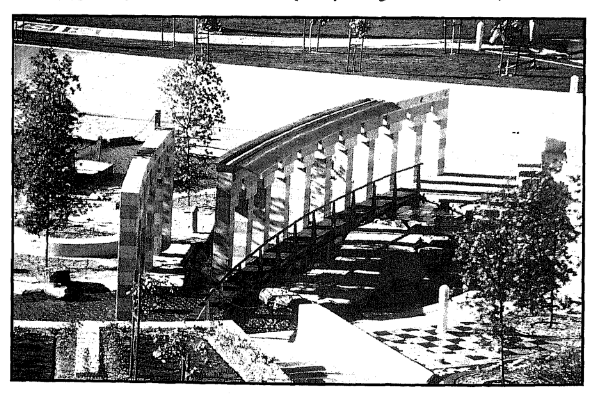


reached 55° C.) Despite seemingly adverse conditions, the plants as in other projects have made remarkable growth rates. First radical pruning measures to train the growth of the trees have taken place this spring. And a programme for transplantation of every second tree after three to five years has already been drawn up. The park will thus become a nursery in its own right, serving other park projects for the client.



Materials

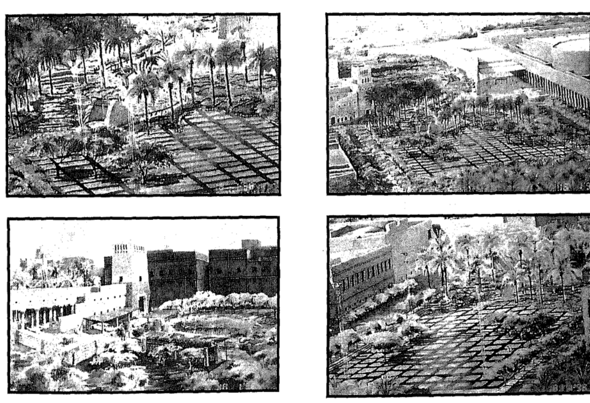
Whilst most of the hardscape for the park was executed using concrete materials, prominent areas have been paved with natural stone, particularly Riyadh limestone, which is a versatile and attractive paving material, lending itself to a variety of surface treatments. For contrast and colour different types of granite were used. In fact priority was given to materials, which occur



Waterland



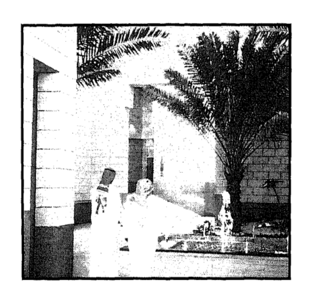
Designed by Eduard Gevers



Landscape elements

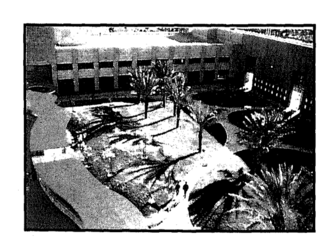
Planting

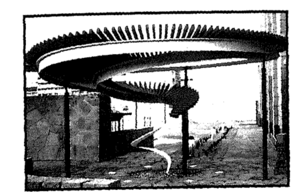
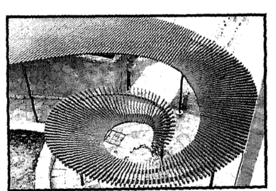
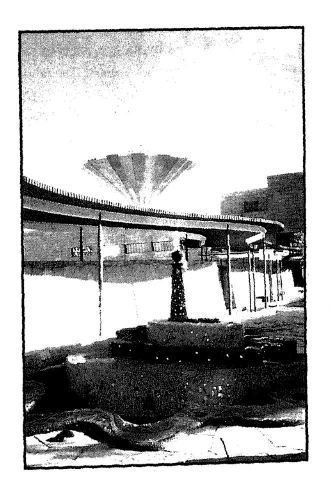
To create maximum shade in a short period of time, trees have been planted on a dense grid of 4 metre centres throughout all of the park's open spaces. Experience has shown that this method of planting quickly creates a special micro-climate, which is not only conducive to the growth of the trees themselves, it also allows other plants better growth conditions and improves the comfort of human beings. (During the construction period of 1998, temperatures



Department of Antiquities Courtyard

The antiquities courtyard is characterised by its eye-catching and brightly tiled fountain feature and the blue, curving shade roof above the car park. The lawn, planted with palm trees is separated from the cars by a curving, stone-clad wall. Colourful tiles are also used to create playful patterns around tree grids and to edge paving in an area which could be used as an outdoor cafe.



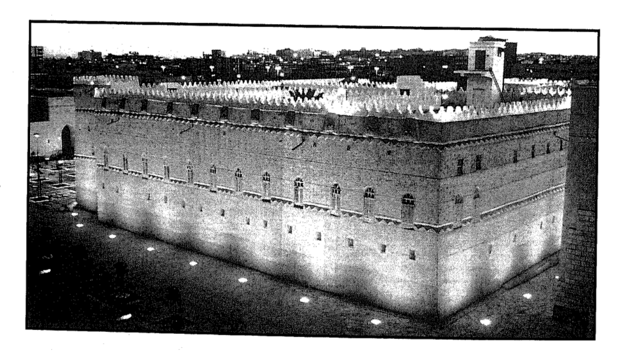






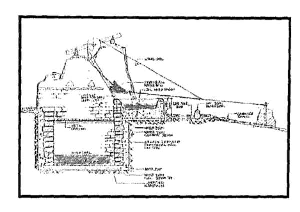


Courtyards

Of the many small courtyards which permeate the built areas of the park and lend it a special atmosphere, the three most important are the Main courtyard of the Darat, which contains an old stone building, the so-called Folklore Court situated between the Murabba Palace and the King Abdulaziz Mosque and the Department of Antiquities Courtyard. The folklore court marks the entrance to the Murabba Palace, which was home to King Abdulaziz, and will be the scene for local pageants.

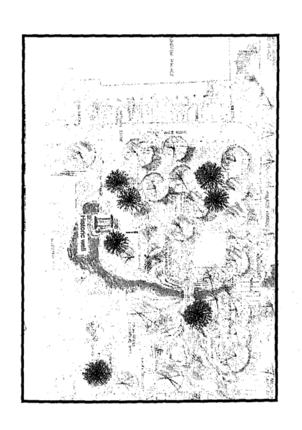


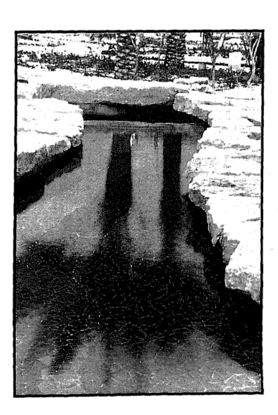


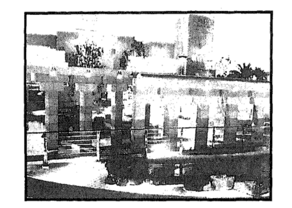


Historic well

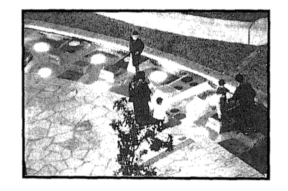
An old traditional well, which used to serve the palace complex, was scheduled for conservation early on in the planning process, the idea being to pump water from its depths to feed the water channel. Still standing in its original location, though not functioning in the traditional way, the well now stands surrounded by date palms at the edge of the maidan and has become a place for contemplation.

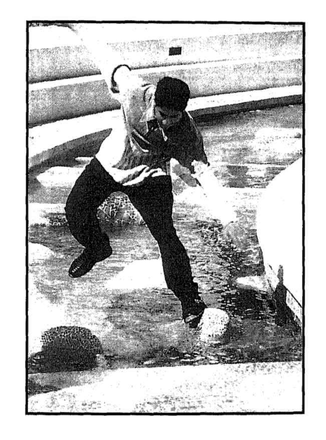








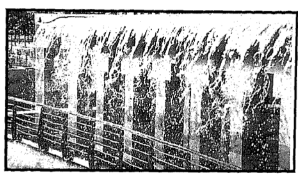


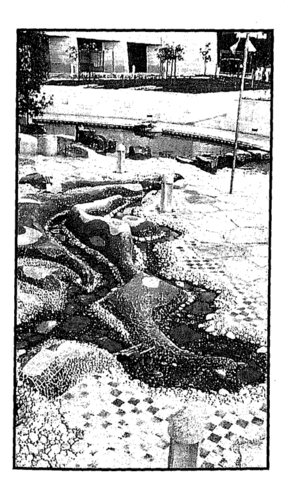


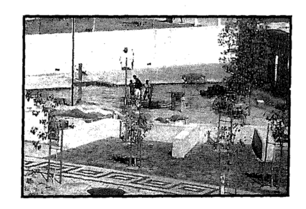


Waterland

The water channel culminates in an amphitheatre-like area of steps and walls, which contains a water playground, dubbed **'Waterland'**, an 'El Dorado' for children of the desert. The idea is that children can pull water, using an Archimedes screw, from the surrounding channel up onto an island of smaller, connected water channels, which may be controlled by small sluice gates. The island is reached by a ferry, chain bridge or stepping stones. In the background there is a boardwalk underneath an overflowing aqueduct, daring the children to run under the waterfall. The sound of the water falling attracts visitors like magic and in the evening when everything is lit, large numbers of visitors come to enjoy the special atmosphere.







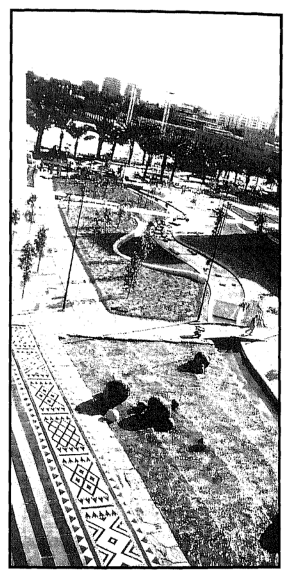


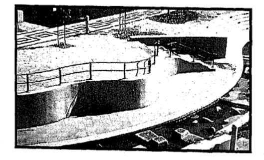
Water channel

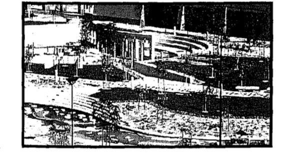
Like a snake with a brightly coloured skin, the tiled water channel winds its way through the Palace garden from the Historic Well, and ends in the playful Waterland feature. The channel is 215 metres long and varies in width from two to six metres. Paved in various colours using the broken tile technique (darker tones begin at the well and become gradually brighter towards the Waterland), the channel incorporates weirs, steps, stepping stones, and stools for paddling in the water. The channel has already proved an enormous success and, when illuminated at night, attracts a lot of young visitors.

Water steps

Along the way the channel is joined by four, flat Water steps of Rhumah quartzite stone, which are located at the Palace Garden entrance to the museum. The water appears to emanate from the building and flows into the channel between specially selected, naturally spherical boulders.



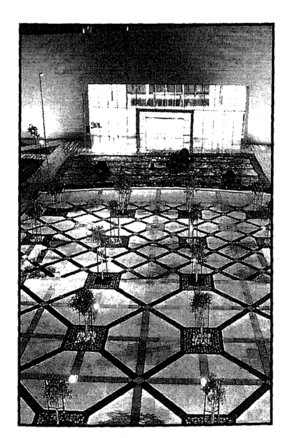




This symbolic idea was actually part of Moriyama and Teshima's design proposal during the first planning stages of the project. For every year of the modern state of Saudi Arabia's existence, one date palm tree was planted; making a total of one hundred. Furthermore the area in which they have been planted is raised and approached by three steps (which can be sat upon) and in this way the symbolism of the idea has been enhanced.

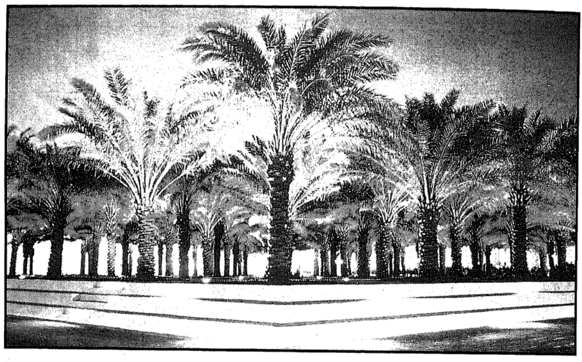
Palace garden

The Palace Garden lies at the heart of the park and forms the link between the Darat (a building designed along the lines of a former palace of King Abdulaziz and now occupied by the King Abdulaziz Institute for Research and Archives) and the National Museum, vis-a-vis (a modern building, clad in Riyadh stone, with a magnificent curving wall, which culminates symbolically in a sword-like, sharp edge). Between the entrances to the two buildings an intricately-woven carpet of paving in the arabesque fashion is rolled out as a welcoming mat. The trees here emphasise the geometry of the paving, which has a pattern based upon old Bedouin designs. Only low-growing ground cover was planted in the garden to preserve the clarity of the dimensions and in the future the canopies of the shade-giving trees will form the bridge between the buildings.



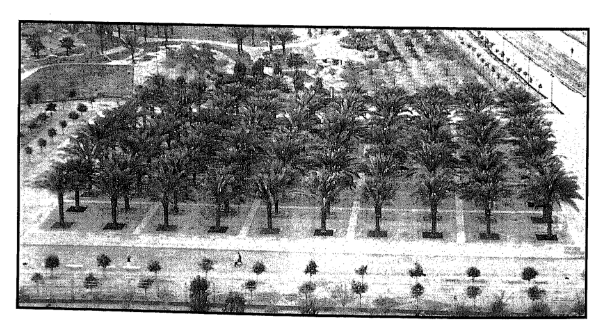


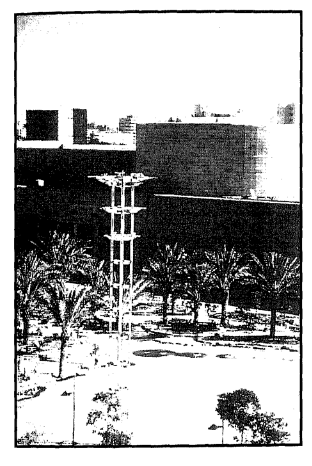


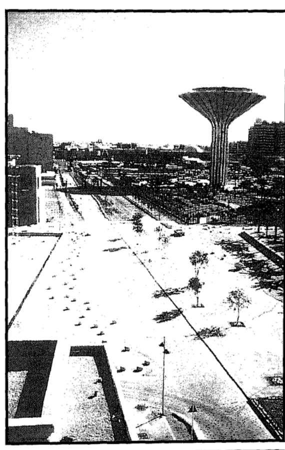


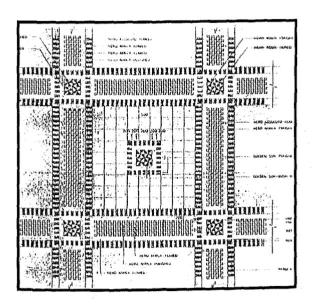
Centennial palm grove

Because the Maidan's southern edge is bounded by the King Saud Street, and the space actually continues across the road up to the Centennial palm grove, a pedestrian character was created for the area by using special paving and bollards, which either signal that pedestrians may be moving from one side of the street to the other and that the traffic should slow down, or it deters cars from encroaching upon the space.



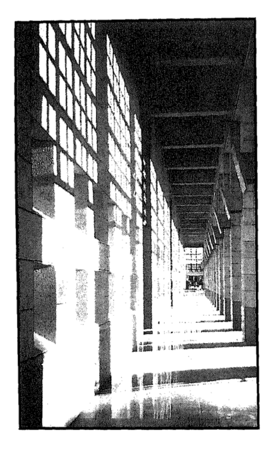






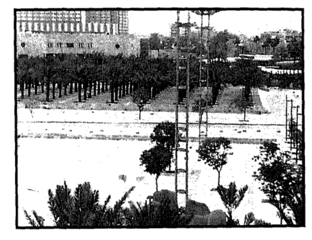
Maidan paving pattern

Designed by Eduard Gevers

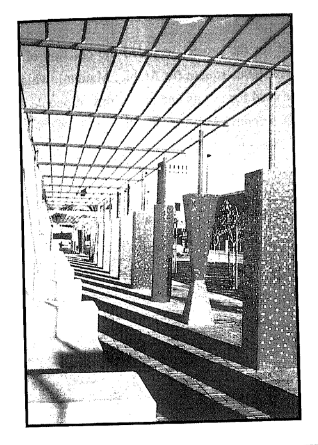


Maidan

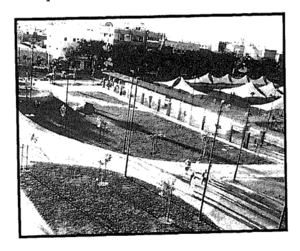
The brief for the project included the creation of a large, prestigious square (in Arabic, Maidan), which could be used for events and gatherings of people. It occupies a central location directly accessible from the King Saud Street (conceived as an attractive new boulevard) and is surrounded on three sides by



sitting steps allowing spectators to view the scene. Four, tall stainless-steel lighting fixtures give special illumination. In addition, elaborate granite paving patterns add to the importance of this square.



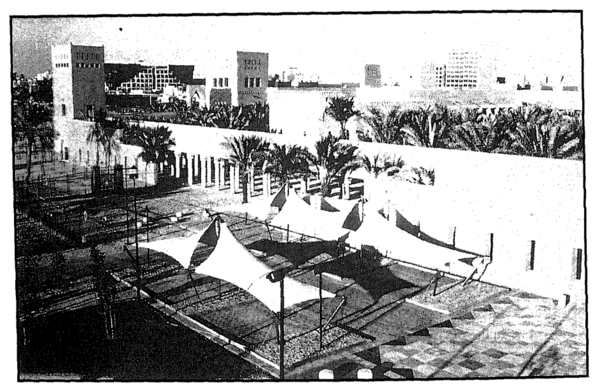
Squares designed by Achim Muller





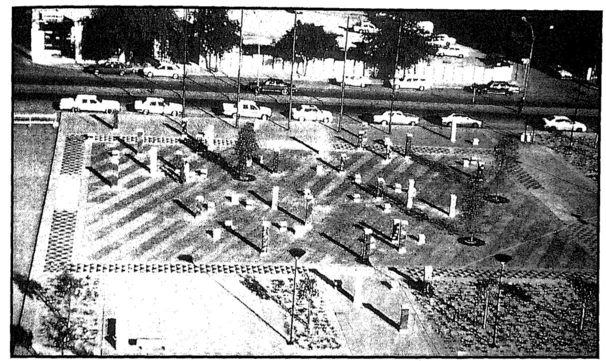
gigantic portal was created through which water appears to flow, albeit in the form of blue coloured concrete. Again this is a way of enticing visitors into the park through a symbolic gateway. Furthermore the portal is located along the line of the old Murabba palace walls (of which only a small portion in the Tower Square has survived).

An existing mud tower and a section of the old Murabba Palace wall form the edge of the park at the Tower square in the north-western corner of the site. The square has the character of a 'pocket-oasis' within the city and invites local residents to stop for a while or visitors to enter the park from here. Contrast is achieved with the use of black and white paving.



Northern Square

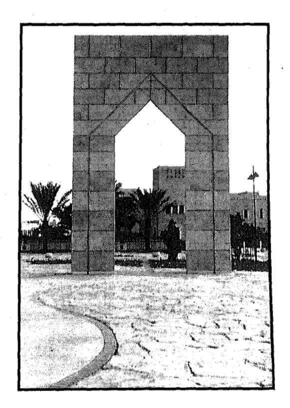
The Western Square, conceived as a square for children and teenagers, is edged on one side by a blue pergola roof structure on columns of various odd shapes, all tiled in striking colours. There is a track for skate boards, and roller skating and bicycles can also be tried out on the slopes and curves of the tracks.



Eastern Square

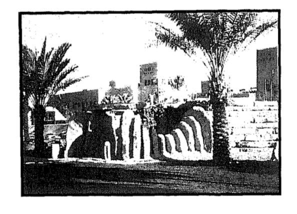
Squares

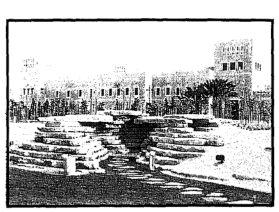
One of the underlying concepts in designing the entrance squares to the project was the creation of a colourful feature, whether it be in the paving, in a sculpture or in a structure.



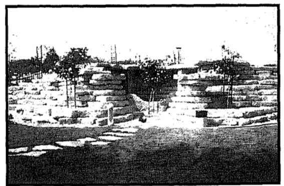
In the Eastern square, for example (the main vehicular entrance to the museum), a series of brightly-tiled columns set on colourful paving in contrasting colours catches the eye immediately and invite the public to visit the museum, when passing by on the street. There are various types of paving materials and planting is kept deliberately low-key, so that the main entrance to the museum can be fully appreciated.

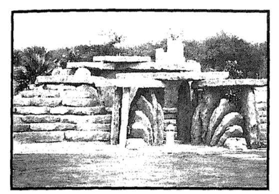
In the case of the Northern square a











The sunken lawn areas, symbolic of oases with their groups of shade-giving palm trees, are surrounded by slopes, which are lined by layers of local limestone rock formations, reminiscent of the wadi escarpments of the outskirts of Riyadh. Here and there the rocks are skilfully arranged in artistic shapes to form cave-like features, similar to those which naturally occur, for example in the Wadi Hanifah. The caves afford the necessary privacy for family picnicking. A total of 27 picnic areas were created in the park, each of which was individually designed (some incorporating "recycled" building materials from the nearby demolished mud buildings). All of the picnic spots therefore have an unmistakable, artistic character.

Additional highlights in the park areas include two viewpoints created on artificial hills, as well as two grassed playing areas and children's playgrounds with wooden play equipment. These have been sensitively integrated into the park with the use of natural-looking layers of rocks in specially selected locations.



Picnic areas — Designed by Alex Krall

the construction of the museum and park, it was decided to add a branch of the King Abdulaziz Public Library and an auditorium to the scheme on an adjacent plot, thereby creating a further square between the buildings and the park.

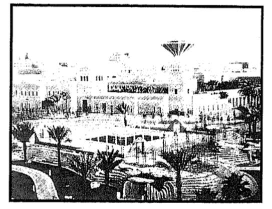
This sequence of spaces on a skewed north-south axis is now viewed as the major determining element in the future development of a green network in downtown Riyadh.

The main design areas

The parks



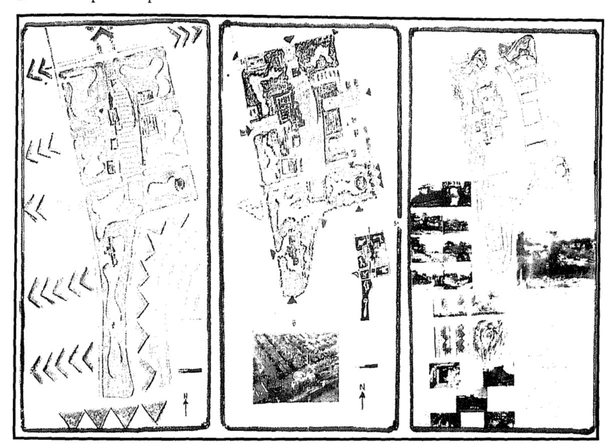
The built areas of the Historical Centre and thus the major landscape design elements are surrounded by park-like recreation areas with dense, shade tree planting, leisurely walks and sunken lawn areas. The five parks are characterised by finely executed ground modelling with hollows and low, undulating hills as well as curvilinear walks. Whilst in the more urban areas such as the maidan and squares, architectural elements such as water features, pergolas and attractive paving dominate the design, the parks are natural areas, where trees, shrubs and rock placement are the main components. Trees were planted on a 4 metre grid in desert surfaces within the parks, each of which has an area of between 20,000 and 30,000 square metres. The main pathways are edged by plant beds comprising shrubs and ground cover, which also extend into the mounds and slopes of the ground modelling.





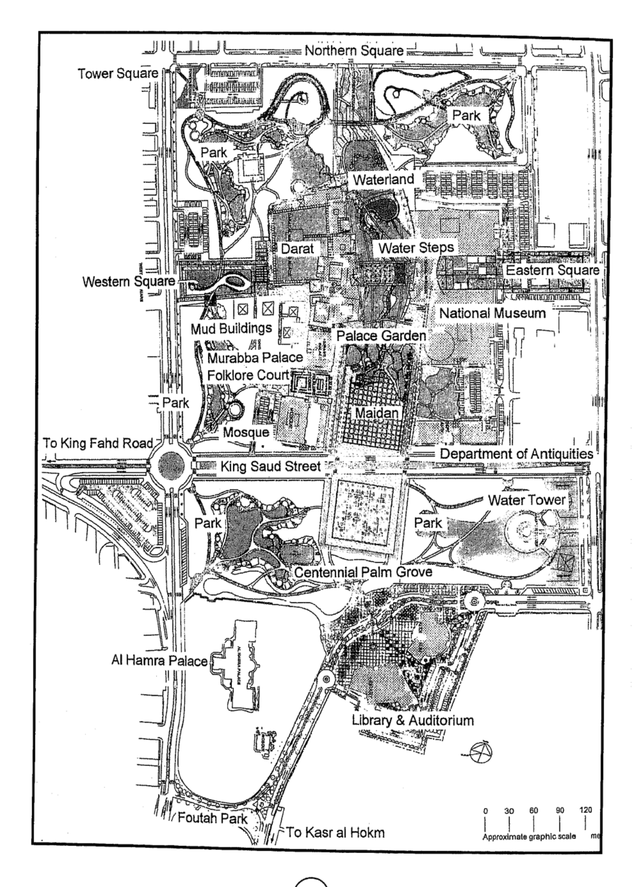


The landscape concept



The design of the new King Abdulaziz Historical Centre, was based on the concept of creating an island of buildings within a park, whereby the formal and relatively severe lines of the architecture are deliberately contrasted with the free-flowing forms of the landscape. Only at the entrance squares to the various components of the Historical Centre are the external spaces equally formal, giving them a more urban character by linking them to perimeter roads. At the same time the landscape successfully penetrates the island of buildings. It does not stop at walls, but rather flows through openings in them into large and small courtyards, almost in the Moorish tradition. This permeation was given two directions - north-south and east-west - by the urban design concept, which skilfully massed the new National Museum to the east and the King Abdulaziz Institute (the 'Darat') to the west and pivoted them around a central 'Palace Garden' (an historical element) and an expansive and formal square, known as the "Maidan".

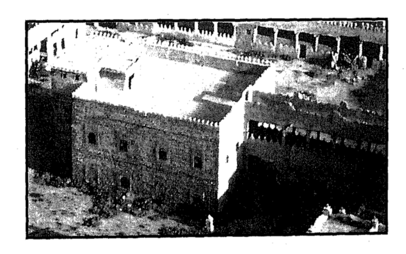
Originally it was hoped that the Al Hamra or Red Palace, built next to the Murabba by King Abdulaziz's successor, King Saud, would be included within the new park, and designs were made accordingly. This part is now viewed as a future extension. Then, as late as during



Northern Square
Tower Square
Park
Park
Waterland
Darat
Water Steps
Eastern Square
Western Square
National Museum
Mud Buildings
Palace Garden
Murabba Palace
Folklore Court
Park
Maidan
Mosque
To King Fahd Road
Department of Antiquities
King Saud Street
Water Tower
Park
Park
Centennial Palm Grove
Al Hamra Palace
Library & Auditorium
Foutah Park
To Kasr al Hokm
0 30 60 90 120
Approximate graphic scale

The new centre is still in a prime location in terms of proximity to major roads, traditional shopping areas and the old heart of the city, comprising the Grand Mosque, the Justice Palace and the Governor of Riyadh's office. (This new complex, designed by Rasem Badran and completed in 1992, won an Aga Khan Award for architecture and is also another BW&P landscape project).

A further favourable factor for the development of a park in this area is the fact that the palace complex had been located on ground, which would also have been suitable for a palm grove. The conditions for planting were therefore good, especially in comparison with those presented, for example, on the rocky plateau site for the Diplomatic Quarter in Riyadh. In addition, irrigation water was available from the nearby pumping station at King Fahd Road, which treats approximately 9,000 of the 35,000 cubic metres of water, pumped daily to prevent groundwater from pushing the road up. An amazing fact, when one considers that this is a desert city.



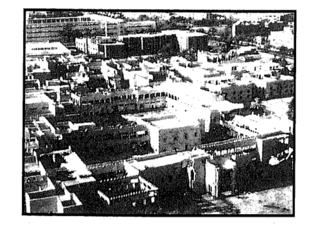
As landscape architects one of our major goals was to minimise the impact, which large areas of car parking would have upon the open spaces. And in order to maximise the area of green, certain existing buildings, such as a school and even a short section of road were demolished.

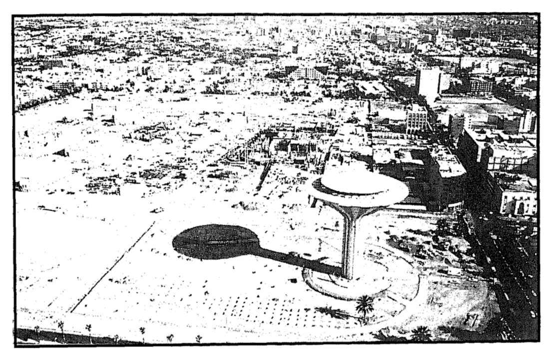
cological repercussions for the whole of the downtown. Already the ADA has elaborated proposals to link the park with other existing and new green areas within the city. Eventually, Riyadh could well win back its image of gardens in the desert, which is the very meaning of its name in Arabic. Even water, the lack of which was once a limiting factor, will be sufficient for the irrigation of large green areas in the city, now that treated groundwater (available in astonishingly large quantities) and recycled sewage effluent (produced by the large and still expanding population) have become accepted as sources of the valuable liquid.

The site and its location

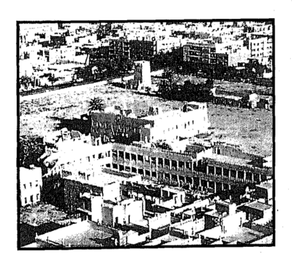
Now swallowed up by the sprawling conurbation of Riyadh (in terms of area, one of the largest cities in the world - 1600 square kilometres), the site of the Historical Centre was once a walled city in its own right, after King Abdulaziz built the Murabba palace there in the thirties, beyond the belt of date palm trees, which surrounded the old mud-house settlement of Riyadh. An old aerial photograph shows that, even as late as 1947, the Murabba area was on the edge of the desert and linked by dirt tracks. Until recently, however, it had become an almost forgotten district of Riyadh, being completely immersed by the old downtown and too far away to be of interest from modern Riyadh, which has developed rapidly to the north of the old city centre. But the historical value of the site and its closeness to the Kasr al Hokm district made it a natural choice for the location of a National Museum. Riyadh's oldest public green area, the Foutah Park is located just to the south of the new Centre.



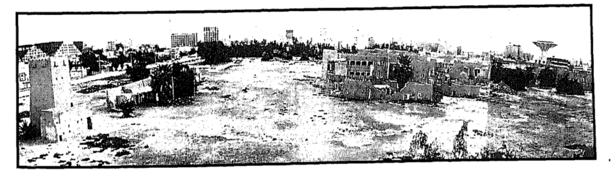




The Construction site in September 1997



The site before construction in Spring 1996

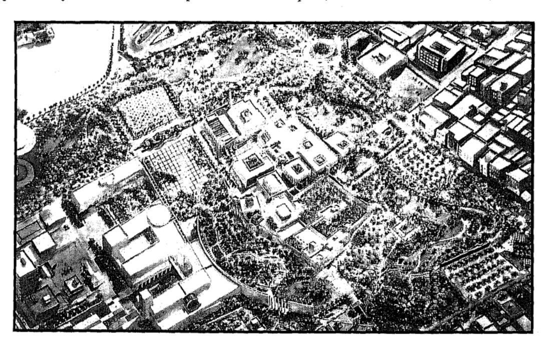


Introduction and project background

The Kingdom of Saudi Arabia had long intended to construct a National Museum to house its national treasures and document the country's historical development. During the early eighties the first plans were made for a site, which had its own historical significance - the Murabba Palace complex, home until the nineteen-fifties to Saudi Arabia's founding father, King Abdulaziz. From this complex of renovated, existing buildings, together with the new National Museum, surrounded by squares and parks, an area some 36 hectares in size has been created, which is now known as the King Abdulaziz Historical Centre.

In 1996 the Arriyadh Development Authority (ADA) prepared the brief for the project, which contained a visionary concept for the development of the whole of the Murabba area. The brief foresaw the creation of a complex, which would have wide-reaching impact upon the centre of Riyadh; an urban development on a grand scale to be realised over a period of fifty years. Internationally renowned architects, planners and engineers were invited by the ADA to join its team in refining the urban design concept, thus combining both local and foreign expertise. Guided by the client in an intensive period of teamwork planning, the ADA's goal of creating an inviting, open and accessible complex, which would be integrated within the urban fabric of Riyadh was achieved.

Under unusual time pressure, as can be seen from the deadlines, the landscape team for the project then completed designs and tender documents for what has thus become a milestone project in Riyadh's urban development - a central park, which will have cultural, social and



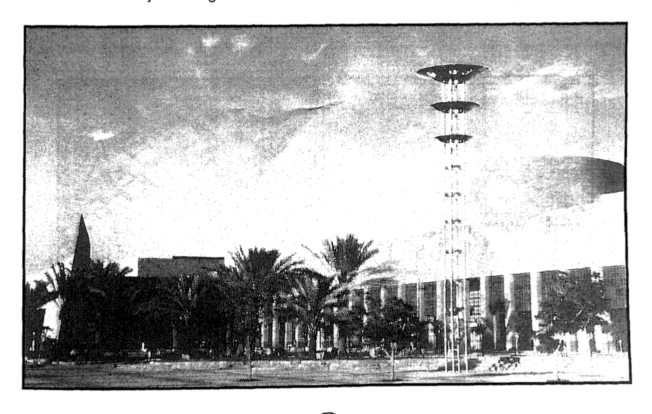
Project information

Facts and figures

Total area (including buildings)	360,000 square metres
Total soft landscape area	141,000 square metres
Total hard landscape area	121,250 square metres
Total area of lawn	38,250 square metres
Total number of trees	6,025
Total number of shrubs / ground cover	6,300 / 156,500
Total construction costs	SR 565 million
Total landscape construction costs	SR 132 million

Important dates

Urban concept and preliminary design	August - September 1996
Final design	October - November 1996
Tender documentation	Dec. 1996 - February 1997
Bid opening	March 16, 1997
Construction begin	April 2, 1997
Project inauguration	January 22, 1999



In association with	Klaus B¸cker, Grevenstein
	David Elsworth, Stuttgart
	Hans Kampfer, Dusseldorf
	Alex Krall, Vohl
	Achim Muller, (in Baer & Muller) Dortmund
	Lichtdesign (Lighting), Cologne
Civil engineers	Buro Happold, Bath, England.

Landscape site supervision team

BW & P Abroad	Wolfgang Blodorn
	Eduard Gevers
	Ronald Kirchner
	Alex Krall
	Achim M¸ller (in Baer & M¸ller)
General contractor	Saudi Oger, Riyadh
Landscape sub-contractor	Rabya, Riyadh

The making of a major project Riyadh's Central Park

Those responsible

Client	The High Commission for the Development of Arriyadh represented by the Arriyadh Development Authority

Planning team for the preliminary urban concept and landscape design

Urban designers		
	Architects	Rasem Badran, (sba) Amman, Jordan Ali Shuaibi, (Beeah) Riyadh, Saudi Arabia
	Planners	Albert Speer & Partners, Frankfurt, Germany
Landscape architects		BW & P, Bodeker, Wagenfeld & Partner, Germany
	Partner in charge	Richard B^deker, Neanderthal
	In association with	David Elsworth, Stuttgart Achim M¸ller (in Baer & M¸ller), Dortmund Uli Zens, Bottrop
Civil engineers		Buro Happold, Bath, England
Building architects		
	National Museum	Moriyama & Teshima, Toronto, Canada
	Darat al Malik Abdulaziz	Rasem Badran, Amman, Jordan
	Mud Buildings	Beeah, Riyadh
	King Abdulaziz Branch Library	Omrania, Riyadh
	King Abdulaziz Auditorium	Omrania, Riyadh

Planning team for the final urban and landscape design phase, and tender documents

BW & P	Richard Bodeker, partner in charge Staff: Eduard Gevers, Detlef Oberhoff

Foreword

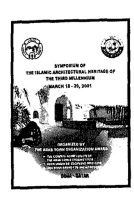
This brochure describes and illustrates the making of a major, new park, which new surrounds the King Abdulaziz Historical Centre, located in the heart of downtown Riyadh. in view of its prestigious setting and location it is indeed, in every sense of the word, Riyadh's Central Park.

The brochure also represents the culmination of 26 years of continuous work on landscape in the Kingdon of Saudi Arabia and 22 years of co-operation with the Arriyadh Development Authority (the ADA). Though just one of many, this newly completed project is truly the hightight of our professional careers. The many years of experience of woorking together with the ADA on previous projects such as the Diplomatic Quarter, Thumamah Park, Ministry of Foreign Affairs Staff Housing, King Fahd Road, Kasr al Kokm, and the Ministry of Municipal and Rural Affairs were all brought to bear in the creation of the King Abdulaziz Historical Centre.

The Project is also a tribute to the dynamic relationship, which exists between the Arriyadh Development Authority acting as a client, who actively participates in projects as a developer in its own right, and its consultants. Over the years an excellent team has been brough together by the ADA, which together with BW&P Abroad and other planners, guided and supervised the Project. This "hand-in-glove" process enabled the project's successful completion and its ceremonial inauguration on January 22nd. 1999, after a planning and construction period of only two and a half years.

July 1999

Richard Bodeker **David Eiswoth**



SYMPOSIUM OF
THE ISLAMIC ARCHITECTURAL HERITAGE OF
THE THIRD MILLENNIUM
MARCH 18 - 20, 2001

THE KING ABDULAZIZ HISTORICAL CENTRE RIYADH, SAUDI ARABIA

David Eiswoth
Richard Bodeker



Introduction

Doha city "The permanent Center for the Arab Towns Organization Award "was being the scene for an enormous cultural manifestation on the period (March 18th - 20th / 2001), in which the Seventh Session for the Environmental Health Awards Distributing Ceremony was being held at the same time with the Islamic Arechitectural Heritage Symposium on the Third Millenium.

For the importance of this symposium and for the documentation of it's activities Arab Towns Organization Award introduce this documentary book with it's scientific benefit in front of who are intersted with the Arabic City Affairs.

Due to the documentation of these activities the Award Institution asserting again on it's appreciation and concerned with the heritage activities and encouraging the supervisors on the old buildings reparation, maintenance and preservation the Islamic Arechitectural rules and basis.

It's a good fortune that the Islamic Arechitectural Heritage Symposium on the Third Millenium was held at the time of distributing the Environmental Health Awards, plus the Islamic Arechitecture Exhibit of all the Arabic Cities specially who won the Awards of the Arab Towns Organization at the previous sessions. In addition to the "Spiritual Edifices Exhibit" which is the first exhibition for all the Islamic Worship Centers all over the world from China to Spain.

Nineteen researches (19) represent different trends, cultures, approaches participated in the Islamic Arabic Heritage Symposium plus to The Age Khan Award for Architecture and all submitted very important papers concerned with the Heritage affairs, the technology and scientific challenges that facing the architecture.

The decent reader will find these researches with the documentations of this book plus the recommendations which issued from the symposium as a result of the conversations and discussions during it's activities.

The Award Higher Administrative Committee presents it's thank and appreciation to Qatar State Government and his Highness Sheik Hammed Bin Khaleefah Al-Thany and his heir apparent sheik Jassem Bin Hammed Al-Thany for the aids from mankind, technical, moral, financial supports. Also it appreciates the Arab Towns Organization and the members cities which give the great effect to achieve the Institution aims, and the succeeded of the symposium Activities was one of these aims and the reader will find this book with pictures and documentations and we hope all will have the benefit from it.

The Award Higher Administrative Committee.

الأبحاث والدراسات في هذا المجلد تعبر عن اراء كتابها
ولا تعبر بالضرورة عن رأي اللجنة المنظمة للندوة.

إشراف : **اللجنة الادارية العليا لمؤسسة جائزة منظمة المدن العربية**

الاعـــداد :

* **يعقوب يوسف الماس** مساعد المدير العام لمؤسسة الجائزة
* **فراج الشيخ الفزاري** المكتب الاعلامي للجائزة

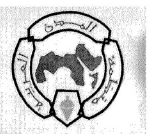
ساعد في الاعداد :

* **بيـــان عـارف راضـي**
* **سميرة عبد الله الدوراني**

مؤسسة جائزة منظمة المدن العربية ٢٠٠١
تليفون: ٤٣٢٨٧٩٠ - فاكس: ٤٤٣٣١٨٨
البريد الالكتروني : atoaward@qatar.net.qa

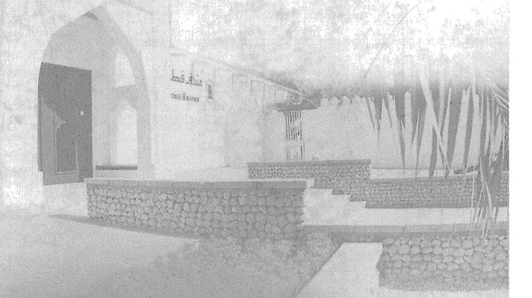
رقم الايداع بدار الكتب القطرية : ٣٥٨ لسنة ٢٠٠١
الرقم الدولي (ردمـك) : ٢ - ٥٦ - ٣٣ - ٩٩٩٢١





SYMPOSIUM OF THE ISLAMIC ARCHITECTURAL HERITAGE OF THE THIRD MILLENNIUM

MARCH 18 - 20, 2001



ORGANIZED BY
THE ARAB TOWN ORGANIZATION AWARD

- THE GENERAL SECRETARIATE OF THE ARAB TOWNS ORGANIZATION
- ARAB URBAN DEVELOPMENT INSTITUTE
- AGA KHAN AWARD FOR ARCHITECTURE

DOHA - QATAR

